

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

يقدم

د . حسين نصار



دار الفلاح

الغلاف للفنان
محمد أبو طالب

الإعجاز العلمي كلمة

لاحظ العلماء - منذ عصر مبكر - أن القرآن يوجه البشر إلى النظر في الكون والأحياء ، والاستدلال من عجائب إبداعهما على وجود المبدع وقدرته وحكمته، ويشير - في تضاعيف ذلك - إلى بعض الظواهر العلمية .

وقد دفعت هذه الملاحظة العلماء - منذ ذلك الوقت ، وإلى يومنا هذا - إلى جدل طويل ومتشاك حول ما تضمن ذلك من آيات .

وأجج من احتدام هذا الجدل انضمام آيتين لا تحملان إشارات علمية إليه ، ولكن كثيرا من المسلمين ربط بينهما وبين الآيات العلمية ، وأنكر ذلك آخرون .

هاتان الآيتان هما قوله - تعالى - في الآية ٢٨ من

- ٥ -

سورة الأنعام : ﴿... ما فرطنا في الكتاب من شيء...﴾ وفي الآية ٨٩ من سورة النحل : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة...﴾ .

الفصل الأول تفسير الآيتين المقصودتين

اختلف المفسرون في تفسير الآيتين الاختلاف الذي أورده
فيما يلي :

تفسير الكتاب

كان أول ما اختلفوا فيه من الآيتين لفظ «الكتاب» ، على النحو
الآتي:

القرآن

تستنبط من مجمع البيان أن عبدالله بن مسعود (٦٥٣/٣٢)
أول من فسر الكتاب في الآيتين بالقرآن (١) .
ولكن ابن الجوزي عزا هذا التفسير صراحة إلى عبدالله بن
عباس (٣ ق . هـ - ٦١٩/٦٨ - ٦٨٧) (٢) .
ويذكر الطوسي والألوسي أن الجبائي والبلخي اختاراه (٣) .
وأتى به دون نسبة إلى أحد : الطوسي (٤) .
ورجح ابن عطية (٤٨١-٥٤٢/١٠٨٨-١٠٤٨) هذا التفسير ،
اعتمادا على أنه الذي يقتضيه نظام المعنى في الآيات (٥) ،
والرازي اعتمادا على أن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد ،

انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب - عند المسلمين - هو القرآن ^(٦) .

وذكر الطبرسي (١١٥٣/٥٤٨) أنه قول أكثر المفسرين ^(٧) .
وذكر النيسابوري أن بعضهم اعترض على تفسير الكتاب بالقرآن ، لأنه ليس فيه تفاصيل كثير من العلوم كالطب والحساب ولا حاصل مذاهب الناس ولا تلهم في علم الأصول والفروع . ثم ذكر أنه قد أجيب عن هذا القول بأن لفظ التفريط لا يستعمل إلا فيما يجب أن يفعل ! والمحتاج إليه إنما هو الأصول والقوانين لا الفروع التي لا تضبط ولا تتناهى ^(٨) .

أم الكتاب

ونقل الطبري عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المعنى بالكتاب في الآيتين أم الكتاب ^(٩) .

واتفق معه قتادة بن دعامة السدوسي (٧٣٦/١١٨) وعبد الرحمن بن زيد (٧٩٨/١٨٢) ويونس بن عبد الأعلى الصدفي (١٧٠/٢٦٤-٦٨٧/٨٧٧) ^(١٠) .

وعرف ابن الجوزي أم الكتاب باللوح المحفوظ ^(١١) ، والآلوسي بالفاتحة ^(١٢) وصاحب المنار بأنها أصله وجملته ^(١٣) .

اللوح المحفوظ

ونقل الطوسي أن الحسن البصري (٢٠٠/١١٠-٤٦٢/٧٢٨)

قال : إن الله أراد الكتاب المحفوظ عنده ، دون فيه أجال الحيوان وأرزاقه وآثاره ، ليسلم ابن آدم أن عمله أولى بالإحصاء والاستقصاء (١٤) .

ونسب أبو حيان هذا القول إلى الزمخشري (٤٦٧-١٠٧٥/١١٤٤) ، وأعلن عن حق - أنه لم يذكر غيره من معاني الكتاب (١٥) .

والغريب أن عباس محمود العقاد عزا هذا القول وحده إلى أكثر المفسرين (١٦) .

وأتى به دون أن يعزوه إلى أحد : البغوي (١٧) .
ووصف الطبرسي اللوح المحفوظ بالكتاب الذي هو عند الله ، المشتمل على ما كان ويكون (١٨) ، والرازي بالكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات ، المشتمل على جميع أحوال المخلوقات على التفصيل التام (١٩) ، والقرطبي بالكتاب الذي أثبت فيه ما يقع من الحوادث (٢٠) ، والبيضاوي بالاشتغال على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق ، لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد (٢١) ، والخازن بالاشتغال على جميع أحوال العالم على التفصيل (٢٢) ، وصاحب المنار بأنه خلق من عالم الغيب ، أثبت الله فيه مقادير الخلق ، ما كان منها وما يكون ، بحسب النظام المعبر عنه بالسنة الإلهية (٢٣) .

الأجل

ونقل الطبرسي عن أبي مسلم محمد بن بحر الأصمقهاني (٢٥٤-٨٦٨/٣٣٢-٩٣٤) أن المراد بالكتاب الأجل ، أي ما تركنا شيئاً إلا وقد جعلنا له أجلاً هو بالغه ثم استبعد هذا القول (٢٤).

العلم الإلهي :

وذكر صاحب تفسير المنار أن من العلماء من يفسر الكتاب هنا وفي آيتي الرعد والزخرف بالعلم الإلهي المحيط بكل شيء ، فهو أشبه بالكتاب بكونه ثابتاً لا ينسى (٢٥) .
وعلى الأقوال الأربعة الأخيرة يخرج الأمر عن هذه الدراسة ، لأنها لا تتناول إلا ما يتصل بالقرآن .

تفسير شيء :

وختلف المفسرون في تفسير ما ينطوي تحت كلمة «شيء» الواردة في الآيتين اختلافاً واسعاً ، كما اختلفوا في تفسير الكتاب.

كل العلوم :

فذهب جماعة منهم إلى أن الآيتين تشيران إلى كل شيء في الوجود ، وكل العلوم ، دون استثناء .
نقل الطبري أن عبد الله بن مسعود قال في تفسير آية التحل : أنزل في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء قد بين في القرآن (٢٦) .

وروى الطبرسي عن ابن مسعود : إذا أردتم العلم فأتوا القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين (٢٧) .
وجعل الغزالي - في مرة أخرى - هذه العبارة : علوم الأولين والآخرين ، ورواها دون أن يعزوها إلى أحد ، وتابعه في ذلك كثيرون (٢٨) .

ونقل الرازي عنه خبرا يوجب علينا بعض التوقف . روى أن ابن مسعود كان يقول في الواشمة والمستوشمة ، والواصلة والمستوصلة (التي تصل شعرها بشعر غيرها) : مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه ، فأنته امرأة سمعته فقالت : يا ابن أم عبد : تلوث البارحة ما بين الدفتين ، فلم أجده فيه لعن الواشمة والمستوشمة ! فقال : لو تلوته لوجدته . قال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ (٢٩) وإن مما آتانا به رسول الله أنه قال : لعن الله الواشمة والمستوشمة (٣٠) .

وعقب الرازي على كلام ابن مسعود قائلا : أقول : يمكن وجدان هذا المعنى في كتاب الله بطريق أوضح من ذلك ، لأنه - تعالى - قال في سورة النساء : ﴿ وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ، لعنه الله ﴾ (٣١) فحكم عليه باللعن ، ثم عدد بعده قبائح أفعاله ، وذكر من جعلتها قوله : ﴿ ولأمرتهم فليغيرن خلق الله ﴾ (٣٢) وظاهر هذه الآية يقتضي أن تغيير الخلق يوجب اللعن (٣٣) .

فهذا الخبر يبين لنا أن ابن مسعود كان يرى أنه من الممكن استنباط «كل علم وكل شيء» من القرآن ، لا أن ذلك موجود فيه ، وأن ما يرد في الأحاديث تكملة لما في القرآن .

واتفق ابن عباس مع ابن مسعود ، فقد نقل الألباني أنه قال : «لوضاع لي عقاب يعير لوجدته في كتاب الله » (٢٤) .

ونقل الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٧٩٨/١٨٢) أنه قال : ما من شيء إلا وهو في الكتاب (٢٥) .

وروى الرازي أن محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٧٦٧/٢٠٤ - ٨٢٠) كان جالساً في المسجد الحرام فقال : لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله . فقال رجل : ما تقول في المحرم إذا قتل الزنبيور ؟ فقال : لا شيء . قال : أين هذا في كتاب الله ؟ فقال : قال تعالى : ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه...﴾ ثم ذكر إسناداً إلى النبي - ﷺ - أنه قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» ثم ذكر إسناداً إلى عمر بن الخطاب أنه قال : للمحرم قتل الزنبيور (٢٦) .

ونذكر الرازي أن علي بن محمد الواحدى (١٠٧٦/٤٦٨) عقب على هذا الخبر قائلاً : أجابه من كتاب الله مستنبطاً بثلاث درجات. وأقول : هاهنا طريق آخر أقرب منه ، وهو أن الأصل في أموال المسلمين العصمة ، قال تعالى : ﴿لها ما كسبت ، وعليها

ما اكتسبت ...» (٣٧) وقال : «ولا يسألكم أموالكم ...» (٣٨) وقال :
«لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم...» (٣٩) - فنهى عن أكل أموال الناس إلا بطريق التجارة .
فعند عدم التجارة ، وجب أن يبقى على أصل الحرية . وهذه
العمومات تقتضى ألا يجب على المحرم الذى قتل الزنبر شئ ،
وذلك لأن التمسك بهذه العمومات يوجب الحكم بمرتبة واحدة .
وأما الطريق الذى ذكره الشافعى فهو تمسك بالعموم على
أربع درجات :

أولها : التمسك بعموم قوله : «وما أتاكم ..» وأحد الأمور
الداخلية تحت هذا أمر النبى - ﷺ - بمتابعة الخلفاء الراشدين .
وثانيها : التمسك بعموم قوله - ﷺ - : «عليكم بسنتى...» .
وثالثها : بيان أن عمر كان من الخلفاء الراشدين .
ورابعها : الرواية عن عمر أنه لم يوجب فى هذه المسألة شيئاً .
فثبت أن الطريق الذى ذكرناه أقرب (٤٠) .
ونذكر الواحدى مثلاً آخر ، جعل للراى الحق أن يعقب قاتلاً :
ثبت بهذه الأمثلة أن القرآن لما دل على أن الإجماع حجة ،
وأن خبر الواحد حجة ، وأن القياس حجة ، فكل حكم ثبت بطريق
من هذه الطرق الثلاثة ، كان - فى الحقيقة - ثابتاً بالقرآن .

فبعند هذا يصح قوله تعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ هذا تقرير القول ، وهو الذى ذهب إلى نصرتة جمهور الفقهاء (٤١) .

واستمر الرازى يقول : إلا أنا نقول : حمل أية الأنعام على هذا الوجه لا يجوز ، لأنها ذكرت فى معرض تعظيم هذا الكتاب ، والمبالغة فى الثناء عليه . ولو حملنا هذه الآية على هذا المعنى ، لم يحصل ما يوجب التعظيم ، فوجب أن يقال : إنه لا يجوز حمل هذه الآية على هذا المعنى (٤٢) .

ومؤدى كلام الشافعى أن الكتاب الذى حوى كل شئ ليس القرآن وحده ، بل تضاف إليه السنة المأخوذة عن النبى - ﷺ والخلفاء الراشدين ، وأضاف الواحدى ما قيس عليهما . ومن الطبيعى أن هذا القول يختلف عما يتصوره أصحاب التفسير والإعجاز العلميين .

وذكر السيوطى أن محمد بن يحيى المعروف بابن سراقه حكى فى كتاب الإعجاز عن أحمد بن موسى التميمى المعروف بابن مجاهد (٨٥٩/٣٢٤-٩٣٦) أنه قال : ما شئ فى العالم إلا وهو فى كتاب الله . فقيل : فأتين ذكر الخانات (الفنادق) ؟ قال : فى قوله : ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها﴾ متاع لكم [(٤٣) فهى الخانات (٤٤)] .

وحكى أبو حيان أن أبا البقاء يعيش بن على (٥٥٣-٦٤٢/١١٦١-١٢٤٥) جعل (من شئ) هنا واقعا موقع المصدر، أى تفريطا . وقال : وعلى هذا التأويل لا يبقى في الآية حجة لمن ظن أن الكتاب يحتوى على ذكر كل شئ تصرّحاً . ونظير ذلك قوله : [لا يضرّكم كيدهم شيئا] (١٥) أى ضررا (١٦) . ولكن أبا حيان رد عليه قائلا : ما ذكره ليس كما ذكر ، لأنه إذا تسلط النفي على المصدر كان المصدر متفيا على جهة العموم ، ويلزم من نفي العموم نفي أنواع المصدر وأنواع مشخصاته . ونظير ذلك قولك : « لا قيام » فهذا نفي عام ، فينتفى منه جميع أنواع القيام وم مشخصاته كقيام زيد ، وقيام عمرو وما أشبه ذلك ، فإذا نفى التفريط على طريق العموم، كان ذلك نفيا لجميع أنواع التفريط وم مشخصاته ومتعلقاته . فيلزم من ذلك أن الكتاب يحتوى على ذكر كل شئ (١٧) .

وقد كان هذا التفسير للايتين القاعدة التى بنى أصحاب التفسير والإعجاز العلميين مذهبهم عليها .

العلوم الدينية وما اتصل بها :

نقل الطبرى عن مجاهد بن جبر (٢١ - ١٠٤/٦٤٢-٧٢٢) قال فى تفسير آية سورة النحل : تبين لكل شئ مما أحل وحرم (١٨) .

ونقل السيوطي عن الحسن البصري (٢٠- ١١٠/٤٦٢-٧٢٨) أنه قال : أنزل الله ١٠٤ كتاب ، أودع علومها أربعة منها : التوراة ، والإنجيل ، والزيور ، والفرقان . ثم أودع علوم الثلاثة في الفرقان . ثم أودع علوم القرآن في المفصل ، ثم أودع المفصل فاتحة الكتاب . فمن علم تفسيرها كان كمن علم جميع الكتب المنزلة (٤٩) .

ونقل الطبري عن عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بان جريج (٨٠- ١٥٠/٦٩٩-٨٦٧) ما يوافق تفسير مجاهد ، غير أنه جعل عبارته : تبينا لكل شئ : ما أمروا به ونهوا عنه . وهي عبارة رويت عن مجاهد أيضا (٥٠) .

وأجمل الطبري (٢٢٤- ٣١٠- ٨٣٩- ٩٢٣) هذا المذهب في تفسير الآية في قوله : نزل عليك - يا محمد - هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام ، والثواب والعقاب (٥١) .

ويدعمه قوله أيضا : القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد ، والأخبار ، والديانات ، ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثة ، لأنها تشتمل التوحيد كله (٥٢) .

ونقل الطوسي عن عبد الله بن أحمد الطائي (٢٧٣- ٣١٩/٨٨٦- ٩٣١) أنه قال في تفسير آية سورة الأتعام :

أى لم ندع الاحتجاج بما يوضح الحق، ويدعو إلى الطاعة والمعرفة، ويذجر عن الجهل والمعصية ، وتصريف الأمثال ، وذكر أحوال الملائكة ويبنى آدم وسائر الخلق (٥٢) . ولكن الطبرسي خالف الطوسي وذكر أن البلخي من أنصار احتواء القرآن على كل شيء (٥٤) .

وقال على بن عيسى الرماني (٢٩٦-٢٨٤/٩٠٨-٩٩٤) : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً : الإعلام ، والتشبيه ، والأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله وصفاته وأفعاله ، وتعليم الاعتراف بإنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والرد على الملحدين، والتبيين عن الرغبة والرهبة ، والخير والشر ، والحسن والقبيح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ، ومدح الأبرار ، وذم الفجار، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتفريع ، والتبيين عن ذم الأخلاق وشرف الآداب (٥٥) .

ونهب محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠/٩٩٥-١٠٦٧) إلى أن المراد كل شيء من أمور الدين (٥٦) ، إما بالنص عليه (٥٧) ، أو الإحالة على ما يوجب العلم : من بيان النبي - ﷺ - (٥٨) - والحجج القائمين مقامه (٥٩) ، أو إجماع الأمة (٦٠) ، أو الاستدلال (٦١) ، لأن هذه الوجوه أصول الدين ، وطريق موصلة إلى معرفته (٦٢) .

ومعقب عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة (١١٠٠/٤٩٤) على كلام الطبري والرماني : على التحقيق إن تلك الثلاثة التي قالها ابن جرير الطبري تشمل هذه كلها (التي قالها الرماني) بل أضعافها ، فإن القرآن لا يستدرك ولا تحصي عجائبه (٦٣) .

وقال الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (١١٠٨/٥٠٢) : إن الله كما جعل نبوة النبيين نبوة محمد - ﷺ - مختومة - وشرائعهم بشريعتهم من وجه منتسخة ، ومن وجه مكملة متممة ، جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمره كتيبه التي أولاها أولئك .

كما نبه عليه بقوله : «يتلو صحفا مطهرة» • فيها كتب قيمة» (٦٤).

وعلى محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨/١٠٧٥-١١٤٤) الإحالة على السنة فقال : حيث أمر في القرآن باتباع رسول الله - ﷺ - وطاعته ، فقليل : «وما ينطق عن الهوى» (٦٥) ، واعتمد في قوله بالإجماع على قوله تعالى : «ويتبع غير سبيل المؤمنين» (٦٦) ، ثم قال : وقد رضى رسول الله - ﷺ - لأمره اتباع أصحابه والافتداء بأثارهم في قوله : «أصحابي كالنجوم : بأيهم اقتديتم اهتديتم» (٦٧) ، وسمى الاستدلال قياسا (٦٨) .

وأضاف الاجتهاد (٦٩) وختم بأن قال : فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب ، فمن ثم كان الكتاب تبياناً لكل شيء (٧٠) .

وجعل عبيد الحق بن غالب المعروف بابن عطية معنى الآية مناسباً لتفسير (الكتاب) ، فإذا كان المراد به اللوح كان معنى الآية عاماً شاملاً كل شيء ، وإذا كان المراد القرآن كان معنى الآية خاصاً في الأشياء التي فيها منافع للمخاطبين وطرائق هدايتهم (٧١) .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي (١١٤٨/٥٤٣) : علوم القرآن ثلاثة : توحيد ، وتذكير ، وأحكام .

فالترديد يدخل فيه معرفة المخلوقات ، ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله .

والتذكير منه الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن .

والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار ، والأمر والنهي والندب .

ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن ، لأن فيها الأقسام الثلاثة ، وسورة الإخلاص ثلثه ، لاشتغالها على أحد الأقسام الثلاثة ، وهو التوحيد (٧٢) .

وجعل القاضي عياض بن موسى الـحصـصـي
(٤٧٦-٥٤٤هـ/١٠٨٣-١١٤٩) من وجوه إعجاز القرآن : جمعه
لعلوم ومعارف لم تعدها العرب عامة (٧٣) .
ثم وضع ما عناه فقال : فجمع فيه من بيان علم الشرائع ،
والتنبيه على طرق الحجج العقلية ، والرد على فرق الأمم ،
ببراهين قوية ، وأدلة بيّنة ، سهلة الألفاظ ، موجزة المقاصد ، إلى
ما حواه من علوم السير وأبناء الأمم ، والمواظ والحكم (٧٤) .
وتردد الفضل بن الحسن الطبرسي (١١٥٣/٥٤٨) فجعل
المراد بآية الأنعام : جميع ما يحتاج إليه من أمور الدنيا والدين ،
ذكر فيه إما مجعلا وإما مفصلا (٧٥) ، والمراد بآية التحل : كل
شئ يحتاج إليه من أمور الشرع : أي ما من شئ يحتاج الخلق
إليه في أمر من أمور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب (٧٦) .
وقال فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ/١١٥٠ -
١٢١٠) يجب أن يكون قوله : [ما قرطنا في الكتاب من شئ]
مخصوصا ببيان الأشياء التي تجب معرفتها والإحاطة بها ، وبيانه
من وجهين :
الأول : أن لفظ التفريط لا يستعمل نفيا وإثباتا إلا فيما يجب
أن يبين ، لأن أحدا لا ينسب إلى التفريط والتقصير في أن لا يفعل
ما لا حاجة إليه (٧٧) .

الثاني : أن جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة – بالمطابقة أو التضمنين أو الالتزام – على أن المقصود من انزال هذا الكتاب بيان الدين، ومعرفة الله وأحكامه ، وإذا كان هذا التقييد معلوماً من كل القرآن ، كان المطلق ما هنا محمولاً على ذلك المقيد (٧٨) .

وقال في تفسير آية التحل : العلوم إما دينية أو غير دينية ، أما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية ، لأن من المعلوم بالضرورة أن الله إنما مدح القرآن :-
بكونه مشتملاً على علوم الدين ، فأمّا ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه (٧٩) .

وقال أيضاً : القرآن واف ببيان جميع الأحكام (٨٠) .
وقصر محمد بن أحمد القرطبي (١٢٧٢/٦٧١) القياس على ما ثبت بنص الكتاب ، كما جاء في قوله : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ ويختم بأن قال : فصدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شيء إلا ذكره ، إما تفصيلاً وإما تأصيلاً (٨١) .

ونذهب أحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن تيمية (٦٦١-٧٢٨/١٢٦٣-١٣٢٨) إلى أن القرآن معجز باحتوائه العلوم التي فيها كمال النفوس وصلاحتها ، وسعادتها ونجاتها ،

ولا يضارعه في ذلك علوم أهل النبوات ، ولا علوم الفلاسفة ، فهو يغنى عن كل شيء سواه (٨٢) .

وذهب محمد بن أحمد المعروف بابن جزى الكلبي (٦٩٣-١٢٩٤/٧٤١-١٣٤٠) إلى أن من وجوه إعجازه : ما فيه من التعريف بالبارئ ، وذكر صفاته وأسمائه ، وما يجوز عليه وما يستحيل ، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده ، وإقامة البراهين القاطعة ، والحجج الواضحة ، والرد على أصناف الكفار ؛ أو ما سماه العلوم الإلهية ، والبراهين الواضحة ، والمعاني العجيبة ، التي لا يمكن أن يعلمها الناس ، مع مجيئها فيه على وجه الكمال (٨٣) .

واتفق أبو حيان محمد بن يوسف (٦٥٤-١٢٥٦/٧٤٥-١٣٤٤) مع من قال : إن الآية من العام الذي يراد به الخاص ، والمعنى عنده : من شيء يدعو إلى معرفة الله وتكاليفه ودلائل الإلهية (٨٤) ورد الحديث الذي أتى به الزمخشري قائلا : هو حديث موضوع ، لا يصح بوجه عن رسول الله - ﷺ - وأتى بعدة أقوال تكشف عن ضعف أسانيده (٨٥) .

وذكر إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠/١٣٨٨) أن المراد بالآيات - عند المفسرين - ما يتعلق بالتكليف والتعبد (٨٦) . وقال محمود بن عمر الألويسي : تكفل القرآن ببيان الأمور

الدينية الأصلية على أتم وجه ، فليكن المراد من كل شيء ذلك (٨٧).
وقال محمد أبو زهرة : اشتمل القرآن على لب الرسالة الإلهية
– وهو التوحيد – وعلم النبوة كله ، ولم يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا
أحصاها . وما فرط الله في الكتاب من شيء من علم النبوة ، مما
يتعلق بالشرائع والأحكام ، وبيان ما يطلب من المكلف ، وما به
صلاحه في الدنيا وثوابه في الآخرة (٨٨) .

وأخيرا قال د. محمود بسيوني فودة : اشتمل على علوم
ومعارف، تصلح حال الإنسان ، في كل زمان ومكان ، تصلح
حاله عقديا ، وتصلح حاله نحو علاقته بربه ، ونحو علاقته
بمجتمعه (٨٩).

تبين لنا هذه الجولة أن القول بأن المراد بالآيتين العلوم الدينية
بدأ منذ القرن الهجري الأول : عند مجاهد والحسن ، أي تأخر
قراءة نصف قرن عن القول بأن المعنى كل شيء .

وتبين أنه بدأ عند أصحاب الرأي أو من عرفوا به .
وتبين أنه بدأ بأن المراد به الأحكام التي تبين الحلال والحرام ،
وهو تعبير استمر – مع زيادات تطول وتقصر – إلى اليوم ،
واتسع الطوسي ومن تبعه – وهم الأكثرية – فأعلنوا أن المراد كل
شيء من أمور الدين . ووقف الألوسي عند الأصلي من الأمور
الدينية .

وأتى البلخي وابن تيمية ومحمد أبو زهرة بعبارات : انفرد كل منهم بها .

وتبين أن الحسن والراغب انفردا بإيالة موقف القرآن من الكتب السماوية التي سبقته من حيث المضمون : وأن الطبري وابن العربي أجملا المضمون القرآني في ثلاثة ، جعلها الطبري : التوحيد والتذكير والديانات ، وابن العربي التوحيد والتذكير والديانات ، ولعله أراد بالتذكير ما سماه الطبري الاخبار ، وبالأحكام ما سماه الديانات .

واتجه الرماني إلى تعداد ما اشتمل عليه القرآن من معارف ، فجلب عليه اعتراض شاذلة .

واختلف المفسرون في موقف البلخي ، بين القول بهذا الرأي أو سابقه وتردد الطبرسي بينهما ، ولم تعط عباراته موقفا صريحا . ومن أدعى المواقف للدهشة موقف فخر الدين الرازي . فقد كان حاسما في التفرقة بين العلوم الدينية والعلوم غير الدينية ، وأن القرآن لا شأن له بغير الدينية ، ولكنه في تفسيره يخالف هذه الأقوال مخالفة جلية ، ويحتفل فيه بكثير من العلوم – وبخاصة الفلك – احتفالا كبيرا ، لفت كل من تكلم عنه ، حتى قيل فيه : «فيه كل شيء إلا التفسير» (٩٠) .

ومنذ عهد الطوسي نجد الكتاب لا يكتفون بالنص القرآني ،

ويضيفون إليه ما أضافه القائلون بأن القرآن لم يفرط في كل شيء.
ونجد عند الطوسي والطبري إضافة شيعية - أقوال الحجج -
وهي إضافة لم يوردها غيرهما ممن رجعت إليهم ، وأضاف
الزمخشري الاجتهاد .
وكان القاضي عياض ممن جعل هذا القول أحد وجوه الإعجاز.
ثم تبعه ابن تيمية وابن جزى .
وقد أطلأ أبو حيان في تضعيف الحديث الذي أورده
الزمخشري وتوهمته ، على الرغم من شهرة هذا الحديث .

الهوامش

- (١) الطبرسي ٥٧/٧ .
- (٢) زاد ٣٥/٣ .
- (٣) التبيان ١٢٩/٤ . الطبرسي ٥٧/٧ . روح ١٤٤/٧ .
- (٤) التبيين ١٢٨/٤ - ابن عطية ١٩٤/٥ . الرازي ٢١٥/١٢ .
- القرطبي ٤٢٠/٦ . الخازن ١٤/٢ . ابن جزى ١٥/٢ . أبو حيان
- ١٢٠/٤ . البيضاوي ١٨٧/٢ . النيسابوري ١٤٢/٧ . أبو السعود
- ١٣١/٣ . الشوكاني ١١٤/٢ . الألبوسي ١٤٤/٧ . المنار ٣٩٤/٧ . علي
- فكري ٩ . التفكير ٦٨ . الغمراوي ٣٦٤ .
- (٥) المحرر ١٩٤/٥ . أبو حيان ١٢٠/٤ .
- (٦) مفاتيح ٢١٥/١٢ .
- (٧) مجمع ٥٧/٧ .
- (٨) غرائب ١٤٢/٧ .
- (٩) جامع ١١٩/٧ . ابن الجوزي ٣٥/٣ . المنار ٣٩٤/٧ .
- (١٠) الطبري ١١٩/٧ . ابن الجوزي ٣٥/٣ .
- (١١) زاد ٣٥/٣ .
- (١٢) روح ١٤٥/٧ .

- (١٣) ٣٩٤/٧ .
- (١٤) التبيان ١٢٨/٤ . الطيرسي ٥٧/٧ . الألويسي ١٤٥/٧ .
- (١٥) البحر ١٢٠/٤ . الغمراوي ٣٦٤ .
- (١٦) التفكير ٦٨ .
- (١٧) معالم ٩٥/٢ . الزمخشري ٢١/٢ . ابن عثية ١٩٤/٥ .
- الرازي ٢١٥/١٢ . القرطبي ٤٢٠/٦ . الخازن ١٤/٢ . ابن جرير ١٥/٢ . العلوي ٤٦٣/٣ . الشاطبي ٥٦/٢ . البيضاوي ١٨٧/٢ .
- القيساري ١٤٢/٧ . أبو السعود ١٣١/٢ . الشوكاني ١١٤/٢ . القنار ٣٩٤/٧ . الخولي ٣٦٠/٥ . الحمصي ١٥٢ . التفكير ٦٨ . الغمراوي ٣٦٤ . فاضل ٣٠٤ .
- (١٨) مجمع ٥٧/٧ . الألويسي ١٤٥/٧ .
- (١٩) مقاتيح ٢١٥/١٢ . الخازن ١٤/٢ .
- (٢٠) الجامع ٤٢٠/٦ . الشوكاني ١١٤/٢ .
- (٢١) أنوار ١٨٧/٢ . فكري ٩ .
- (٢٢) لياب ١٤٢/٧ .
- (٢٣) ٣٩٤/٧ .
- (٢٤) مجمع ٥٧/٧ . الألويسي ١٤٥/٧ .
- (٢٥) ٣٩٤ / ٧ .

- (٢٦) جامع ١٠٨/١٤ الإكليل ٢٤٠ الآلوسي ١٤٤/٧ . غاضل ٣٠٢ .
 (٢٧) مجمع ٥/١ إحياء الغزالي ١٣٥/٣ . معترك ١٤/١ . الانتقان ١٤٦/٢ . الإكليل ٥ .
 (٢٨) جواهر ٢٧٠٨ . معترك ١٧/١ . الانتقان ١٤٧/٢ . الآلوسي ١٤٤/٧ ، ٢١٦/١٤ . الصمصصى ١٣٩ . عطا ٢٥٩ . فاضل ٣٠٢ .
 قماوى ٦/٣ .
 (٢٩) سورة الحشر ٧ .
 (٣٠) مفاتيح ٢١٦/١٢ . معترك ١٦/١ الإكليل ٦ . الآلوسي ١٤٤/٧ ، ٢١٥/١٤ . الفمراوى ٣٦٩ . قماوى ٥/٣ .
 (٣١) ١١٨ ، ١١٧ .
 (٣٢) ١١٩ .
 (٣٣) مفاتيح ٢١٦/١٢ .
 (٣٤) روح ١٤٤/٧ ، ١٤٦/١٤ . معترك ١٧/١ . الانتقان ١٤٧/٢ .
 الإكليل ٦ . قماوى ٦/٣ .
 (٣٥) جامع ١١٩/٧ .
 (٣٦) مفاتيح ٢١٦/١٢ . معترك ١٥/١ . الانتقان ١٤٦/٢ الإكليل ٦ .
 الآلوسي ١٤٤/٧ ، ٢١٥/١٤ . فكرى ١٥/١ . قماوى ٤/٣ .
 (٣٧) سورة البقرة ٢٨٦ .

- (٣٨) سورة محمد ٣٦ .
 - (٣٩) سورة النساء ٢٩ .
 (٤٠) مفاتيح ٢١٦/١٢ - ٧ .
 (٤١) مفاتيح ٢١٧/١٢ . الألويس ٢١٥/١٤ .
 (٤٢) مفاتيح ٢١٧/١٢ .
 (٤٣) سورة النور ٢٩ .
 (٤٤) معترك ١٦/١ . الانتقان ١٤٦/٢ . فكري ١٥/١ قمحوى
 .٥/٣
 (٤٥) سورة آل عمران ١٢٠ .
 (٤٦) البحر ١٢١/٤ . الألويس ١٤٥/٧ .
 (٤٧) نفس الموضعين .
 (٤٨) جامع ١٠٨/١٤ . ابن كثير ٦٣١/٢ .
 (٤٩) معترك ١٤/١ . ٧٨ . الانتقان ١٤٦/٢ . الأكليل ٥ .
 (٥٠) جامع ١٠٨/١٤ .
 (٥١) جامع ١٠٨/١٤ . ابن الجوزي ٢٥/٣ .
 (٥٢) جامع ١٠٨/١٤ . الانتقان ١٤٩/٢ . قمحوى ١٤/٣ .
 (٥٣) التبيان ١٢٩/٤ .
 (٥٤) مجمع ٥٧/٧ . الألويس ١٤٤/٧ .
 -٢٩ -

- (٥٥) الاتفاق ١٤٩/٢ - ٥٠ - قحماوى ١٤/٣ .
- (٥٦) التبيان ٤١٨/٦ - الزمخشري ٤٢٤/٢ ، الطبرسي ١١٣/١٣ .
 القرطبي ٤٢٠/٦ ، أبو السعود ١٣٥/٥ ، الشوكاني ١١٤/٢ .
 الألويسي ٢١٤/١٤ - ٥ .
- (٥٧) التبيان ٤١٨/٦ ، الزمخشري ٤٢٤/٢ ، الطبرسي ١٤/١٢ .
 ابن الجوزي ٣٥/٣ ، العلوي ٤٦٣/٣ ، أبو حيان ٥٢٧/٥ ، أبو السعود ١٣٥/٥ .
 الألويسي ٢١٥/١٤ ، المنار ٣٩٥/٧ على فكري ٧/١ .
- (٥٨) التبيان ٤١٨/٦ ، الزمخشري ٤٢٤/٢ ، الطبرسي ١١٤/١٣ .
 القرطبي ٤٢٠/٦ ، أبو حيان ٥٢٧/٥ ، ابن كثير ٦٣١/٢ ، أبو السعود ١٣٥/٥ ، الشوكاني ١٨٧/٣ ، الألويسي ٢١٥/١٤ ، المنار ٣٩٥/٧ ، على فكري .
- (٥٩) التبيان ٤١٨/٦ ، الطبرسي ١١٤/١٣ .
- (٦٠) التبيان ٤١٨/٦ ، الزمخشري ٤٢٤/٢ ، الطبرسي ١٤/١٣ .
 القرطبي ٤٢٠/٦ ، أبو حيان ٥٢٧/٥ ، أبو السعود ١٣٥/٥ ، على فكري ٧/١ .
- (٦١) التبيان ٤١٨/٦ ، ابن الجوزي ٣٥/٣ .
- (٦٢) التبيان ٤١٨/٦ .
- (٦٣) الاتفاق ١٥٠/٢ ، قحماوى ١٤/٣ .

- (٦٤) سورة البقرة ٢، ٣. معترك ٢٢/١-٣-الاتقان ١٤٩/٢ .
 قماوى ١٢/٣ .
- (٦٥) سورة النجم ٣ . الكشف ٤٢٤/٢ ، أبو حيان ٥٢٧/٥ ، أبو
 السعود ١٣٥/٥ . الشوكاني ١١٤/٢ ، الألويسي ٢١٥/١٤ .
- (٦٦) سورة النساء ١١٥ .
- (٦٧) الكشف ٤٢٤/٢ ، أبو حيان ٥٢٧/٥ ، أبو السعود ١٣٥/٥ ،
 الألويسي ٢١٥/١٤ .
- (٦٨) الكشف ٤٢٤/٢ القرطبي ٤٢٠/٦ ، العلوى ٤٦٣/٣ ، أبو
 حيان ٥٢٨/٥ . أبو السعود ١٣٥/٥ . المنار ٣٩٥/٧ . على فكري
 ٧/١ .
- (٦٩) الكشف ٤٢٤/٢ ، أبو حيان ٥٢٨/٥ .
- (٧٠) الكشف ٤٢٤/٢ ، أبو حيان ٥٢٨/٥ ، النيسابورى
 ١٠٩/١٤ ، أبو السعود ١٣٥/٥ ، الألويسي ٢١٥/١٤ .
- (٧١) المحرر ١٩٤/٥ ، ابن الجوزى ٣٥/٣ ، ابن جزى ١٥/٢ ، أبو
 حيان ١٢٠/٤ .
- (٧٢) معترك ٢٢/١-٤-الاتقان ١٤٩/٢ . قماوى ١٢/٣-٤ .
- (٧٣) الشفا ٥٣٦/١ .
- (٧٤) الشفا ٥٣٦/١-٧ .

- (٧٥) مجمع ١١٢/١٣ القرطبي ٤٢٠/٦ ، البيضاوي ١٨٧/٢ ، الشوكاني ١١٤/٢ .
- (٧٦) مجمع ١١٢/١٣ - ٤ . ابن الجوزي ٣٥/٣ ، العلوي ٤٦٢/٣ ، البيضاوي ١٨٧/٢ .
- (٧٧) مفاتيح ٢١٥/١٢ ، النيسابوري ١٤٢/٧ .
- (٧٨) مفاتيح ٢١٥/١٢ - ٦ .
- (٧٩) مفاتيح ٩٩/٢٠ ، الزرقاني ١٧/١ .
- (٨٠) مفاتيح ٢١٨/١٢ ، النيسابوري ١٤٢/٧ ، ١٠٩/١٤ ، الشوكاني ١٨٧/٣ ، المنار ٣٩٥/٧ .
- (٨١) الجامع ٤٢٠/٦ .
- (٨٢) الجامع ٤٢٠/٦ الحمصي ١٢٣ .
- (٨٣) التسهيل ٢٢٥/٢٠١٤/١ ، الحمصي ٧٠١٢٥ .
- (٨٤) البحر ١-١٢٠/٤ .
- (٨٥) نفسه ٥٢٨/٥ .
- (٨٦) الموافقات ٥٦/٢ ، الحمصي ١٥٢ .
- (٨٧) روح ٢١٦/١٤ .
- (٨٨) المعجزة ٢٨٩ ، ٣٩٠ - ١ ، ٣٩٥ .
- (٨٩) المرشد ٣٣٩ .
- (٩٠) الانتقان ٢٢٦/٢ ، عرجون ٢١١ ، ٢٥٨ ، محسن ١٩٧ .

الفصل الثاني الدفاع عن التفسير العلمى

نجد فى كتاب «إعجاز القرآن» لحمد بن يحيى المعروف بابن سراقه (نحو ٤٦٠ / ١٠٢٠) - الذى أعطانا السيوطى مقتطفات منه - أول تصريح بالإعجاز العلمى ، وأول محاولة لتتبع دلالاته . فقد ذكر السيوطى أنه عدد أقوال العلماء فى وجوه إعجاز القرآن ، وجعل منها ذات مرة: كونه جامعاً لعلوم بطول شرحها^(١)، ويشق حصرها^(٢) . وفى مرة أخرى : ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب ، والموافقة والتأليف والمناسبة ، والتنصيف والمضاعفة^(٣) .

واستمر ابن سراقه يقول : ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه - ﷺ - صادق فى قوله^(٤) ، وأن القرآن ليس من عنده^(٥) ، إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ، ولا تلقى أهل الحساب والهندسة^(٦) . وجعل على بن محمد الماورى (٣٦٤ - ٤٥٠ / ٩٧٤ - ١٠٥٨) الوجه الخامس من وجوه الإعجاز : ما جمعه من علوم لا يحيط بها بشر ، ولا تجتمع فى مخلوق^(٧) .

واستدل من ذلك على أن القرآن لم يكن إلا من عند الله ، المحيط بكل شيء علماً^(٨) ، والذي علمه من لم يكن به عالماً . يريد محمداً - ﷺ - (٩) .

وأجرى الحوار الآتي بينه وبين من تصور أنه يعارضه في رأيه ذلك :

قال : فإن قيل : فضل العلم لا يكون إعجازاً في النبوات ، لأن العلماء قد يتفاضلون ، ولا يكون للأفضل إعجاز على المفضول . فمته جوابان :

أحدهما : أن التفاضل في العلم موجود ، والإحاطة بجميع العلوم مفقودة^(١٠) .

والثاني : أن ظهور العلم فيمن يتعاطاه ليس بمعجز من جهته ، وظهوره فيمن لم يتعاطاه معجز لظهوره من غير جهته . وقد كان محمد أمياً^(١١) ، من أمة أمية^(١٢) ، لم يقرأ كتاباً^(١٣) ، ولم يتعاط علماً^(١٤) . فصار ما أظهر معجزاً^(١٥) .

وتعرض أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ / ١٠٥٨ - ١١١١) للعلوم في القرآن في ثلاثة من كتبه : جواهر القرآن ، وإحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة . فوصف القرآن في الكتاب الأول بالبحر المحيط ، الذي يتشعب

منه علم الأولين والآخرين ، كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط .
أنهارها وجداولها^(١٦) .

وجعل هذه العلوم أصنافا :

١ - العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله والسفر إليه .

٢ - علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه والسحر والطلسمات وغير ذلك .

٣ - علوم لم تخرج بعد إلى الوجود ، وإن كان في قوة الأدمى الوصول إليها .

٤ - علوم كانت قد خرجت إلى الوجود واندرست ، فلا يوجد في هذه العصور على بسيط الأرض من يعرفها .

٥ - علوم ليس في قوة البشر أصلا إدراكها والإحاطة بها ، ويحظى بها بعض الملائكة المقربين .

ويعد ذلك قال : هذه العلوم - ما عدناه وما لم نعد - ليست أوائلها خارجة عن القرآن ، فإن جميعها مفترقة من بحر واحد من بحار معرفة الله ، وهو بحر الأفعال^(١٧) . وهو بحر لا ساحل له^(١٨) وكان مما أتى به - مثلا على أقواله - قوله : فمن أفعال الله الشفاء والمرض ، كما قال تعالى - حكاية عن إبراهيم : فوإذا

مرضت فهو يشفين^(١٩) . وهذا الفعل لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله ، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته ، والشفاء وأسبابه^(٢٠) .

وأعلن الغزالي في الكتاب الثاني : العلوم كلها داخلة في أفعال الله وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته . وهذه العلوم لا نهاية لها ، بل كل ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه الخلائق في النظريات والمحقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدركها^(٢١) .

وعقب أمين الخولي على ما أورده من أقوال الغزالي فقال : لعله - إلى عهده - كان أكثر من استوفى بيان هذا القول^(٢٢) .
وأعلن تعيم الحمصي إنه أول من عرض للنظرية العلمية في الإعجاز^(٢٣) .

وما أورده من أقوال ابن سراج والماوردي يسقط قول الحمصي ، وينتقص من أطراف قول الخولي وإن بقي له صدقه .
وسار القاضي عياض بن موسى اليحمصي (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ / ١٠٨٣ - ١١٤٩) على درب ابن سراج والماوردي . فجعل أحد وجوه إعجاز القرآن : جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ، ولا محمد - ﷺ - قبل نبوته خاصة ، بمعرفتها^(٢٤) ، ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم^(٢٥) .

ونذكر مصطفى صادق الرافعي أبا الوليد محمد بن أحمد المعروف بابن رشد (٥٢٠ هـ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨) فقال :
لفيلسوف الإسلام كلام حسن في آخر كتابه «فصل المقال» لم تر مثله لأحد من العلماء ، بين فيه كيف احتوى القرآن على طرق التعليم المنطقية بجملة ، تصورا وتصديقا . وقد جعل الفيلسوف ذلك من إعجازه . وهو وجه لو كان بسطة واستوفاء واستبصاراً معانيه لجاء منه بكل عجب ، غير أنه أشار إليه في الكلام إشارة ، وجاء به عرضا لا غرضا ... وقد استخرج الإمام الغزالي (المنطق) من القرآن ، وليس هو منطق أرسطو ، ولكنه منطق العقل الإنساني(٣٦) .

وفهم نعيم الحمصي من هذا القول أنه من باب مذهب الغزالي، القائل بأن القرآن قد حوى ميادئ العلوم كلها ، ويتصل من قرب بالنظرية العلمية في الإعجاز .

ثم نفى الحمصي أن يكون هذا القول مؤيدا للإعجاز ، واصفا إياه بأنه مجرد تمحك واصطناع للأدلة ، لما نعلم من أن القرآن لم يأت ليشرح العلوم ، أو يعدد نظريات المنطق .

وإذا كان قد استعمل في براهينه طرقا شرحها المنطقة في كتبهم ، فذلك لا يعني أنه قصد إلى ذكرها فيه باعتبارها ميادئ

علم المنطق . وإنما لأن للفكر الإنساني في البرهنة في كل عصر وبيئة طرقه العقلية العامة ، التي هي قدر مشترك بين الناس ، والتي وجدت قبل أن يوجد علم المنطق . وكان من الطبيعي أن يعرفها غير المناطقة بالبدئية وممارسة الدفاع عن الرأي والاحتجاج له^(٢٧) .

وقد صدق الرجلان في القول بأن ابن رشد من المؤمنين بإعجاز القرآن . لكنه في «فصل المقال» لم يتعرض للإعجاز العلمي ، وقصر حديثه على المنطق وحده . فقد قال : الأقاويل الشرعية المصرح بها في الكتاب العزيز للجميع ، لها ثلاث خواص دلت على الإعجاز :

إحداها : أنه لا يوجد أتم إقناعاً وتصديقاً للجميع منها .
والثانية : أنها تقبل النصرة بطبيعتها ، إلى أن تنتهي إلى حد لا يقف على التأويل فيها – إن كانت مما فيها تأويل – إلا أهل البرهان .

والثالثة : أنها تتضمن التنبيه – لأهل الحق – على التأويل الحق .

ويودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه ، وإن أنسا الله في العمر ، فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه . فعسى أن يكون ذلك مبدأ لمن يأتي بعد^(٢٨) .

وهناك إجماع بين العلماء ، على أن «مفاتيح الغيب» لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦ / ١١٥٠ - ١٢١٠) أول تفسير للقرآن عني عناية كبيرة بتجميع المسائل العلمية ، وبخاصة ما ينتمي إلى علم الهيئة (الفلك) .

والحق إن موقف الرازي عجيب . فقد أعلن أن القرآن لا يبالى إلا بالعلوم الدينية ، ورفض التفسير العلمي ، ولكنه عندما انتقل إلى العمل التطبيقي ، أكثر من التفسير العلمي حتى اعترض عليه بعض العلماء . فاضطر إلى الاعتراف بما فعل ، والدفاع عنه ، ومهاجمة خصومه . قال : ربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال : إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والتنجيم ، وذلك على خلاف المعتاد^(٢٩) :

وكان رده : إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل ، لعرفت فساد ما ذكرته ، وتقريره من وجوه :

الأول : أن الله ملأ كتابه من الاستدلال على العلم^(٣٠) والقدرة^(٣١) والحكمة^(٣٢) ، بأحوال السماوات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ... وذكر هذه الأمور في أكثر السور ، وأعادها مرة بعد أخرى . فلو لم يكن البحث عنها^(٣٣) والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ كتابه منها^(٣٤) .

والثاني : أنه - تعالى - قال : ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم: كيف بنيناها وزيناها ، وما لها من فروج﴾^(٣٥) فهو حث على التأمل في أنه كيف بناها . ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها ، وكيف خلق كل واحدة منها^(٣٦) .

والثالث : أنه - تعالى - قال : ﴿الخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(٣٧) فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السماوات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس . ثم إنه رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^(٣٨) مما كان أعلى شأننا وأعظم برهاننا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ، ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب^(٣٩) .

والرابع : أنه - تعالى - مدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض ، فقال : ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾^(٤٠) . ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل^(٤١) .

والخامس : أن من صنف كتاب شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق : فالعقائد في شرفه وفضيلته فريقان :

من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة ، من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين . ومن وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين . واعتقاد الطائفة الأولى – وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال – إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى . وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب أكثر ، كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل^(٤٧) .

إذا ثبت هذا فنقول : من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث (مخلوق) ، وكل محدث فله محدث (خالق) ، فحصل له – بهذا الطريق إثبات الصانع^(٤٨) . وصار من زمرة المستدلين .

ومنهم من ضم إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي على سبيل التفصيل . فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة وأسرار عجيبة . فيصير ذلك جاريا مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتسالية على عقله . فلا يزال ينتقل كل لحظة من برهان إلى برهان آخر . فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين^(٤٩) ، وإزالة الشبهات^(٥٠) .

فإذا كان الأمر كذلك ، ظهر أنه - تعالى - إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار ، لا لتكثير النحو والغريب ، والاشتقاقات الخالية عن الفوائد ، والحكايات الفاسدة^(٤٦) .
ونذكر د. محسن عبد الحميد بأنه كان يرى أنه كلما تقدمت العلوم صححت التفسير^(٤٧) .

ويصف محمد إبراهيم المنهج الذي اتبعه الرازي في تفسير الآيات الكونية ، فنذكر أنه ما من آية إلا عدها أمراً إلى التسامع وإعمال العقل^(٤٨) والاستدلال بالأدلة العقلية^(٤٩) على :

وجود الصانع .

وعظمته^(٥٠) .

ووحديته^(٥١) .

وقدرته على إعادة الخلق والبعث^(٥٢) .

وتعمه على عباده^(٥٣) .

والأمر الذي يفسر موقف الرازي أن يكون قد ذهب إلى أن العلوم الكونية من المعارف الإسلامية ، كما فعل محمد الغزالي في العصر الحديث^(٥٤) .

وأعلن محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي الفضل المرسى (٥٧٠ - ٦٥٥ / ١١٧٤ - ١٢٥٧) أن القرآن جمع علوم الأولين

والآخرين ، بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا وأهيبها ، ثم رسوم
الله - ﷻ - خلا ما استأثر به سبحانه ، ثم ورث عنه معظم ذلك
سادات الصحابة وأعلامهم ، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود
وابن عباس ، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان(٥٥) .

ثم تقاصرت الهمم ، وضعف أهل العلم عن حمل ما حمله
الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ، فنوعوا علومه ،
وقامت كل طائفة بفن من فنونه(٥٦) .

فاعتنى قوم بضبط لغاته ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج
حروفه ، وعد كلماته وآياته وسوره ... فسموا القراء . واعتنى
النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة
وغيرها .

واستمر فذكر علماء التفسير والأصول والفقه والتاريخ
والقصص والوعظ وتعبير الرؤيا والفرائض والمواقيت والمعاني
والبيان والبدیع ...

ثم قال : وقد احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل ، مثل
الطب والجندل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير
ذلك(٥٧) .

وفيهِ أصول الصنائع التي تدعو الضرورة إليها ، كالخياطة في

قوله : ﴿ولفقا يخصفان عليهما﴾^(٥٨) والصدادة في ﴿ألنا له الصديد﴾^(٥٩) . وأسماء الآلات وضروب المكولات والمشروبات والمنكوحات^(٦٠) ، وجميع ما وقع ويقع في الكائنات^(٦١) ، ما يحقق معنى آية سورة الأنعام^(٦٢) .

وذهب محمد بن أحمد الشرييني الخطيب (٩٧٧ / ١٥٧٠) إلى أنه لا نهاية لأسرار علوم القرآن^(٦٣) ، ففى كل زمن يكتشف منها جديد لم يعرفه السابقون^(٦٤) .

وذهب شمس الدين أبو عبدالله محمد بن سلامة الضرير الاسكندري (١١٤٩ / ١٧٣٧) إلى أن الله أفاض على القرآن من العلوم ما ملأ الأرض^(٦٥) ، وهو أصل كل علم راسخ^(٦٦) . وأهل كل علم يغترفون من بحره^(٦٧) . فظاهره حجة لكل علم ، وباطنه قدوة لكل فن^(٦٨) .

وألّف محمد بن أحمد الطبيب الاسكندراني (١٣٠٦ / ١٨٨٩) عدة كتب تتناول الآيات الكونية ، يستنبط من يقرؤها أن القرآن يحوى أسرار العلوم والكون^(٦٩) . وقد ذهب فيها إلى أن القرآن تحدث بهذه العلوم في فروعها المختلفة^(٧٠) ، ونظرياتها واكتشافاتها الحديثة^(٧١) . قبل أن يعرفها العلم البشرى^(٧٢) . وعد ذلك من الإعجاز بالإخبار بالغيب^(٧٣) . وانتهى إلى أن المؤمن

المفكر المتأمل الذي يدرك أسرار الخلق وعظمة الخالق خير من المؤمن الجاهل^(٧٤) .

ووصف عمر بن طه العطار (١٢٤٢ - ١٣٠٨ / ١٨٢٦ - ١٨٩٠) القرآن بأنه يأخذ الأشياء على ما هي عليه . ولعله أراد بذلك كون معانيه الظاهرة تتفق مع ما يشاهده الناس^(٧٥) .

وأعلن محمود بن عبدالله الألوسي (١٢١٧ - ١٢٧٠ / ١٨٠٢ - ١٨٥٤) أن الله ذكر في القرآن جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا وغير ذلك^(٧٦) .

وكان مما استند إليه في ذلك الحديث الذي ذكر أن أبا الشيخ أخرجه في كتاب «العظمة» عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : «إن الله - سبحانه وتعالى - لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخرجلة والبعوضة»^(٧٧) .

وقال : سمعت من بعضهم - والعهد عليه - أن الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي وقع يوماً عن حماره ، فرفضت رجله . فجاؤا ليحملوه ، فقال : أمهلوني ! فأمهلوه يسيراً . ثم أذن لهم فحملوه . فسئل عن سبب ذلك ، فقال راجعت كتاب الله ، فوجدت خبر هذه الحادثة قد ذكر في الفاتحة . وعلق الألوسي على الخبر قائلاً : هذا أمر لا تصله عقولنا^(٧٨) .

وقال : ومثله استخراج بعضهم من الفاتحة أيضا أسماء
سلطين آل عثمان ، وأحوالهم ، ومدة سلطتهم ، إلى ما شاء الله
من الزمان . ولا بدع فهي أم الكتاب ، وتلد كل أمر عجيب^(٧٩) .
ونذكر أن الشيخ الأكبر - قدس سره - وغيره قد استخرجوا
منه ما لا يحصى من الحوادث الكونية .

وقد رأيت جدولا حرفيا منسوباً إلى الشيخ ، كتب عليه أنه
يعرف منه حوادث أهل المحشر ، وآخر كتب عليه أنه يعرف منه
حوادث أهل الجنة ، وآخر كتب عليه أنه يعرف منه حوادث
أهل النار . وكل ذلك - على ما يزعمون - مستخرج من الكتاب
الكريم .

ومثل هذا الجفر الجامع المنسوب إلى أمير المؤمنين على ،
فإنهم قالوا : إنه جامع لما شاء الله من الحوادث الكونية . وهو
أيضا مستخرج من القرآن العظيم^(٨٠) .

ونذكر محسن عبد الحميد أن الألويسي عالج في تفسيره كثيرا
من المسائل العلمية والكونية عند تفسيره للآيات القرآنية المتعلقة
بهذا الموضوع . وهو لا يجزم بصحة هذه الأقوال العلمية . وعنده
أن القول به لا يضر بالدين ، لأن غالب الأخبار في ذلك لم تصل
إلى درجة الصحة . ومع هذا فهي قابلة للتأويل بما لا يتنافى كلام

الفلاسفة^(٨١). ولا يلجأ إلى التثويل إلا إذا قام الدليل العقلي على خلاف ما دل عليه ظاهر النص^(٨٢).

وصرح عبدالرحمن بن أحمد الكواكبي (١٢٦٥ - ١٣٢٠ / ١٨٤٩ - ١٩٠٢) بأن الإسلام أول دين حض على العلم^(٨٣)، وأول منة أجلها الله وامتن بها على الإنسان هي تعليمه بالقلم ما لم يكن يعلم^(٨٤).

ولما كان قد تابع الطيب الاسكندراني في أن المدقق يجد في القرآن أكثر ما كشفه العلم في هذه القرون الأخيرة من مسائل علمية عزاءها لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا، وهي في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً^(٨٥)، فإنه أعلن أن هذه المسائل لم تبق مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة جديدة للقرآن^(٨٦).

وذكر أنه - بالقياس على هذا - يقتضى أن كثيراً من آياته سينكشف سرها في المستقبل في وقتها المزمع تجديداً لإعجازه^(٨٧).

وألّف الغازي أحمد مختار باشا (١٢٥٣ - ١٣٣٧ / ١٨٣٧ - ١٩١٩) كتاباً باللغة التركية، سماه الرافعي «سرائر القرآن» وحنفي أحمد «رياض المختار». بناء على سيعين آية، فسرهما بأخر ما انتهى إليه العلم الحديث في الطبيعة والفلك^(٨٨).

أبان فيه أن القرآن سبق العقل الإنساني ومخترعاته بأربعة عشر قرناً إلى زمننا^(٨٩) ، وأن فيه إشارات وآيات بينات في مسائل ما برحت العلوم الطبيعية تحاول الكشف عن كنهها منذ عصور^(٩٠) .

وأعلن عبدالعزيز بن خليل المعروف بجاويش (١٢٩٣ - ١٣٤٧ / ١٨٧٦ - ١٩٢٩) أن المفكر قد يتصفح كتب الأديان على تنوعها واختلافها ، فلا يكاد يجد من بينها ما يضارع القرآن في الحث على التفكير والنظر والبحث في النواميس الكونية ، واستنباط ربوبية الله ووجدانيته ، من كل شيء تدركه الأبصار ، وتحيط به العقل^(٩١) .

وذهب طنطاوى جوهرى (١٢٨٧ - ١٣٥٨ / ١٨٧٠ - ١٩٤٠) إلى أن الإسلام دين العلوم والحكم^(٩٢) . مدح العقل^(٩٣) ، وأوجب العلوم العقلية - من حكمة وطبيعة وفلك - على الأمة^(٩٤) . وأمر بالنظر^(٩٥) . وعرف النظر بأنه ليس مجرد التحديق إلى السماء بالحدقة ، وإنما هو الاعتبار بالبصيرة والفكر بالعقل^(٩٦) . وحث على طلب العلم والصناعات . وأقسم عشرين قسماً بالأجرام العلوية وخواصها وأضوائها ومواقعها^(٩٧) ، ليعرف الناس جلالة ما صنع ، ويتبعوا حركات الأفلاك وعلوم الضوء ... لترقى نفوسهم

إلى علوها وشرفها . فهذه الأقسام مفاتيح العلوم^(٩٨) ، لأن الله ذكر جواهر الأشياء فيها ، ليلفت إليها العقول .

وخشى أن يظن عاجز في الدين أن العلم المطلوب هو معرفة أحكام الفرائض . فنفى ذلك لأنه لم يخرج عن كونه معرفة عبادة عملية . أما العلم المقصود فهو آيات الكون وحكمه ومجالي بهجته وأشار^(٩٩) . واستدل على ذلك بقول الله : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(١٠٠) بعد ذكر النظر في الجبال والأنهار والثمار والألوان والدواب والأنعام^(١٠١) .

ونقل الحمصى عن طنطاوى جوهرى أنه قال إنه لا يقصد إلى إخضاع القرآن للعلم الحديث ، فإنه قد يبطل كما بطل القديم ، ويبقى القرآن فوق الجميع . وإنما غرضه أن يأنس المسلمون بالعلم الحديث ، ولا ينغروا منه لمخالفته ألفاظ القرآن في رأيهم^(١٠٢) .

وأصدر محمد بخيت المطيعى (١٢٧١ - ١٣٥٤ / ١٨٥٤ - ١٩٣٥) - في سنة ١٣٤١/١٩٢٣ - كتابين : «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرائية» و«توفيق الرحمن للتوفيق بين ما قاله علماء الهيئة وبين ما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن» .

وصرح الرجل أن القرآن شامل لجميع العلوم الباحثة عن دقائق الأعيان الكونية في العوالم كلها : سماوية وأرضية وجوية ، وجسمانية وروحانية ، وظلمانية ونورانية(١٠٢) ... فهو بحر عذب فرات ، يفترق منه كل إنسان بحسب استعدادة(١٠٤) وعلى حسب مشربه ، ويرده كل متعطش للوقوف على حقائق الموجودات بجميع أنواعها(١٠٥) .

ولا شئ مما قاله علماء الهيئة يصادم شيئاً من الآيات والأحاديث(١٠٦) ، بل إن كلا منها – كما يتمشى مع ما قاله علماء الهيئة القديمة – يتمشى مع ما قاله علماء الهيئة اليوم(١٠٧) . وعلى ذلك بأن ما جاء فيهما لم يتعرض لمواضع الخلاف ، أو مذهب دون مذهب ، بل الذي قالوا به يقول به الجميع ويصح أن يتفرع على كل المذاهب ، ولا لشئ من العلل والأسباب التي تختلف باختلاف الآلات الرصدية حسب اختلاف الأزمنة ، وباختلاف الألفهام والأدلة الحسابية والهندسية . بل ترك الله ذلك لذوى العقول والهمم العالية(١٠٨) .

وصرح بأن القرآن بين في نفسه لا يحتاج إلى ما يبينه . ومن ثم احتاج إلى تبرير جهل المسلمين بما حوى من علوم عرفت في أزمنة متطاولة . فقال : إنما خفاء بعض ما يراد منه يرجع إلى قصور عقول البشر لا إليه في ذاته(١٠٩) .

وذكر أن القرآن حرر العقول من رقة التقليد ، وفك عقالها من قيوده^(١١٠) . ولم يقبل من المكلفين إلا أن يكونوا مجتهدين في إيمانهم وعقائدهم التي تؤخذ من طريق العقل^(١١١) .

وذهب أحمد أمين الديك إلى أن في القرآن ما عز فهمه . على عقول شتى ، وأن الله أخذ على نفسه - تفضيلاً منه - عهداً أن يبينه مع تعاقب الأزمنة ، قال : «إن علينا بيانه»^(١١٢) و«لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون»^(١١٣) و«ولتعلمن نبأه بعد حين»^(١١٤) .

وليس معنى ذلك أن الله سينزل وحياً يفسر ما لم تتمكن العقول من فهمه . ولكن معناه أن نتائج أبحاث العلماء ستهدم من العلم ما انبنى على قاسد ، وتبرز الصحيح . وعندئذ تظهر كفايته - تعالى - فيتضح معنى الآيات التي حجبتها عن الأذهان النطاق العلمي الضئيل^(١١٥) ، أو الأصول الوهمية من علم ذلك العصر^(١١٦) . وفي تلك اللحظة ، وفي نفس المكان ، اللذين يتحقق فيهما معنى الآية بإدلة العلم الصحيح ، ينتهي الحين الذي ضربه - سبحانه - في آية سورة **آل عمران** ، ويكون المستقر لما أنبأ به^(١١٧) . وستستمر نتائج الجهود المتتابعة بتتابع الزمن أدلة على صدق ذلك النطق الكريم^(١١٨) .

وأعلن مصطفى صادق الرافعي (١٢٩٨ - ١٣٥٦ / ١٨٨١ -

(١٩٣٧) بعبارة الأدبية أن القرآن معجزة التاريخ العربي خاصة ، وأنه - بتأثره النامية - معجزة أصلية في تاريخ العلم كله ، على بسيط هذه الأرض ، من لدن ظهر الإسلام إلى ما شاء الله (١١٩) . لم يتفق له - في ذلك - شبيه من أول الدنيا إلى اليوم ، وإن يتفق . فهو كتاب الدهر كله (١٢٠) .

ولعل متحققا بالعلوم الحديثة ، لو تدبر القرآن ، وأحكم النظر فيه - وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ، ولا يلتوى عليه أمر من أمره - لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم ، وإن لم تيسر من أنبائها ، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها (١٢١) .

بلى ، وإن في هذه العلوم الحديثة لعونا على تفسير بعض معاني القرآن (١٢٢) .

ولو جمعت أنواع العلوم كلها ما خرجت في معانيها من قوله : ﴿ في الأفاق وفي أنفسهم ﴾ . هذه أفاق ، وهذه آفاق . فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهة ، فليس يصح في الأفهام شيء (١٢٣) .

ومن أدلة إعجاز هذا الكتاب أن يخطئ الناس في بعض تفسيره على اختلاف العصور ، لضعف وسائلهم العلمية ، ولقصر

حبالهم أن تعلق بأطراف السماوات أو تحيط بالأرض . ثم تصيب الطبيعة نفسها في كشف معانيه(١٢٤) .

فكلما تقدم النظر ، وجمت العلوم ، ونازعت إلى الكشف والاختراع ، واستكملت آلات البحث ، ظهرت حقائقه الطبيعية ناصعة(١٢٥) ، حتى كأنه غاية لا يزال عقل الإنسان يقطع إليها ، وحتى كأن تلك الآلات حينما توجه لآيات السماء والأرض توجه لآيات القرآن أيضا(١٢٦) .

وعلل عدم معرفة العرب الذين عاصروا نزوله لعلومه : بأمية النبي - ﷺ - وأميةهم(١٢٧) .

وقد نزل القرآن بتلك المعاني ليخرج للأمة من كل معنى علما برأسه ، ثم يعمل الزمن عمله ، فتخرج الأمة من كل علم فروما ، ومن كل فرع فنونا ، إلى ما يستوفى هذا الباب على الوجه الذي انتهت إليه العلوم في الحضارة الإسلامية(١٢٨) .

ولما كان القرآن قد أنزل في حدود ضعيفة ، لا علم فيها(١٢٩) . ولا آلات علم(١٣٠) ، فحسبك بذلك وحده برهاننا على أن هذا الكتاب جملة من الأزل تحولت في معنى ومنطق ، وجاءت لغيره غاية(١٣١) . ولا مست الناس لتكون فيهم سببا لرسوخ الإيمان ثم نظاما للإيمان نفسه(١٣٢) .

ورأى في ذكر الآيات الكونية والعلمية دليلا على إعجاز آخر ،
فالقرآن بذلك يوصلنا إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجبهة
العلمية القائمة على البحث والدليل ، وأن الإنسانية ذاهبة في أرقى
عصورها إلى هذا المذهب ، وأن الدين سيكون عقليا ، وأن العقل
هو آخر أنبياء الأرض(١٣٣) .

وذهب د. عبدالعزیز اسماعیل إلى أن القرآن أعجز العرب
المتقدمين بقصافته . ولما كان أكثر المتأخرين أمثالنا لا يقدرُونَ
الفصاحة حق تقديرها ، كان من الضروري وجود إعجاز من نواح
أخرى(١٣٤) .

حقا إن القرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك أو أي علم
من العلوم(١٣٥) . ولكنه يضم آيات تحتوي على كثير من الحقائق
التي لم يعلمها العلماء إلا حين كشف العلم الحديث عن
معناها(١٣٦) ، بعد مرور ألف سنة على الدين الإسلامي(١٣٧) ،
وعلى آيات لم تتقدم العلوم لتفسيرها إلى الآن(١٣٨) ، وستكشف
كلما تقدمت العلوم(١٣٩) ؛ ويشير أحيانا إلى سنن طبيعية(١٤٠) .
وبما أنه صادر من واضع السنن كلها(١٤١) ، كان جميع ما فيه
حقا لاشية فيه(١٤٢) ، وإن لم يدرك ذلك وقت نزوله إلا على طريق
الإجمال أو التأويل(١٤٣) .

وقد خاطب القرآن الناس على قدر عقولهم^(١٤٤) ، على أنه لم يقل إلا حقاً^(١٤٥) . ولا بد أنه كان صعب الفهم على العرب وقت نزوله . وما يزال كذلك إلا إذا نظر إليه على ضوء العلم الحديث . فإنه لا يفهم الآيات العلمية إلا من درس العلوم الحديثة^(١٤٦) . ومن يفعل ذلك يظهر له إعجاز القرآن بطريقة أقرب إلى إقناعه من فصاحته^(١٤٧) ، لأنه عالم ببعض العلوم وجاهل بالفصاحة^(١٤٨) . وكلما تقدمت العلوم ظهرت حكمة القرآن^(١٤٩) ، ويظهر أن كل شيء لا يتفق معه باطل^(١٥٠) . وإذا كان قد صعب إدراكه وقت نزوله إلا على طريق الإجمال أو التثويل^(١٥١) ، لعدم استحسان العلوم إذ ذاك^(١٥٢) ، فإنه - مع الترقى في العلوم - قل ما كان يعتمد إلى تثويله ، وكثر ما يجب أخذه على ظاهره^(١٥٣) . وهكذا يزداد إيمان المؤمنين^(١٥٤) ، ويأتي وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس إلى الدين^(١٥٥) .

ونفى محمد مصطفى المراغي أن يكون القرآن اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلاً^(١٥٦) ، وبالأسلوب التعليمي المعروف^(١٥٧) ، وإنما أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته والعمل به ، ليبلغ درجة الكمال جسداً وروحاً^(١٥٨) ، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا

للناس جزئياتها^(١٥٩) بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائنون فيه^(١٦٠) .

ورجاء أن يكون لكتاب عبدالعزيز اسماعيل تأثير عظيم في التدليل على إعجاز القرآن من الناحية الطبية ، أو زيادة معرفته^(١٦١) .

وأعلن الحاج الدكتور محمد وصفي : مازالت معجزات القرآن يكشفها العلم^(١٦٢) . ومازالت العلوم كلما تقدمت جلت الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الغافلين^(١٦٣) . وسنرى اليوم الذي يبحث فيه العالم في الكتاب الكريم عن بغيته^(١٦٤) ، ويحاول استخراج كنوز العلوم والفنون من بين كلماته ومعانيه^(١٦٥) .

واختار أحمد كامل ضو سبع آيات تمت بصلة إلى العلوم الزراعية - وهي تخصصه - فأقام عليها كتابه «القرآن الكريم والعلوم الحديثة» . وجاهر فيه بأن القارئ سوف يلمس بفؤاده - قبل حواسه - ما في القرآن من إعجاز علمي^(١٦٦) . بعد إذ اعتقد كثير من الناس أن إعجازه إنما إعجاز بالأسلوب البلاغي فقط .

وكتب محمد عرفة تقريراً عن الكتاب ، ذكر فيه أن التفسير العلمي يحفز الهمم إلى استجلاء أسرار القرآن^(١٦٧) ، ومعرفة وجه

العظيمة فيه^(١٦٨) ، وأن في البحث في أسرار القرآن غذاء للعقل^(١٦٩) ، وتزكية للروح^(١٧٠) ، وكمالاً للإيمان^(١٧١) .

ونذكر على فكرى أن القرآن أشار بوضوح تام إلى العلوم الكونية التي تدرسها العالمان القديم والحديث^(١٧٢) ، إذ جاءت بها بعض الآيات إما تصريحاً أو تلميحاً ، وأن الله أمر عباده مراراً في آياته البينات بالانقياد بالتبصر^(١٧٣) ، والتدبر^(١٧٤) .

ويصف صلاح الدين خشية القرآن بأنه معجزة النبي الذي دعا الناس إلى السير في الأرض^(١٧٥) ، والاستزادة من العلم ، ويكفه معجزة دائمة^(١٧٦) لشعوب العالم كافة عريبتها وعجميتها^(١٧٧) . وكلما اتسعت معلومات الإنسان وجد في آيات الله معاني أعمق وأدق^(١٧٨) .

ونذهب محمد عبدالله دراز إلى أن القرآن استخدم الحقائق الكونية الدائمة في الدعوة إلى الإيمان والفضيلة^(١٧٩) .

وقول قاصر أن تقول : إن القرآن دائرة معارف عصره . فلقد كانت لجميع العصور أوهامها التي اعتبرت حقائق مقبولة ، ولم يثبت خطأها إلا فيما بعد . ولكن القرآن - في مسلكه بين مجالات العلم لا يتأرجح أبداً ، والحقائق التي يسوقها كانت - وستظل - لا تقهر^(١٨٠) .

وهي حقائق من النوع الذي يسهل على جميع العقول إدراكه^(١٨١) واستخلاص الفائدة الأخلاقية منه^(١٨٢). ولهذا نرى مكانه سامقا فوق كل الاعتبارات الجغرافية والعنصرية وغيرها^(١٨٣).

وفي سنة ١٩٥٠ ، صرح محمد سعدى المقدم بأن في القرآن آيات تليت على الملأ ، منذ أربعة عشر قرنا ، على لسان محمد ﷺ - جاء أينشتين ومشرفة وجينز وأشتراسمان وادغتن وغيرهم ليعيدوا تلاوتها على الناس في القرن العشرين ، وليفسروها ويوضحوا أعماقها وخفاياها^(١٨٤).

وسمى حنفي أحمد كتابه - في طبيعته الأولى سنة ١٩٥٤/١٣٧٣ - «معجزة القرآن في وصف الكائنات» ، وفي طبعته الثانية سنة ١٩٦٠/١٣٨٠ «التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن» .

وسمى فيه الآيات العلمية بالآيات الكونية ، نسبة إلى اختصاص معانيها بالكون المادي^(١٨٥) . وعرفها بأنها الآيات التي تتحدث عن خلق العالم المادي ، وتعرض على العقول نظام الأكوان ، وما فيها من دلائل العلم الواسع ، والقدرة العظيمة في الخلق ، والحكمة البالغة في التوجيه ، والرحمة الواسعة بال مخلوقات^(١٨٦) ،

وتطلب إليها التدبير والتأمل فيما تحكيه عنها ، وتحثها على النظر فيها ، وتجادل المعارضين ، وتنعى عليهم إعراسهم وغفلتهم(١٨٧) .

وصنف هذه الآيات صنفين :

١ - ما يشير إلى سنته - تعالى - وطريقته في إيجاد المخلوقات وتدبير أمرها .

٢ - ما يشير إلى أنواع المخلوقات ودلالاتها دون وصفها ، أو يصفها من حيث التكوين والتخصيص بالصفات، ثم الهداية إلى غاياتها المحددة التي خلقت من أجلها . وهذا النوع هو غالب الآيات الكونية(١٨٨) .

وأعلن أن ما تنطوي الآيات الكونية عليه من معانٍ دقيقة يدل على أنها موجهة إلى أهل النظر والبحث بصفة خاصة ، وأنهم هم المقصودون بأمر كشفها ومعرفتها ، لأنهم يملكون بعلمهم وسيلة معرفتها دون سواهم(١٨٩) .

واستغرب أنه - على الرغم من ذبوع العلم الحديث وتقدمه العظيم، في النصف الأول من القرن الحالى - لم يعرف إلى الآن من دقائق معانى حديث القرآن عن الكائنات سوى نزر قليل(١٩٠) . وأرجع السبب فى ذلك إلى عوامل شتى ، أهمها :

١ - وراثة العقيدة التى كانت - ولا تزال - سائدة فى الأزمان

بأن القرآن رسالة هداية ، لا شأن لها بأصول العلوم الكونية ، وأن حديثه عن الكائنات لا يحتاج في فهمه إلا لمجرد التعقل والخبرة العادية ، وأنه بذلك لا يحوى دقائق أو تفاصيل عن طبائع الكائنات، تتطلب علما خاصا لإدراكها^(١٩١) .

٢ - رؤية أهل العلم والمتعلمين الحديث عن الكون مفروق الأجزاء بين السور والآيات المختلفة ، على غير ما هو مألوف لديهم فى تصنيف الكتب العلمية . فظنوا أنه لا علاقة بين أجزاء هذا الحديث فى الموضوع الواحد^(١٩٢) .

وغاب عنهم أن هذا التفريق إنما هو مقصود لحكمة بالغة ، وأن هذه الآيات أو الأجزاء المفرقة فى الموضوع الواحد : مثلها مثل الجزئيات والحقائق العلمية التى يقرأها البحث العلمى متفرقة أولا ثم يكون منها بعد ذلك - بالجمع والاستقراء والتطبيق - الأصول والقواعد العامة^(١٩٣) .

٣ - تسرب عقيدة الإفرنج بأن الكتب المنزلة جميعا لا تحوى علما دقيقا بالكائنات إلى أذهان المثقفين بالعلم الحديث من المسلمين ، وتطور هذه العقيدة - بعد ذلك - فى أذهانهم - كما تطورت فى أذهان الإفرنج - إلى أن العلم والدين ضدان لا يجتمعان^(١٩٤) .

٤ - عدم الاهتمام بالتثقيف والتهديب الديني بجانب التثقيف
 بالعلم الحديث ، في معاهد التعليم العام والعالى ، تثقيفا يربى
 العقيدة الصحيحة ، ويخلق الشخصية القوية(١٩٥) .

٥ - ما شاهدوا من مخالفة كثير من القوانين ونظم الاجتماع
 في البلدان الإسلامية مخالفة صريحة لتشريعات الدين ، باسم
 السير مع عجلة الزمان(١٩٦) .

وصرح بأن للآيات الكونية معاني ظاهرة عامة ، وأخرى دقيقة ،
 وأن الشخص العادي يستطيع أن يستجلي بفكره المعاني الأولى ،
 لأنها واضحة سهلة تصور له صنعة الخالق كما يشاهدها . وأما
 المعاني الثانية فلا يصل إلى سرها إلا من أوتوا حظا وافرا من
 العلم بفسرار الموجودات ، الذين يرون في ألفاظ القرآن وعباراته
 فوق معانيها الظاهرة معاني أخرى تنطوى على أصول من
 العلم الواسع عن الكائنات(١٩٧) ، الذي لم يكن معروفا للناس من
 قبل ، ولم يتعرفوا عليه إلا تدريجا(١٩٨) ، بعد انتشار العلم الحديث
 بينهم في القرنين الأخيرين(١٩٩) . وصرح في مرة أخرى بأن
 الآيات تفيد صفات عن النجوم لم يكن يعرفها أحد عند ظهور
 القرآن ، ثم أظهرها البحث العلمي الدقيق(٢٠٠) ، بعد ذلك يقرون
 عديدة(٢٠١) .

وأعلن الإعجاز صراحة في قوله : جاء القرآن معجزاً بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة ، عن الجانب المادى من الكون(٢٠٢) ، مما لم يكن للناس علم به قبل نزوله أو بعده(٢٠٣) ، حتى جاء العلم الحديث ، بوسائل بحثه الدقيق(٢٠٤) ، المستندة إلى الخبرة والمشاهدة(٢٠٥) ، منذ أكثر من قرنين من الزمان ، فكشف عن كثير منها .

ولما كان يصعب على غير العرب إدراك معجزة القرآن الكبرى في بلاغته وأسلوبه ، كان لهم في الإعجاز العلمى واحدة من معجزاته الأخرى(٢٠٦) ، التى يمكنهم - عن طريق ترجمة معانيه إدراكها ، فتلزمهم الحجة يصدق دعواه(٢٠٧) .

ونذكر أن القرآن احتوى هذا العلم ليكون له آية في نشر دعوته(٢٠٨) ، كلما انتشر العلم بين الناس ، وحجة قائمة يصدق دعوته(٢٠٩) ، وصدق وعده ووعيده(٢١٠) ، وكمال صفات الله وأفعاله(٢١١) ، وأن القرآن ليس من كلام البشر(٢١٢) .

وأخيراً عاب على طنطاوى جوهري - مع حسن تقديره له - أنه زاد في حديثه حتى جاوز حدود معانى الآيات ، ولم يحاول الجمع بينها ، فخفى كثير من حقيقة العلم المنزل فيها ومقداره(٢١٣) .

ونقل محمد الغزالي عن د. محمد أحمد الغمراوي في كتاب «سنن الله الكونية» أنه نقل عن نهج العلماء في الوصول إلى الحقائق العلمية : هذه الطريقة هي طريقة العلم في الاجتهاد . وبينها وبين طريقة اجتهاد المجتهدين في الدين وجه شبه مهم ، هو أن رجال العلم يستوحيون الحقيقة من صنع الله ، وعلماء الدين يستوحيون الحقيقة من كلام الله وحديث رسوله(٢١٤) .

فكل في الحقيقة مرجعه إلى الله(٢١٥) ، إذ أن هذه الحقائق الطبيعية التي يكشف عنها العلم ببحوثه : إن هي إلا نوع من كلمات الله ، أو هي كلمات الله الواقعة النافذة ، كما أن آيات القرآن هي كلمات الله الصادقة المنزلة(٢١٦) .

فالإسلام متسع للعلم كله : حقائقه ، وقروصه(٢١٧) .

ونقل عن هبة الدين الحسيني الشهرستاني من علماء الشيعة : أكثر ما يعجب في القرآن أنه لم يتخصص بفن واحد من الفنون .. مما نطق به أمس وانكشف سره اليوم(٢١٨) .

أما محمد الغزالي نفسه فقد أبان أنه ذو تصور واسع للعبادة في قوله : إن درسا في الطبيعة والكيمياء هو صلاة خاشعة . وإن سياحة في علم الأفلاك هي تسبيح وتحميد . وإن جولة في الحقول الناضرة والحدائق الزاهرة ، أو جولة

متلها في المصانع الطافحة بالحركة الماثجة بالوقود والانتاج ، هي صلة حسنة بالله .

ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد(٢١٩).

وقد أرجع خلود القرآن إلى جملة الحقائق التي حواها ، لأنها من القبيل المقطوع بصدقه (٢٢٠).

ورأى من أسرار إعجازه احتواءه على أسرار علمية ، لم تهتد العقول إليها بعد عصر القرآن إلا بمعونة الأدوات الدقيقة والآلات الرقيقة المستحدثة(٢٢١).

وكلما زادت معرفتنا بعادة الوجود وسره ، أحسنا أن عظمة المبدع الماجد فوق ما يطيقه وعينا المحدود(٢٢٢).

ولا يصدك عن الحق أن هناك علماء بالكون يجهلون ربهم ، فإن أسباب جهلهم أو جردهم لا تنبعث من هذه الدراسات(٢٢٣).

كذلك لا يقبل من أحد أبداً أن يغض من شأن الدراسات الكونية : لأنها لم تهد بعض الملحددين إلى رب العالمين(٢٢٤) .

وإذا لوحظ أن هناك اختلافاً ، فليس بين علم ودين ، بل بين دين وجهل أخذ سممة العلم ، أو بين علم ولغو ليس سميت الدين(٢٢٥) .

لا عجب إذن أن تكون العلوم الكونية عنده في صميم المعارف

الإسلامية ، بل هي أولى بالله وبدينه من أكثر العلوم المنسوبة إلى الإسلام الآن(٢٣٦) .

وذهب عبيد الرزاق نوفل ، في «الله والعلم الحديث» إلى أن الإعجاز العلمي للقرآن لا يقتصر على إيراد الآية للحقيقة العلمية قبل أن يجيء بها العلم بعشرات المئات من السنين(٢٣٧) ، ولكننا نجد أن الآية الواحدة تحمل أكثر من حقيقة واحدة ، وتشير إلى أكثر من معنى واحد من المعاني العلمية(٢٣٨) . وهذا وجه من إعجاز القرآن العلمي(٢٣٩) .

ورد في «القرآن والعلم الحديث» على من قالوا : إن القرآن كتاب دين فقط . وأعلن أنه كتاب جمع فأنوع(٢٤٠) ، وإنك لتجد فيه كل ما تريد(٢٤١) .

كذلك رد على من قالوا : إنه ليس كتاب علم . فقال :
لقد فاتهم أن أول آية نزلت في القرآن هي الأمر بالقراءة ، ثم تكرار الأمر في الآية اللاحقة ، وتوجيه النظر إلى علم خلق الإنسان(٢٤٢) .

بعد القراءة نجد الدعوة إلى العلم بالقلم ، أي الدعوة إلى الكتابة(٢٤٣) .

قرر أن العلم من الله تشريفاً وتكريماً للعلم(٢٤٤) .

ليس كالقرآن كتاب كرم العلماء (٢٣٥) .

تكررت ألفاظ العلم في القرآن (٢٣٦) .

حوى علوم الطبيعة والفلك والجيولوجيا والنبات والحيوان والزراعة والوراثة وعلم النفس والطب الاجتماعي والصحة والتاريخ والجغرافيا والميتافيزيقا ، وما لا سبيل إلى حصره (٢٣٧) .

أورد كل الحقائق التي وصل إليها الإنسان بعد اجتهاد دام عشرات السنين (٢٣٨) . للقرآن فضل السبق على العلم (٢٣٩) .

وقد أسلمه كل ذلك إلى أن يقول : أثبت التقدم الفكري في العلوم في العصر الحديث أن القرآن كتاب علم ، جمع أصول كل المعلوم (٢٤٠) . ووصفه بالإعجاز العلمي الذي يخرس كل مكابر (٢٤١) .

واستهل عبد الرزاق نوفل كتاب «بين الدين والعلم» بالإشاعة التي يروجها الملحدون والمعرضون عن معارضة العلم للدين ، ثم أرجع هذه الإشاعة إلى الأسباب التالية :

١ - قصور العلم عن إدراك بعض حقائق الدين ، التي لا يمكن أن تكون موضع دراسات تجريبية (٢٤٢) .

٢ - سبق الدين إلى إيراد حقائق لم يصل إليها العلم بعد (٢٤٣) .

- ٣ - الاسرائيليات التي دسها المفرضون في بعض تفاسير القرآن ، ونقلها البعض بعد ذلك (٢٤٤) .
- ٤ - فتح باب التفسير على مصراعيه ، فحاوله المختصون وغير المختصين ، فظهرت تفاسير لايات بعيدة كل البعد عن حقيقة ما تقصده (٢٤٥) .
- ٥ - تفسير المفسرين الايات التي لا تدخل في نطاق ما حصلوه من علوم (٢٤٦) .
- ٦ - تفسير آيات لم يصل العلم إلى الوقوف على حقائقها بعد (٢٤٧) .
- ٧ - تفسير المفسر برأيه في آيات سياقها لا يستقيم وهذا الرأي (٢٤٨) .
- ٨ - مغالاة بعض العلميين في تفاسيرهم ، وذلك بتحصيل الآية من العلوم ما لا يتفق وسياقها (٢٤٩) .
- ٩ - المحاولات الفردية لتفسير القرآن بأكمله ، إذ لا يمكن للفرد - مهما كانت طاقته ودرجة علمه - القيام بتفسير آيات القرآن كلها ، بكل ما تضمنه القرآن من علوم وإعجاز (٢٥٠) .
- ١٠ - تخلفه في الاهتمام بالتفسير العلمي ، خوفا على الآيات

من أن يعرضها لنظريات علمية قد تتغير ، مما يثير الشك فيها(٢٥١) .

وعاد إلى تأكيد دعوة الإسلام للعلم ، وتكريمه له ، فإضاف :

١ - إطلاق لفظ العلم على الله ، وتكريره(٢٥٢) .

٢ - رفع قدر العلماء إذ جعلهم الله بعد الملائكة في شهود وحدانيته(٢٥٣) .

٣ - تمييز آدم بالعلم على الملائكة(٢٥٤) .

٤ - قسم الله بأنوار العلم(٢٥٥) .

وقرر أن القرآن سبق العلوم :

سبقاً زمنياً يمثله عشرات المئات من السنين .

وسبقاً نوعياً يظهر فيما تورده الآيات من حقائق قاطعة ، لا

يجرى عليها ما يجرى على العلم من فروض تتعدل ، ونظريات

تتحول ، وآراء تنبذ . إنما هي الحق الساطع ، والقول الصادق ، لا

يأتيه الباطل ، ولا يرقى إليه الشك(٢٥٦) .

كما قرر أنه سبق العصر الحديث في تقريره لوسائل الدراسة

الحديثة ، التي تعد أقصى تقدم وصل العلم إليه(٢٥٧) .

إن الدراسات أظهرت أن كل آية إنبا تتضمن علوماً عديدة ،

وتوجيهات سديدة(٢٥٨) .

لا عجب إذن أن ينتهي إلى أن القرآن يحظى بإعجاز علمي يشمل كافة العلوم بلا استثناء^(٢٥٩) ، أصبح مما لا يحتاج إلى دليل على بيانه ، فقد اجتهد العلماء في ميدانه ، وفي كل يوم يضيفون إلى هذا الإعجاز إشراقات جديدة^(٢٦٠) .

ورد على من اعترضوا على التفسير العلمي بأنه قد يكون لبعضهم الحق إذا كان ما يدعو إليه هو التفسير بالنظريات العلمية. ولكن لم يتجه أي إنسان مخلص في دعوته إلى النظريات العلمية بل إلى الحقائق العلمية . وأعلن أن الفارق بينهما كبير جداً: إذ أن النظرية العلمية هي ما لم يتم الدليل على صحته بدرجة تجعله حقيقة غير قابلة للتطور أو التغيير أو التعديل^(٢٦١) .

ومع ذلك تسأل : هل إذا ظهر العلم بعد ذلك بحقيقة أخرى تغاير ما فسرت به الآية : هل يمكن لقائل أن يقول : إن الخطأ في الآية ؟ أم ترى سيقول الناس : لقد أخطأ المفسر^(٢٦٢) .
وذهب في «محمد رسولا نبيا» إلى أن الإعجاز العلمي من أهم أوجه الإعجاز^(٢٦٣) .

وعرف د. محمد حسين الذهبي التفسير العلمي بالتفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها^(٢٦٤) .

ورد عبدالحليم كامل على من وصفوا القرآن بالجمود ، وعابوا عليه الاستقرار والثبات قائلا : لو فكروا قليلا ، ونظروا إليه نظرة خالية من الحقد ، لا يفسدها تعصب أعمى ، ولا يشويها غرور المعرفة ، لوجدوا في هذا الثبات إعجازا(٢٦٥) ، ولعرفوا أنه - على رغم ذلك الثبات - يساير كل عصر ، فهو ثابت أبدا(٢٦٦) ، ويزداد على مرور الزمان قوة(٢٦٧) .

كيف لا ، وهو - مع ثباته - سائر دائما مع الرقى العلمي جنباً إلى جنب(٢٦٨) ، يوافق الحقائق الكونية والاجتماعية ؟

بعد ذلك من وجوه إعجازه .
وقال : إذا علمنا ذلك علمنا أنه الحق(٢٦٩) . يفسره علم اليوم، ويؤيده ما يكشف عنه البحث في الغد . وفي هذا دليل على القوة(٢٧٠) .

وقد ثبت أن رسول الله - ﷺ - لم يفسر من القرآن إلا القليل . وما كان ذلك عن تقصير أو عجز ، ولكنه بين ما في كتاب الله من الشرائع والشعائر . وما بقي تكشفت آياته على الأيام معجزة للخلق(٢٧١) .

وكما نعرف من تاريخ العلوم أن الاستقرار والثبات لا يلزمان العلم ، احتاط كثير من العلماء . ومنهم المرجوم د . محمد ولي بوضع كلمة «كأن» أمام كل حقيقة علمية دفعا لشبهة ، واحتياطاً لما يكشف عنه الغد من خطأ(٢٧٢) .

وأعاد د. عفيف عبدالفتاح طيارة القول بأن القرآن كتاب هداية وإرشاد ، ليست مهمته أن يتحدث إلى عقول الناس عن مشكلات الكون ، وحقائق الوجود العلمية^(٢٧٢) ، وأن محمداً كان بعيداً عن المحيط العلمي الذي كان موجوداً في الشام ، والاسكندرية وأثينا وروما^(٢٧٤) ، ومع ذلك لم تخل آياته من حقائق كثيرة في المسائل الطبيعية والطبية والجغرافية^(٢٧٥) ، عرف بعض أسرارها في العصر الحديث^(٢٧٦) ، مما يدل على تنزه الله^(٢٧٧) ، وتقدسه^(٢٧٨) .

ووصف د. محمد جمال الدين الفندى في «القرآن والعلم» من رفضوا التفسير العلمي بأنهم نسوا أن هذا جانب من علوم القرآن يجب ألا يغفل الاجتهاد فيه ، بعد أن صار العلم هو اللغة التي يفهمها كل الناس^(٢٧٩) ، والحجة التي يتقبلونها عن طيب خاطر^(٢٨٠) ، ليتم إسلامهم وتطمئن قلوبهم^(٢٨١) .

ورد على من يخاف من التفسير العلمي ، لأنه يتخيل أن الحقائق التي نسلم بها اليوم – عندما يصيبها شيء من التطوير بتقدم ركب العلم – يمكن أن يؤدي ذلك إلى قلبها رأساً على عقب . فقال : إن شيئاً من ذلك لا يمكن أن يحدث . فالتعديلات التي قد تطرأ على بعض الحقائق العلمية هي بمثابة إضافات أو تعميمات . وإن يمس ذلك كتاب الله في شيء^(٢٨٢) .

وصرح - في فصل «علوم الفضاء في القرآن» - : لقد سبق القرآن ركب العلم في كافة نواحي هذا الميدان الخطير (٢٨٣) ، الذي فتح أمام البشر أفاقاً واسعة في الأرض والسماء ، تظهر آيات الخالق (٢٨٤). وتنبأ بهذا العصر ، وبمحاولات البشر لغزو الفضاء على النحو الذي تسمح به وراثه اليوم . وذلك في وقت لم يكن فيه العرب يستخدمون أية وسيلة للسفر سوى الدواب (٢٨٥) .

ونذكر أن القرآن أمر المسلمين بالتدبر في أنفسهم وفيما حولهم ليلمسوا عناية الله في كل شيء (٢٨٦) . وأعلن أن العلم الحديث والقرآن يتفقان في النظرة إلى الظن واليقين . فالتفرقة بين الظن واليقين والحقيقة والخيال هي الأساس المتين الذي عليه قام صرح العلم الحديث . ويثبته القرآن الأذهان إلى عدم الأخذ بمجرد الظن أو التخمين (٢٨٧) .

وخلص إلى أن الإسلام جدير بحق أن يسمى دين عصر العلم (٢٨٨) . وقال في «قصة السموات والأرض» : يلزم المؤمن أن يلم بالناحية العلمية الحديثة ليدرك التوافق الجميل بين العقل والدين ، وبين العلم والدين (٢٨٩) .

ولسنا نعتقد أن الخصام الذي في مخيلات الكثيرين تنادي به الأديان السماوية أو تحدث عليه (٢٩٠) .

ولا ندعي أن الكتب السماوية مراجع علمية بالمعنى المعروف ،
تسوق الحقائق العلمية مفصلة كاملة^(٢٩١) ، إلا أنها - ولاشك -
تحتوي على قدر من الحقائق العلمية التي تناول أغلبها النشأة
الأولى وقصة السماوات والأرض^(٢٩٢) .
لقد ظهر إعجاز القرآن بالذات في صورة رائعة في هذا
العصر الذي تقاس فيه الأمور ، بل تقاس فيه درجات الأمم ، بما
توافر لدى الأفراد من علم حديث ومعرفة^(٢٩٣) .
وصرح في «من روائع الإعجاز» : في القرآن قضايا علمية
عامة تبهر العقول المنفتحة^(٢٩٤) .
الجاهلون بالقضايا العلمية هم وحدهم الذين يعتبرون كتاب
الله وقفا على ما ألفوا من إعجاز لغوي أو سحر في فنون البلاغة .
ولكنهم نسوا أن القرآن معجزة خالدة ، ولابد أن يؤمن به أهل كل
عصر ، فهل البلاغة لغة هذا العصر ؟ وهل يفهم سكان الأرض
اليوم لغة غير لغة العلم^(٢٩٥) ؟
وقال في «الله والكون» : كل آية عبارة عن قانون طبيعي على
حد تعبيرنا الحديث^(٢٩٦) .
وعاد ثانية إلى قضية تغير العلوم فأعلن أن الحقائق العلمية لا
تتغير وإنما قد تعدل أو تحور داخل إطار ضيق ، ولا يقبل العلماء

أية حقيقة ولا يوافقون على صحتها إلا بعد أن يتم التأكد من سلامتها ، وبعد أن يعيدوا إجرائها ومشاهدتها أو دراستها عدة مرات(٢٩٧) .

وكان يعقوب يوسف حاسما في القول بأن القرآن ليس كتاب علم (٢٩٨) . ونجد شرح هذه العبارة في قوله : بمعنى أنه لا يهدف إلى أن يزيد في المعرفة النظرية لبنى البشر(٢٩٩) ، وقوله : القرآن ليس كتاب نظريات علمية(٣٠٠) .

ولكنه كان حاسما أيضا في وجود الاشارات العلمية في القرآن . نتج ذلك في قوله : القرآن حافل باللفتات إلى تكوين الكون والإنسان(٣٠١) ، وقوله : حوى إشارات كثيرة إلى بعض الحقائق الطبيعية والطبية وغير ذلك من العلوم(٣٠٢) ، وقوله : في كل مرة تقرؤه تجد فيه لفتات لم تكن صادفتك في المرة السابقة(٣٠٣) .

وكان حاسما في القول بالإعجاز العلمي . قال : يكتشف فيه كل جيل من المعانى ما يبهره(٣٠٤) ، ويجعله يعيش في مهرجان دائم من المعجزات(٣٠٥) . وقال : كلما تقدم العلم البشرى ، وجد في هذا القرآن معجزات علمية جديدة ، لم تكن معلومة لدى من سبق من الأجيال(٣٠٦) .

ووصف محمود أبو الفيض المتوفى القرآن فقال : أنزله الله
معبرا عن الحقائق الكونية والروحية(٣٠٧) . فكان الموسوعة الكبرى
لكل معرفة أو معتقد(٣٠٨) . وبهذا وذلك صار مرجعا أعظم للعلوم
والمعارف الطبيعية والروحية والإلهية في أسلوبه المعجز الخاص
به(٣٠٩) .

وذكر عبد القهار داود العاني أن بعض الباحثين المتأخرين
أضاف الإعجاز العلمي إلى وجوه إعجاز القرآن . وهو وروى
حقائق علمية فيه لم يستطع العلم الحديث إثباتها إلا
متأخرا(٣١٠) .

وعاب الإسراف في تفسير الآيات علميا من بعضهم ، حتى
أغرق المكتبات بكتبه دون تمحيص أو تدقيق(٣١١) . ووصم هذا
المسلك بأنه مسلك غير سليم ، ومنهج غير صحيح(٣١٢) .

وكان د. محمد أحمد الغمراوي أول علماء العلوم البحتة اتفاقا
مع فقهاء الدين الذين ضموا السنة – بل كل ما دخل تحت نص
قرآني عام عند بعضهم – إلى الآيات ، وعدها معا نص عليه
القرآن(٣١٣) .

وأعلن أن العلم تفسير عملي في عالم المادة لآيات القرآن(٣١٤).
وفي القرآن آيات تتطوى على حقائق كونية ، لم تثبت إلا بالعلم

الحديث . فكل منها معجزة علمية قرآنية تثبت نوعاً من الإعجاز يرجع إلى العقل والحس الملموس لا إلى اللغة^(٣١٥) . وتلزم حجته عقلاء الناس جميعاً^(٣١٦) . وتظهر الحكمة في آيات الأحكام^(٣١٧) . وعقد فصلاً سماه «العلم قرآني بطبيعته» ذكر فيه مواضع التلاقى بين القرآن والعلم ، ذكرت منها ألفاً أشياء ، أضيف إليها:

١ - أن العلم لا يقول عن شيء إنه حق إلا إذا قام عليه البرهان اليقيني القاطع . والقرآن يأمر كذلك بالآ يقبل الإنسان شيئاً على أنه حق إلا إذا قام عليه البرهان^(٣١٨) .

٢ - توافق المسقناتق ، أى أنه لا تناقض مطلقاً بين الحقائق^(٣١٩) .

٣ - اطراد الفطرة واستقلالها ، فما ثبت أنه حق في وقت ما سيكون دائماً حقاً ، أو بعبارة أخرى : الحق مستقل عن الزمان والمكان^(٣٢٠) .

٤ - سلوك طريق المشاهدة الصحيحة^(٣٢١) .

وأعلن أن القرآن سبق العلم الحديث إلى حقائق كونية : بعضها صحيح لفلاسفة اليونان من أخطائهم الفلكية^(٣٢٢) . وبعضها من القضايا الكلية التي يتطوى تحتها قضايا جزئية ، ثبت بعضها^(٣٢٣) . ولا تزال صالحة لتشمل ما يمكن أن يكشف

عنه العلم في مجالها^(٣٢٤) . ومعروف أن القضايا الكلية هي أرقى ما يمكن أن يصل إليه العلم في ميادينه المتعددة .

والتدرج في إدراك تمام التطابق بين القرآن والفطرة مطابقة لحكمة الله في جعله الإسلام آخر الأديان ، وجعله القرآن معجزة الدهر^(٣٢٥) ، أي معجزة خالدة متجددة^(٣٢٦) : يتبين للناس منها على مر الدهور وجه لم يكن تبين ، فيكون هذا التجدد في الإعجاز العلمي هو تجديد للرسالة الإسلامية . كأنما رسول الإسلام قائم في كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ، ويريهام دليلا على صدقه آية جديدة من آيات تطابق ما بين الفطرة والقرآن^(٣٢٧) .

هذا النوع من الإعجاز يعجز الإلحاد أن يجد موضعا للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل . فإن الحقيقة العلمية التي لم تعرفها الإنسانية إلا في القرن التاسع عشر أو العشرين مثلا - والتي ذكرها القرآن - لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلا محسوسا على أن خالق هذه الحقيقة هو منزل القرآن^(٣٢٨) .

ويتوقف على فقه الآيات الكونية تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر ، عصر العلم الحديث^(٣٢٩) .

ورد على من تساطوا - اعتمادا على آية الأنعام - : هل في القرآن إشارة إلى القمر الصناعي ؟ فقال : لهم بعض العذر .

لكنهم يخطئون إن كانوا ينتظرون أن يشير القرآن إشارة خاصة إلى هذا القمر أو غيره . فما القمر إلا اختراع من الاختراعات الكثيرة التي هدى الله إليها الإنسان بما منحه من العلم . ومن التعسف أن ينتظر إنسان إشارة في القرآن إلى اختراع مخصوص دون غيره من الاختراعات . ومن غير المعقول أن يشار إلى كل منها بالذات اختراعا اختراعا .

صحيح أن حكمة الله اقتضت ذكر بعض آياته الكونية بالذات كالشمس والقمر . لكن ما ذكر بالذات منها إنما هو المرئي للمشاهد لكل الناس في كل العصور . أما ما استتر منها مستقلا عن هذا المشاهد أو منطويا فيه فلا يمكن أن يحيط به عد . ومع ذلك فقد أحاط به القرآن عن طريق التعميم لا التخصيص ، أي عن طريق الكلى الذي يحيط بكل ما يندرج تحته من جزئى (٣٣٠) .

ونذكر أن بعض القضايا العلمية جاءت في القرآن عن طريق الإشارة لا صريح العبارة ، مراعاة لمقتضى الحال في خفائها (٣٣١) ، وعدم إحساس الناس بها (٣٣٢) . فلو أن القرآن صارحهم بها لكذبوه (٣٣٣) ، وحيل بينهم وبين هدايته (٣٣٤) .

والتفسير العلمى ليس بدعة ابتدعها أصحابه في هذا العصر ، بل تجد بين قدامى المفسرين من ينتهجه ، مطبقين في عصرهم ما

يقابل العلم في عصرنا ، كالمخشوي ، والفخر الرازي الذي يمثل تفسيره بالتفسير العلمي في عصره ، وكالشيخ محمد عبده(٣٣٥) .

وذهب د. محمد محمد أبو شهبة إلى أن القرآن - حينما دعانا إلى النظر في الآيات الآفاقية والآنفسية - لم يقف بنا عند حد الاعتبار والاتعاظ بالظواهر والصور والأشكال حسب . وإنما أراد - إلى ذلك - استكشاف المستور ، واستكناه الأسرار ، والتقصي عما فيها من عجائب وسنن وخواص ، عن طريق الملاحظة حيناً ، والتجارب أحياناً أخرى(٣٣٦) .

وبذلك يكون القرآن فتح أبواباً للعلوم التجريبية منذ أربعة عشر قرناً من الزمان(٣٣٧) .

ولو أن المسلمين استفادوا بما فيه من توجيهات وإرشادات ، لكانوا - كما كان الشأن في سلفهم الأولين - أسبق الأمم إلى اكتشاف العلمية والاختراع والابتداء(٣٣٨) ؛ ولصاروا سادة الدنيا ، ويدهم زمام الأمور(٣٣٩) .

وقال أحمد عبدالسلام الكرداني : لا يجوز أبداً أن تحول الغيرة على القرآن - كما يزعم البعض - دون إظهار الإعجاز العلمي لآيات القرآن ، بالمطابقة التامة بين ظاهر معناها الحرفي وبين الثابت اليقيني من حقائق العلم الحديث .

ودعش موريس بوكاي لشراء الموضوعات التي عالجهها القرآن^(٣٤٠) . فهناك الخلق وعلم الفلك وبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالمى الحيوان والنبات والتناسل الإنسانى^(٣٤١) . وذكر أن القرآن أتى بمعتقدات علمية ، لم تكن أحيانا مقبولة في ظاهرها . ولكنها - عند ما درست اليوم على ضوء المعارف الحديثة الثابتة ، ظهر أنها تتطوى على معطيات علمية ، استطاع العلم في العصر الحديث فقط أن يثبت حقيقتها^(٣٤٢) .

ثم استدرك فصرح أن القرآن لا يهدف إلى عرض بعض القوانين التي تتحكم في الكون^(٣٤٣) ، وإنما هدفه دينى جوهرى . ونوه بالجانب دى الطابع السلبى من القرآن ، وأراد به عدم ذكره النظريات السائدة في عصر تنزيله ، عن تنظيم العالم السماوى ، تلك النظريات التي أثبت العلم - فيما بعد - عدم صحتها^(٣٤٤) .

والتفت إلى الفروق بين دقة المعلومات القرآنية وصحتها - بصدد العلوم - وعدمها في بعض الأحاديث . واستدل من ذلك على أن مصدر القرآن هو الله ، ومصدر الأحاديث هو محمد^(٣٤٥) .

وأفاض في البرهنة على أن محمدا لم يعتمد على التوراة ، ذلك القول الذي يجمع عليه اليهود والمسيحيون والمحدون في البلاد القريبة^(٣٤٦) .

وذهب د. السيد الجميلي إلى أن الإعجاز الطبى يظهر جليا فيما احتواه القرآن من حكم طبية ، بلغت شأوا بعيدا من العظمة ، وأثبتها الطب بعد قرون عديدة^(٣٤٧) ، وأنه الإعجاز العلمى التطبيقى^(٣٤٨) ، ولا يقل أهمية عن الإعجاز البيانى^(٣٤٩) ، وأنه يثبت صلاحية القرآن لكل زمان ومكان^(٣٥٠) .

ومن ثم فكتابه مرجع طبى للفقهاء ، ومرجع دينى للأطباء^(٣٥١) . وجعل أحمد عز الدين عبدالله خلف الله من الإعجاز الذى يحير العالمين : اشتغال القرآن على حقائق علمية قبل اكتشافها بمئات السنين^(٣٥٢) ، بطريقة لا تثير أى جدل أو اعتراض عليها^(٣٥٣) ، ومن بينها حقائق عوقب من صرح بها بالإحراق فى أوروبا بعد نزول القرآن بأكثر من ثمان مائة عام^(٣٥٤) .

وختم محمد اسماعيل إبراهيم كتابه بالتاكيد بأن إعجاز القرآن - سواء من ناحيته البيانية أو العلمية - حقيقة كبرى ، واضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار ، ويتجلى وضوحها لكل من درس علوم القرآن دراسة صحيحة ، واستطاع أن يزداد علما

بما وصل إليه العلماء المتخصصون في مباحث العلوم الطبيعية أو الاجتماعية والنفسية والكونية(٣٥٥) .

فقد وصف الله فيه كل ما أبدعه من مخلوقاته وصف العليم بأسرارها وأحوالها ومقوماتها(٣٥٦) .

وعندما جدد العلماء النظر في القرآن ، وحاولوا فهمه فهما عصريا وتفسيره في ضوء هذه العلوم الحديثة ، ظهر بوضوح أن آياته لها معانٍ أوسع وأشمل مما فهم العلماء السابقون منها(٣٥٧) .

وكلما اكتشف العلماء جديدا من كليات العلوم وأصولها ، أو أى شئ من كنوز الحكمة ، وجدوا له في كتاب الله مواضع وإشارات تتم عنها وتدلل عليها(٣٥٨) .

وعلى الرغم من ذلك فرب محمد اسماعيل بين القرآن وكتب العلوم ، لأن القرآن عندما يعرض أى قضية من قضايا الكون العلمية لا يعرضها بأساليب البشر ، باستعمال المقدمات والدلائل والمعادلات والتجارب والبراهين واستنباط النتائج ، وإنما يقدمها بالإشارة أو الرمز أو المجاز أو الاستعارة أو بالعبادات التى تومض في العقل بنور روى باهر ، وذلك خلال ما يلقيه من الحكم والمواعظ ، والترغيب والترهيب ، والأوامر والنواهي ، والأحكام والشرائع(٣٥٩) .

ويجب أن يؤمن كل مسلم بأن ما يجد في عصرنا من إدراك علمي لآيات القرآن ليس معناه أن حقائق القرآن تغيرت أو تطورت في ذاتها . وإنما الذي يتغير ويتطور هو عقل الإنسان الذي يتسع إذا استنار وفكره إذا استقام ، مع كثرة البحث والدرس والتجريب. فيبدو له القرآن على حقيقته الأصلية الخالدة(٣٦٠) . ولم يفهم السلف الصالح الآيات العلمية على وجهها العلمي . وإنما رأوا أنها شاهدة على أنه - سبحانه - يديع السماوات والأرض(٣٦١) .

ولا شك أن النبي - ﷺ - لم يتعرض في تفسيره لمثل هذه الآيات ، من الناحية العلمية التفصيلية(٣٦٢) ، التي هي فوق مستوى عقولهم ، لتقضى البداوة والجهل في ذلك الحين(٣٦٣) . ولكنها كانت مفهومة فهما دينيا رائقا في قلوب الذين آمنوا إيمانا خالصا ، وكانت روح الإيمان تضيئ أرواحهم فيرون آيات الله ويهاجها في نفوسهم ساطعة الرواء(٣٦٤) .

لذلك كان علماء الفلك والطب أكثر الناس إيمانا بعظمة الخالق المبدع ، وأسبقهم إقرارا بآلهيته(٣٦٥) ، لما رأوه رأى العين من أن القرآن هو نهاية العلم الذي يصلون إليه كلما جد جديد في بحثهم، وهو العلم الذي جاء به النبي الأمي ، الذي لم يكن هو ولا قومه ولا

عصره يعرف شيئاً من هذه العلوم^(٣٦٦) . ولم يكن له أى نشاط فى
تحصيل العلم أو الاجتماع بأهل الكتاب لتلقى علومهم^(٣٦٧) .

وفى القرآن من العلوم والمبادئ والآداب أضعاف أضعاف ما
جاء فى الكتب المقدسة السابقة^(٣٦٨) . وتناول القرآن الحقائق
الكونية وما يدور حولها من مظاهر بصورة أصح وأدق بكثير عما
جاء فى هذه الكتب^(٣٦٩) .

وإذا اختلفت النظرة العلمية ، فى وقت من الأوقات ، مع الآية
القرآنية ، فيرجع ذلك إلى أن العلم الذى يتطور من وقت لآخر لم
يصل بعد إلى مستوى مفهوم الآية^(٣٧٠) .

لا عجب أن تكون الثمرة النهائية للكتاب أن القرآن هو المعجزة
الإلهية الخالدة^(٣٧١) .

وجعل محمد الصادق قمحاوى الإعجاز العلمى الوجه السابع
من وجوه القرآن . وعرفه مرة بأنه اشتمال القرآن على العلوم التى
لم تعرف إلا بعد الكشف العلمية^(٣٧٢) . ونقل عن القائلين به أن
ليس المراد بالإعجاز عندهم الكشف عن النظريات العلمية التى
تتجدد وتتغير وتكون نتيجة لجهود بشرى ، وإنما المراد منه الحث
ولفت الأنظار للتفكير والتدبير فى صنع الله^(٣٧٣) . مما يدل على
عموض التعريف فى ذهنه والتردد فى قبوله.

وكان أكثر توفيقاً في قوله : إن وافقت الحقيقة العلمية الحقيقة القرآنية فهو الإعجاز العلمي^(٢٧٤) ، وإن لم تتفق مع القرآن فإنها لم تصل بعد لأن تكون علمية ، وإنما هي لا تزال في طور التجريبية^(٢٧٥) .

ومع ذلك استبعد الإعجاز العلمي من التحدى ، لأن القوم كانوا لا يخطر ببالهم هذه الكشوف والمخترعات ، ولا يعرفون عنها شيئاً^(٢٧٦) .

وذهب محمد وفا الأميرى إلى أن التقدم العلمي كشف عظمة القرآن^(٢٧٧) . ومهما فسره المفسرون ، وكشف أسرار العلماء ، فهو لا يزال - إلى يوم القيامة - بكراً لم تفص أسرارته ، ولم تكشف عجائبه^(٢٧٨) . وهذا إعجاز القرآن^(٢٧٩) .

واتخذ من الآيات العلمية دليلاً على دقة التقدير العظيمة في خلق كل شئ في هذا الكون^(٢٨٠) ، مع الضبط المحكم^(٢٨١) ، والهدف النافع للحياة^(٢٨٢) .

وصرح بأن العلوم العربية والكونية بدأت تتدخل في تفسير القرآن وتمتزج به ، من اعتبار أن هدايته وإعجازه لا يفهمان على الوجه الصحيح كاملاً إلا من طريقها^(٢٨٣) ، وقد ساعد ذلك على أن يسائر التفسير أفكار الناس^(٢٨٤) ، ويدفع مزاعم القائلين

بوجود عداوة بين العلم والدين^(٣٨٥) ، ويستميل غير المسلمين إلى الإسلام^(٣٨٦) .

وقصور علمنا وفهمنا هو الذى جعلنا نقف أمام محيط القرآن ولا نخوض فى عيابه ، أو نخطئ فى فهم بعض إشارات^(٣٨٧) .
وقد أجاز العلماء هذا اللون من التفسير بشرط ألا يخالف أصول الدين والعقيدة أو يعارضهما .

وتسأل : لو فرضنا بأن النظرية التى نقولها تظهر فى زمان ما نظرية بخلافها أو تعاكسها ، فهل فى هذا ضرر ؟
ثم أجاب : إن النظرية والفرضية العلمية لا تبطل بنظرية وفرضية علمية أخرى ، بل تبطل بحقيقة علمية ، لأن كليهما فرضيتان ، وبخاصة إذا كانت هذه النظرية توافق ظاهر كلام الله . فهذا يقويها ويجعلها حقيقة علمية لا تبطل بفرضية أو نظرية معاكسة لها^(٣٨٨) .

وجاهر د. أحمد شوقي إبراهيم بآثنا - مهما أوتينا من علم -
أن نستطيع أن نصل إلى كل ما فى النص القرآنى من علم ،
فالعلم الإلهي لا يمكن أن يحيط به الإنسان أبدا^(٣٨٩) . وفيه من الحقائق الكونية والعلمية ما لم نستطع أن نصل إلى فهمه إلا منذ سنوات معدودات فحسب^(٣٩٠) .

وعندما نفكر أى نص قرآنى ينبغى ألا نعتبره تفسيراً حتمياً له^(٣٩١) . فإن النص الكريم قد يعنى ما توصلنا إليه من فهم ، وقد يعنى معنى آخر ، لم تصل إليه أقهأمانا وعلومنا بعد . وربما توصلت إلى فهمه عصور تأتى من بعدنا^(٣٩٢) . وكل ما نهدف إليه أن نوسع من مداركنا ونزيد من تصوراتنا ، لعلنا نسمو إلى مستويات من العلم أعلى تتيح لنا رؤية المزيد من العلم الإلهي^(٣٩٣) .

وابتعد عبدالله النورى فقال : الحقيقة إن القرآن كتاب علم ومعرفة شاملة ، لا يعجزه من شئ فى السموات والأرض^(٣٩٤) . وذكر حسين فنؤاد طلبية أن المسلمين – عندما تليت الآيات العلمية وقت نزولها – لم ينتبهوا إلى مدلولها العلمى^(٣٩٥) . ولكنها عندما تنثى على الأجيال المتعاقبة يدرك الباحثون ما فيها من إعجاز علمى ، يحكم ارتقاء العقل البشرى جيلا بعد جيل^(٣٩٦) .

وعد على على المرسى من الإعجاز أن نؤمن الفكر فيما ورد فى القرآن – بعد أن قفّر العلم الحديث قفزة هائلة خلال القرن الأخير فقط – فيزيدنا ذلك إيماناً ، ويملا قلوبنا رهبة^(٣٩٧) ، وعظمة الدين الحنيف^(٣٩٨) .

وحسب د. عدنان زرؤور العلم الذى يتحدث عنه بالعلم

التجريبي^(٣٩٩) . وقال : إن الحديث عن التفسير العلمى أو دور القرآن فى تطور العلوم يمكن أن ينظر إليه من جانبين :

جانب المنهج الذى جاء به القرآن .

وجانب تاريخ تطور العلوم التجريبية .

والقرآن كتاب علمى نظرا إلى الجانب الأول ، جانب المنهج الذى جاء به القرآن ، وأتاح للإنسان أن يطور علومه . فلا صده عن ذلك صا ، ولا يلقى أى معارضة جدلية أو دينية على نحو ما حصل فى أوربا فى العصر الوسيط^(٤٠٠) . وأراد بالمنهج المتأخ العقلى والشروط النفسية والاجتماعية التى أوجدها القرآن فى المجتمع الإسلامى ، وحث هذا المجتمع على أن يلاحظ^(٤٠١) ويعتبر^(٤٠٢) .

أما جانب ما قدمه القرآن فى تاريخ تطور العلم ، وأضافه من حقائق أو نظريات ، فليس هو الجانب الأهم^(٤٠٣) أو الجانب الذى يجب أن ينظر منه إلى هذا الموضوع . ومع ذلك ، فقد جاء فى القرآن إشارات كثيرة ومتنوعة ، شملت أغلب فروع المعرفة العلمية^(٤٠٤) . وقد جاءت هذه الإشارات كإطار أو حوافز للعقل الإنسانى^(٤٠٥) ، وعلى نحو يتم إدراكه تماما خلال العصور اللاحقة^(٤٠٦) .

وذهب د. أحمد محمد سليمان إلى أن القرآن رسم الطريق الصحيح للبحث العلمي^(٤٠٧) .

وقال د. شعبان محمد اسماعيل : الناس – أمام الإعجاز القرآني وعلاقته بالحقائق العلمية فريقان :

أحدهما : يحاول إخضاع الحقائق العلمية للقرآن

والفريق الثاني : ينكر ذلك .

ونحن نقول لهم : إن الذين منعوا مجانبون للصواب ، والذين غالوا مجانبون للصواب أيضا . لأن القرآن كلام الله ، والكون خلق الله . وما خلقه الله لأبد أن يتسجم مع كلام الله .

فإن حصل ما ظاهره التضارب : فإما أنك فهمت حقيقة قرآنية، وهي ليست حقيقة قرآنية ، وليس هذا المراد منها ؛ وإما أنك أثبت بشئ ليس حقيقة علمية ، وقلت هو حقيقة علمية^(٤٠٨) . لكن إذا تأكدنا أن هذه حقيقة قرآنية وهذه حقيقة علمية ، فلا بد أن نلتقيا^(٤٠٩) . فإن لم يكن في القرآن ما يؤيد الحقيقة العلمية ، فليس فيه قطعا ما يعارضها .

وقال د. عبدالله شحاته : من إعجاز القرآن إشارته إلى نشأة علوم حديثة لم يعرفها السابقون^(٤١٠) . وقد حملت آياته بنور التقدم العلمي ، وأرشدت إليه ، وتركت للعقل البشرى بعد ذلك

استكمال رسالته^(٤١١) حتى يتحقق من صواب نظريته أو خطئها^(٤١٢) . ورغم أن المقصود الأسمى منه هو الهداية ، حوى - مع ذلك - أصول الإعجاز التشريعي والتفسي والبياني والعلمي^(٤١٣) .

ومن آياته يتضح لنا أن لله كتابين :

كتاب مفتوح ، هو الكون ، يقرؤه العالم والجاهل ، والكبير والصغير ، والمتعلم والأمل .

وكتاب مقروء ، أنزله على نبيه ليرشد الناس إلى آثار قدرة الله بديع السماوات والأرض^(٤١٤) .

وأفاض د. شوكت محمد عليان في قضية الخلاف بين الدين والعلم . فذكر أن الصدام التقليدي بينهما من نتاج القرنين الثامن عشر والتاسع عشر^(٤١٥) ، عندما اتضح لدى العلماء التجريبيين أن جميع وقائع الأرض والكون مقيدة بنظام واحد معلوم ، سموه قانون الطبيعة . وجعله معارضو الدين بديلاً للإله^(٤١٦) .

ثم أخذت القوى المعادية للإسلام تصور للمسلمين وجود التناقض بين الإسلام بخاتمة والكشوف الحديثة^(٤١٧) .

ولما وضع الإنقلاب الصناعى الأوربيين فى مركز الصدارة فى العالم ، ظن الجبهة أن المسلمين - إذا أرادوا النهوض كآوريا - فعليهم أن يتجردوا من الدين ، لأنه سبب التخلف^(٤١٨) .

ورد على هذه الدعاوى بأن الواقع الذى لا ينكره كل ذى عقل سليم أن المسلمين لم يتخلّفوا إلا نتيجة تركهم الدين^(٤١٩) . ولو أن هذا النفر من الناس نظر إلى حقيقة الإسلام والتاريخ الإسلامى - بعيدا عن الأهواء والتحلل - لما رأى أدنى صراع^(٤٢٠) . فالشواهد التاريخية تؤكد التلاحم الوثيق بين العلم التجريبي ورجاله وبين الدين وحملته^(٤٢١) .

لذلك لا تعجب حين نجد د. شوكت عليان يصرح بأن القرآن حوى كثيرا من العلوم والنظريات التى أسهمت فى دفع عجلة التقدم العلمى الحديث^(٤٢٢) ، وأن هناك وجها من وجوه الإعجاز ظل مختفيا فى زوايا الغموض : ألا وهو الإعجاز العلمى^(٤٢٣) . ولم يجد العرب فى مبدأ نزول القرآن حافزا للبحث فى الآيات العلمية^(٤٢٤) ، كما لم تهينهم بيئتهم ومحصلهم العلمى أن يدققوا وراء تلك الآيات^(٤٢٥) . فلما تقدم العلم تفتحت الأذهان إلى ناحية من الجلال لم تدركها عقولهم^(٤٢٦) .

ولكنه - فى الوقت نفسه - أعلن أن موضوع الدين يختلف عن موضوع العلم التجريبي^(٤٢٧) ، وأن مراجع العلوم الدينية القرآن والسنة ، ومراجع العلوم التجريبية المختبرات والنظريات والظواهر الطبيعية^(٤٢٨) ، وأن المحور الرئيسى لرسالة القرآن هو السعادة

الأخرى ، فهو - بذلك لا يدخل في دائرة أى من علومنا وفنوننا الحديثة^(٤٢٩) ، وأن إحاطته بكثير من الحقائق العلمية الحديثة ضمن إشارات غير مقصودة لذاتها^(٤٣٠) ، وأن البحث فيه - باعتباره مصدرا للعلوم - من شأنه أن يفرغه من محتواه^(٤٣١) .

وأعلن يوسف السويدي : إن ما سجله التاريخ من صراع مرير بين العلم والدين في أوروبا - أو بالأحرى بين رجال الدين ورجال العلم والفكر - لم يكن مرجعه دين الله ، بل هو دين تعاونت على إيجاده أهواء ومصالح مجموعة من الرجال لتضليل الناس^(٤٣٢) .

ولو أن العلماء اطلعوا على الإسلام لوجدوا أنه لم يقم أى صراع بينه وبين العلم ، ولم يكن في تاريخه محاكم تفتيش ، ولا أى إرهاب لأصحاب الفكر^(٤٣٣) .

وقسم من يزعمون وجود تناقض بين الدين والعلم الأقسام التالية :

١ - أناس جاهلون بالعلم ، يخلطون بين ما هو نظري وما هو يقيني^(٤٣٤) .

٢ - أناس متضلعون في العلم ، ولكنهم جاهلون بالدين ، ينظرون إليه على أنه معتقدات غيبية^(٤٣٥) .

٣ - أناس يعيشون في مجتمعات ضلت طريقها لفهم الدين ، فاعتزتها الشكوك ووقعت في الإلحاد ، وأشاع القائلون على الأمور فيها أن الدين أفيون الشعوب^(٤٣٦) .

٤ - المتطاولون على الدين ، لإشباع رغباتهم في إيجاد مجتمع متحلل الأخلاق والقيم^(٤٣٧) .

ونقد نعيم الحمصي طنطاوي جوهري وعلى فكري ومحمود مهدي الاستانبولي ومحمد متولي الشعراوي في بعض الأفكار الجزئية التي ربطوا فيها بين آيات وظواهر علمية^(٤٣٨) .

وخالف أستاذه أمين الخولي في قوله بأن الإعجاز العلمي قوة اصطدام مع الثقافة الأوروبية ، إذا كان يريد بها أنها لا تليث أن تهدأ وتزول^(٤٣٩) ؛ وبأن عمل أصحابه محاولة حاولوا فيها أن يستفيدوا من الكلمات والجمال التي يمكن أن تتحمل تأويلات واسعة تتيح إمكان اتساع الخيال ، لأن ذلك يظهر عملهم كأنه كهانة وشعوذة^(٤٤٠) .

وأعلن أن له رأيه الخاص ، ولخصه فيما يلي :

١ - أن هدف القرآن الأساسي هو هداية البشر ، لا أن يكون موسوعة علوم^(٤٤١) .

٢ - أن القرآن أنبأ ببعض المعلومات التي لم يعرفها البشر إلا حين تقدمت العلوم الحديثة في العصر الحاضر ، إنباء لا يقبل الشك ، ويدل على الإعجاز^(٤٤٦) .

٣ - أننا يجب ألا نبالغ في استنباط هذه المعلومات من القرآن^(٤٤٧) ولا أن نتصنع الأدلة ، لأن ذلك يحدث ردة فعل في نفس القارئ أو السامع ، ولا يعطى النتيجة المتوخاة^(٤٤٨) . بل يجب أن نثريث^(٤٤٩) ، ونلتزم بالحقائق ، ولا نقول بشئ من ذلك إلا بعد أن تثبت صحته^(٤٥٠) ، وأن هناك مكرمة للقرآن - لا ينكرها إلا مكابر - وهي حثه الإنسان على النظر في عظمة الكون ، ليدرك عظمة الخالق وحكمته^(٤٥١) .

وتأثر بمن سبقه فذكر أن في مبادئ القرآن السامية ، وبثه الروح الإنسانية الخيرة الرفيعة ، وفي بلاغته الرائعة وأثره في النفوس ، ما يغني عن التكلف في الربط بين الآيات والعلوم^(٤٥٢) .

وجهر د. منصور حسب النبي بأن العلم قرآني في موضوعه ، فالعلوم الطبيعية تبحث - عن أسرار الظواهر الكونية ، ويأمرنا القرآن بالبحث فيها^(٤٥٣) ، وأن القرآن والعلم مرتبطان ارتباطاً مصيرياً ، لأنهما يقرران - معا - مصير الإنسان وكماله^(٤٥٤) .

وأنهما متماثلان في الغاية ، ومتحدان في الهدف ، لأن مصدرهما واحد وهو الله(٤٥١) .

ويحتوى القرآن على حقائق علمية غاية في الأصالة والموضوعية والإعجاز . وإن أكون مبالغاً إذا قلت : إن الإعجاز العلمى للقرآن قد شمل أهم الأحداث العلمية في القرن العشرين(٤٥٢) .

وينبغي ألا يكون إدراك الإعجاز قاصراً على الإعجاز اللغوى البيانى(٤٥٣) . فالإنسانية كلها - بجميع شعوبها على اختلاف لغاتهم - مخاطبة به ، ومطالبة بالتسليم أنه كلام الله . ولابد إذن أن يكون للإعجاز نواح غير الناحية البلاغية والبيانية(٤٥٤) . وهذه النواحى هي - بالتأكيد - النواحى العلمية ، التى تظهر فى كل مكان وزمان ، والتى سيظل إعجازها حتى قيام الساعة(٤٥٥) ، ولا سيما أن العصر الذى نعيش فيه الآن عصر مادى لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب فضلاً عن الاقتناع(٤٥٦) ، ولا سيما أيضاً أن هذه اللغة العلمية هي اللغة الدولية التى لا لغة غيرها لمخاطبة غير المسلمين(٤٥٧) . كما أن الإعجاز العلمى للقرآن لا يجرى أى مكابر أو ملحد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه(٤٥٨) .

وللقرآن أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون . فالهداية التى جاء من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون

بما ينكرون فيكذبونه ، وتقتضى ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية ، في عصر نزول الوحي به ، فيقوم ذلك حاشا دون قبول دعوته في عصر العلم المتقدمة . وتجنب هذين العائقين هو من بدائع إعجاز أسلوبه^(٤٥٩) .

ورد على من يهاجمون التفسير العلمي بدعوى أن العلم يتغير ، فقال : هذه مغالطة ، لأن العلم الصحيح لا يتغير ، لأنه نتيجة لحقيقة ثابتة ثبوتاً قطعياً^(٤٦٠) . ويمكن القول بأن العلم - الآن في نهاية القرن العشرين - يتطور دون أن يتغير في حقائقه الأساسية الثابتة^(٤٦١) .

وأعلن مصطفى الدباغ أن القرآن - لو كان من تأليف محمد - ﷺ - لما أقحم نفسه بقضايا علمية ربما تكشف الأيام بطلانها^(٤٦٢) ، وأنه لم يكن في مكة البشر - قبل أربعة عشر قرناً - أن يطلعوا على دقائق من العلم لم يتوصل إليها إلا بعد ١٣٠٠ سنة^(٤٦٣) ، وأن الاعتماد على القوانين العلمية الراسخة ، والكشوف المؤيدة بالدليل ، في تفسير الآيات الواضحات ، يتعد بنا عما يخشاه البعض من بناء التفسير على مجرد آراء ونظريات قابلة - بفعل الزمن - للتبديل أو البطلان أو الخطأ ، فثبتت معه عجز القرآن لا إعجازه^(٤٦٤) .

وذهب د. عبدالمعطي عبد الرحمن خنجر إلى أن ما يشاع من معارضة العلم للإسلام والقرآن هو - بلا شك - خطة موضوعة من القوى الملحدة في العالم لزرع الشك في الدين الإسلامي (٤٦٥) .
والقرآن كتاب كامل في موضوعه ، ونهاى في حقائقه (٤٦٦) ، معجز سواء طابقته الكشوف العلمية المتأرجحة أو لم تطابقه (٤٦٧) . بل في كل حرف من الآيات إعجاز لا يأتى بمثله إلا الخالق الأعظم وحده (٤٦٨) .

وذهب د. محمد كمال عبدالعزيز إلى أن القرآن يوجه القلوب والعقول دائما إلى مشاهد الكون وخلق الإنسان ، ويربط بينها وبين العقول والقلوب ، ويوقظ المشاعر لاستقبالها بحس جديد متفتح (٤٦٩) .

وأرجع محمد السيد أرنؤوط التعارض - المتوهم أحيانا - بين القرآن والعلم إلى الخلط بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية (٤٧٠) ، أو عدم الفهم الجيد للقرآن وأسراره (٤٧١) .
وذكر أنه لو أبان الرسول - ﷺ - كل كنوز القرآن وتفاصيله لحدث أحد أمرين :

١ - إما أن تتوقف الدنيا عن التجدد بالصورة التي أرادها الله (٤٧٢) .

٢ - وإما أن يتجمد القرآن ، وهو المعجزة التي تكتنز كنوز الكون(٤٧٣) .

ومن إعجاز القرآن أن عطاءه - في كل زمن يناسب حملة التشكيك فيه(٤٧٤) .

وتسأل د. يحيى سعيد المحجری : كيف نستطيع أن نطبق القرآن بكلماته التي لم - ولن - تتغير على الإنسان المتطور المتغير؟

وكان جوابه : السؤال يعكس عدم إحاطة سائله إحاطة كاملة بآيات القرآن ومعانيها . فالقرآن - وإن ثبتت ألفاظه وكلماته - فإن معانيه مستطورة ، يقرأها الهدى - منذ ألف سنة أو يزيد - فيفهمها على سجيته وحسب منطقته . ثم يقرأها عالم الفلك - في القرن العشرين . فيفهم منها معاني جديدة ، وذلك لأن قسطه من العلم قد زاد ، وأن دائرة معارفه وإدراكه قد اتسعت(٤٧٥) .

وبنى إبراهيم حسن التصيرات كتابه على النقاش العلمي المبني على أسس منطقية موضوعية ، بعيدة عن التعصب الفكري أو الطائفي(٤٧٦) . وصرح أنه لا يريد إلباس القرآن ثوب الجغرافيا كما كساه الآخرون ثوب الاشتراكية والرجعية من أجل بلشفة الإسلام(٤٧٧) ، وأن القرآن يذكر كليات العلوم وقواعدها كقضايا

عامة دون تفصيل^(٤٧٨) ، ويأتي دور العلماء في هذا العصر ليفصلوا القول فيها^(٤٧٩) ، فقد اعتبر الآيات مفاتيح لبعض المواضيع^(٤٨٠) .

تخرج من هذه الجولة بوجوب التفرقة بين أصحاب الإعجاز العلمي وأصحاب التفسير العلمي ، لأنه قد تبين لنا أن بعض من ناصروا التفسير لم يصرحوا بالإعجاز ، على حين أعلن آخرون الإعجاز صراحة بل جعله بعضهم عنوانا لكتبهم .

وقد بدت بوادر الإعجاز العلمي الأولى في القرن الرابع عند من روى ابن سراقه أقوالهم . أما التفسير العلمي فيمكن أن نجد جذوره عند القائلين باحتواء القرآن على كل شيء من الصحابة والتابعين ، وأن هذه الجذور ظهرت لها بعض سيقان عند بعض المفسرين ، حتى من غلب عليهم الاتجاه البياني مثل الزمخشري في أوائل القرن السادس ، ثم أتى أولى ثماره الجنية عند الفخر الرازي في أواخر ذلك القرن .

وأعطانا ابن سراقه قوانين في وجوه الإعجاز . اقتصر أولهما على الرياضيات وحدها ، واتسع الثاني بعض الاتساع فشمل علوما يشق حصرها . وفي القرن الخامس وصل الماوردي بالأمر إلى أقصى مداه ، فجعل القرآن جامعا لما لا يحيط به البشر من

العلوم . وكان هذا القول من الماوردي الأصل الذي فرع منه كل من رأى القرآن محيطا لكل شئ ، حتى وصل به إلى الإفراط في القول .

ولكن الطبيب الاسكتلاني في القرن الثالث عشر/ التاسع عشر وأمثاله جعلوا وجه الإعجاز السبق العلمي للقرآن ، وعدوه نوعا من وجوه الإعجاز بالغيب .

وعدد مصطفى صادق الرافعي وجوه الإعجاز . فجعل أحدها اجتماع كل العلوم تحت قوله تعالى : ﴿ ففى الأفاق وفى أنفسهم ﴾ : وثانيها : خطأ الناس في بعض العصور في فهمه ثم تصحيح الفهم في عصور تالية ، وثالثها احتواء القرآن على ما احتوى عليه من علوم مع نزوله في بيئة يسود فيها الجهل ، ورابعها إيمانه إلى ترقى الإنسانية ، وأن الدين سيكون عقليا ، وأن العقل آخر أنبياء الأرض . وأرى أن الوجه الأول عنده يؤول إلى الإيجاز ، فيندرج بذلك تحت الإعجاز البياني لا العلمي .

وأضاف عبدالرزاق نوفل إلى وجوه الإعجاز العلمي احتمال الآية أكثر من حقيقة ، وعبداللطيم كامل ثباته مع مسايرته الرقى العلمي ، وأحمد عز الدين خلف الله الطريقة التي لا تثير جدلا ولا اعتراضا والتي احتوى بها على العلوم . وكل هذه الوجوه تؤول

إلى الطريقة التي عبر بها عما حوى من علوم ، أى إلى الإعجاز
البياني .

وانفرد محمد الصادق قمعجوى عن زملائه ، حين نقل عن
القائلين بالإعجاز أن ليس المراد عندهم السبق وإنما لفت الانتظار
للتدبر فى صنع الله .

وأود هنا أن أشير إلى ما قاله أصحاب تفسير المنار والزرقانى
من وجوه ، تحدثت عنها فى فصل رفض التفسير العلمى .

وجعل عبدالعزیز اسماعیل الإعجاز العلمى وجه إعجاز
للمتأخرين من العرب الذين يعجزون عن تقدير الإعجاز البياني ،
وصلاح الدين خشبة لجميع شعوب العالم عربهم وعجمهم ، وحنفى
أحمد لغیر العرب بخاصة . وتلك لفتات طيبة منهم ، أكثرها توفيقا
ما لصلاح الدين خشبة ، فلن الإشارات العلمية القرآنية لا تفقد
صلاحيتها للإقناع عندما تخاطب العرب .

ووصف عبدالرزاق نوفل الإعجاز العلمى بالإعجاز الذى يخرس
كل مكابر ، لعدم حاجته إلى دليل يبينه ، ومحمد أحمد الغمراوى
بالإعجاز الذى يعجز الإلحاد أن يجد موضعا للتشكيك فيه إلا أن
يتبرأ من العقل ، ومحمد اسماعيل إبراهيم بالحقيقة الكبرى
الواضحة وضوح الشمس فى رابعة النهار عند من درسوا علوم

القرآن والعلوم الطبيعية والاجتماعية والنفسية . والأقوال الثلاثة
تؤول إلى حقيقة واحدة .

وجعل عبدالرزاق نوفل الإعجاز العلمي من أهم وجوه الإعجاز،
ورمى محمد جمال الدين الفندي من قصروا الإعجاز على البلاغة
بالجهل بالقضايا العلمية . وعد السيد الجميلي الإعجاز العلمي لا
يقل أهمية عن الإعجاز البياني . واستبعد محمد الصادق
قمحاوي من نطاق التحدي ، مع إيمانه به . واعتدل منصور حسب
النبي فنادى بوجوب عدم قصر الإعجاز على البياني وحده .
وتجاوز عبدالعليم خضر كل حد حين صرح بأن في كل حرف من
حروف القرآن إعجازا .

وأعلن عبدالرحمن الكواكبي - الذي كان يهاجم الحكام
المسلمين - أنهم لو متحوا العلماء حرية الرأي ، وفتحوا لهم ميدان
العلم ، لأظهروا في ألف من آيات القرآن ألف آيات من الإعجاز،
ولرأوا فيه كل يوم أية تتجدد - مع الزمان - تبرهن على إعجازه .
وذهب مصطفى صادق الرافعي إلى أن القرآن معجزة التاريخ
العربي ، بل معجزة الدهر ، من لدن ظهر الإسلام إلى ما شاء
الله . ووصف يعقوب يوسف تلك الظاهرة بالمهرجان الدائم من
المعجزات . ووصفها محمد أحمد الغمراوي بأنها معجزة خالدة

متجددة ، يتبين للناس منها - على مر الدهور - وجوه لم تكن تبيئت من قبل ، وتكسب الرسالة الإسلامية تجديدًا مستمرًا .

وذكر ابن سراقه واحدا من الظروف التي يجب أن تتوفر لتكون لهذه العلوم التي ضممها القرآن دلالتها المقنعة ، هذا الطرف هو عدم تلقى محمد - ﷺ - للعلم .

وخصص الماوردي العلم الذي لم يتلقه النبي بما أشار إليه القرآن من علوم . وأضاف إلى هذا ظرفين آخرين ، هما أمية محمد ، وأمية العرب . وعلى الرغم من شيوع القول بأمية العرب فإنني لا أَعدها محتمة ، وإنما هي أمر يؤكد أمية النبي - ﷺ .

ويمثلها ما أضافه القاضي عياض من جهل جميع البشر - عند نزول القرآن - لما ضمه من لغات علمية .

وأضاف عبدالفتاح طيارة بُعد محمد - ﷺ - عن الحضارات الكائنة في الأقطار المتاخمة لبلاد العرب ، ومحمد اسماعيل إبراهيم عدم أخذه عن أهل الكتاب . وقد شاع الحديث عن هذه الظروف بين الكتاب عن الإعجاز العلمي ، وبخاصة عن أمية محمد - ﷺ - يليها في الشيوع أمية العرب .

ونص ابن سراقه على نتيجتين دلت عليهما الآيات العلمية ، أولاهما صدق محمد - ﷺ - ، وثانيتهما كون القرآن ليس من

تأليفه . وأعمل الماوردي الأولى . وحوار الثانية فجعلها كون القرآن تنزيلا من الله .

وصرح الرازي بأن هذه الكونيات تؤدي إلى إزالة الشبهات عن الشاك ، وتقوية إيمان المؤمن ، وإثبات وجود الله ووحدانيته وقدرته وبقية صفاته ؛ وعبدالعزيز اسماعيل بأنها تؤدي إلى زيادة إيمان المؤمن ، ومحمد عبدالله دراز إلى الفضيلة وإيمان غير المؤمن ، والسيد الجميلي إلى إثبات صلاحية القرآن لكل زمان ومكان ؛ وجعلها حنفي أحمد وسيلة إلى نشر الدعوة الإسلامية .

وإذا تركنا الحديث عن الإعجاز العلمي ، وجدنا إجماعا من المسلمين - من أيد منهم التفسير العلمي ومن لم يؤيد - على وجود لفتات علمية في القرآن ، وأنها لا تصادم الحقائق العلمية .

فذكر ابن أبي الفضل في القرن الخامس أن القرآن حوى جميع ما وقع ويقع في الكائنات ، والشرييني الخطيب في القرن العاشر : لا نهاية لأسرار علوم القرآن ، وفي العصر الحديث الغازي أحمد مختار احتواء القرآن على ما لا تزال العلوم تحاول كشفه .

وبالغ عبدالرزاق نوفل حتى ذكر أن الدراسات أظهرت أن كل واحدة من آيات القرآن تتضمن علوما عدة . وجرى مجراه محمد

جمال الدين الفندى فذكر أن كل آية عبارة عن قانون طبيعي .
وسار سيرهما محمود أبو الفيض المنوفى . فذكر أن القرآن هو
الموسوعة الكبرى لكل معرفة ومعتقد ، ومحمد اسماعيل إبراهيم
فذكر أن الله وصف في القرآن كل ما أبدعه من مخلوقاته . ووصل
محمد وصفي إلى غاية بعيدة كل البعد حين ذكر أنه سيأتى يوم
يبحث فيه العلماء عن بغيتهم في القرآن ليصلوا إلى ما يريدون من
علم طبيعى .

وعلى الرغم من ذلك ذكر أحمد شوقي إبراهيم أننا .. مهما
أوتينا من علم – لن نستطيع أن نصل إلى كل ما فى النص
القرآنى من علم .

وذكر عدنان زريور أن ما أضافه القرآن من قضايا علمية
ساعدت فى تطور العلوم ليس هو الجانب الأهم .

وعمد موريس بوكاي إلى الموازنة بين القرآن والتوراة والإنجيل
فذكر أن القرآن يفوق زميليه فى كثرة القضايا العلمية وصحتها .
فاحتذاء محمد اسماعيل إبراهيم ، مع التوسع والإبعاد ، فذكر أن
فى القرآن من العلوم والمبادئ والآداب أضعاف أضعاف ما
فيهما .

ولم يقتنع المحدثون برصد ظاهرة احتواء القرآن على العلوم ،
وحاولوا أن يدرسوا الجوانب المختلفة لها .

فأعلن عبدالرحمن الكواكبي : الإسلام أول دين حض على العلم ، وطنطاوى جوهرى : الإسلام دين العلوم والحكم ، وقد أوجب العلوم العقلية على الأمة ؛ ومحمد جمال الدين الفندى : الإسلام جدير بحق أن يسمى دين عصر العلم . وأحسب أن التوفيق خان الكواكبي فى قوله هذا ، فما أظن أن هناك ديناً سماوياً لا يحض على العلم .

كذلك التفت الكواكبي إلى دلالة الآية من سورة العلق - وهى أول آية فى النزول - على العلاقة الحميمة بين القرآن والعلم ، ودعوة إليه ، وتلاه طنطاوى جوهرى فى الالتفات إلى أن القرآن أقسم بالأجرام السماوية عشرين مرة إجلالاً لها ، ثم عبدالرزاق نوفل فى الالتفات إلى القسم بثواب الكتابة .

ونفى محمد بخيت المطيعى أن يوجد أى تعارض بين القرآن وعلم الفلك . ولم يكتف بذلك بل تجاوز رصد الظاهرة إلى تحليلها . فردها إلى أن القرآن لم يتعرض لمواضع الخلاف ، ولا لمذهب دون مذهب ، ولا للعلل التى تختلف باختلاف آلات الرصد واختلاف الأفهام ، وإنما اعتمد على ما يقول به الجميع ويصح أن يتفرع على كل المذاهب . أما عبدالعزيز إسماعيل فقد رد ذلك إلى صدور القرآن والسنن الطبيعية كليهما من الله . ولا شك أن تحليل المطيعى يدل على فطنة مرهفة .

وانتبه جماعة إلى آثار التقدم العلمي على ما بين القرآن والعلم. فذكر مصطفى صادق الرافعي أن العلوم كلما تقدمت ظهرت حقائق القرآن الطبيعية ناصعة ، وعبد العزيز اسماعيل أنه كلما تقدمت العلوم ظهرت حكمة القرآن ، وأن كل ما لا يتفق معه باطل ، وصلاح الدين خشية أنه كلما اتسعت معلومات الإنسان وجد في آيات القرآن معاني أعمق وأدق ، ومحمد الغزالي أنه كلما زادت معارفنا أحسستنا بعظمة المبدع ، ومحمد اسماعيل إبراهيم أن التقدم العلمي يكشف أن لآيات القرآن معاني أوسع ، وأشمل مما فهم العلماء السابقون منها ، وأن كل جديد يكتشفه العلماء يجدون القرآن قد سبق أن أشار إليه ، ومحمد وفا الأميري أن التقدم العلمي كشف عظمة القرآن .

وفطن الرافعي إلى أن العلوم تعين على حسن تفسير القرآن ، وحنفى أحمد إلى قلة ما عرفناه من معاني حديث القرآن عن الكائنات وأسباب تلك القلة ، ومحمد أحمد الغمراوي إلى أن نهج رجال العلوم البحتة شبيه بنهج رجال الدين في الوصول إلى الحقائق ، وأن هذه العلوم تفسير عملي لآيات القرآن؛ وتصحيح القرآن لبعض ما وقع فيه فلكيو اليونان من أخطاء . ومحمد الغزالي إلى أن كل عمل طيب مخلص يقوم به الإنسان هو صلاة

تصل ما بينه وبين الله : وعبدالرزاق نوفل إلى إشادة القرآن بالعلم والعلماء ، ومظاهر ذلك فيه : ومحمد جمال الدين الفندى إلى أن العلم صار لغة هذا العصر ووسيلة الإقناع فيه : وموريس بوكاي إلى عدم وقوع القرآن في أخطاء كانت شائعة ثم تبين عدم صحتها ، وعدم اعتماد القرآن على التوراة ، والفريق بين القرآن والحديث : ومحمد اسماعيل إبراهيم إلى أن علماء الفلك والطب أكثر الناس وأسبقهم إيماناً بالمبدع وعظمته ، ومصطفى الدباغ إلى أن القرآن لو كان من تأليف محمد - ﷺ - لما أقحم نفسه في خضم الكونيات : ومتصور حسب النبی إلى أن القرآن والعلم مرتبطان ارتباطاً مصيرياً .

وتعرض بعض العلماء لما قد يبدو بين القرآن والعلم من اختلاف . فأعلن محمد الغزالي أن ذلك الاختلاف ليس بين علم ودين ، بل بين دين وجعل أخذ سمة العلم ، أو بين علم ولغو ليس سميت العلم . واستقصى عبدالرزاق نوفل ما ظنه أسباب الإشاعة الراضجة عن التعارض بين القرآن والعلم . ورد محمد اسماعيل إبراهيم هذا الخلاف إلى أن القضية التي يقع فيها مثل هذا الاختلاف لم تصل بعد إلى مستوى مفهوم الآية ، ومحمد الصادق قمحاوي إلى أنها مازالت في طور التجريبية ولم تصل إلى أن تكون

علمية حقا ، وشوكت محمد عليان إلى العقيدة التي غلبت على الأوربيين في القرنين ١٨ ، ١٩ ويوسف السويدي إلى أهواء رجال الدين ورجال العلم في أوروبا ومصالحهم المتضاربة ، وعدد أصناف من تبعهم في الإيمان بوجود هذا النزاع . ورد محمد السيد أرنأؤوط إلى الخلط الذي يقع فيه بعض العلماء بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية أو عدم الفهم الجيد للقرآن وأسراره .

وهنا يواجهنا السؤال الآتي : هل القرآن كتاب علم ؟
إن الاجماع تام بين المسلمين - وربما غير المسلمين أيضا - أنه كتاب دعوة وإرشاد وتشريع . ولكن ذلك لم يصد المفكرين عن محاولة الإجابة عن السؤال الذي قدمته .

وكانت إجابة عبدالعزيز اسماعيل صريحة بآنة : إنه ليس كتاب أى علم من العلوم . وربما كان محمد عبدالعظيم الزرقاني يقصد تفسير هذا التصريح حين ذهب إلى مثل مذهب عبدالعزيز ، وقال : لأنه لم يقصد - من ذكر العلوم - أن يشرح حقيقة علمية ، ولا أن يحل مسألة ، ولا أن يزيد بابا ، ولا أن يدل على نظرية . ولا أن يقرر قانونا من القوانين العلمية . وأضاف يعقوب يوسف إلى تفسير الزرقاني أن القرآن لا يهدف إلى أن يزيد في معارف

البشر النظرية . كذلك أعلن شوكت محمد عليان أن القرآن لا يدخل في دائرة أي من علومنا وفنوننا .

ولكن غير هؤلاء شغلوا الطرف الآخر . فقال عبد الرزاق نوفل إن التقدم العلمي في العصر الحديث أثبت أن القرآن كتاب علم . وشرح ذلك بأنه جمع أصول كل العلوم والحكمة ، ووجه النظر إلى كل مستحدث من العلم أو أشار إليه . وتبعه عبدالله النوري فأعلن أن القرآن كتاب علم ومعرفة شاملة . ووافقهما عدنان زرزور في أن القرآن كتاب علمي ، غير أنه فسر هذا القول تفسيراً انفرادياً به ، إذ أعلن أنه يريد بذلك المناخ المشجع للتطور العلمي الذي أوجده القرآن .

ويتصل بذلك ما أعلنه محمد جمال الدين الفندي من أنه لا يدعى أن الكتب السماوية مراجع علمية بالمعنى المعروف ، تسوق الحقائق العلمية مفصلة كاملة . واتفق معه شوكت عليان الذي فرق بين مراجع العلوم الدينية ومراجع العلوم التجريبية .

وخالفهم محمود أبو الفيش المنوفي فعد القرآن مرجعاً أعظم للعلوم والمعارف الطبيعية والروحية . واعتدل السيد الجميلي ، فجعله مرجعاً طبياً للفقهاء ، ومرجعاً دينياً للأطباء .

وأجمعوا - أو كانوا - على أن القرآن لا يعنى بتفاصيل ما
تحدث عنه من ظواهر طبيعية أو معظمتها . واختلفت نظرات
العلماء في تفسير ذلك . . .

فقال محمد مصطفى المراغى : إن القرآن - بذلك - ترك الباب
مفتوحاً أمام العلماء ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا من
العلم ، وعبدالعليم كامل : إن النبي - ﷺ - اكتفى بإبانة ما فى
كتاب الله من الشرائع والشعائر وترك بقيته دون تفسير لتتكشف
آياته مع الأيام فتكون معجزة للخلق ، ومحمد اسماعيل إبراهيم :
إن النبي - ﷺ - لم يتعرض لهذه الآيات - التي كانت فوق مستوى
عقولهم - لتقضى البداوة والجهل فيهم .

وحاول بعض العلماء أن يخمنوا ماذا كان يحدث لو صارع
النبي - ﷺ - معاصريه لكنه ما يضمه القرآن من كونييات ،
فأعلن الغمراوى أنه لو فعل ذلك لكذبوه ، وامتنعوا عن الدخول في
الإسلام ؛ ومحمد السيد أرنؤوط لتوقفت الدنيا عن التجدد كما
أراد الله ، أو تجمد فهم القرآن .

وانتقد مؤيدو التفسير العلمى على أن تفسير الآيات العلمية له
جوانبه التي تختلف عما يحتاج إليه تفسير بقية آيات القرآن .
فذهب أبو حامد الغزالي إلى أنها يختص بإدراكها أهل الفهم.

والشريبي الخطيب إلى أن كل جيل يدرك منها أشياء لم يدركها من سبقهم ، وعبدالرحمن الكواكبي إلى أن ما خفى على القدماء إنما ستر عنهم ليكون معجزة جديدة كلما انكشف للأجيال المتوالية.

وانفرد محمد بخيت المطيعي بالقول بوضوح القرآن ، ومن ثم اضطر إلى أن يرد ما خفى على العرب إلى قصور عقولهم ، وأعلن أن كل إنسان يفهم منه ما يؤهله له استعداده وميوله . وأرجع مصطفى صادق الرافعي هذا الخفاء إلى سببين : واحد يتفق معه فيه بقية العلماء وهو أمية العرب . وأما السبب الثاني : وهو أمية النبي - فلا دخل له في هذا الخفاء .

وخالف عبدالعزيز اسماعيل المطيعي واعترف بأن هذه الآيات كانت صعبة الفهم على العرب وقت نزولها ، وما زالت على صعوبتها إلا على من درسوا العلوم الحديثة ، لأنهم - وحدهم - الذين يفهمونها . وعلى الرغم من ذلك فإن الناس - قديما وحديثا - فهموها على نحو ما ، لأن القرآن يخاطب الناس على قدر عقولهم . واتفق حنفي أحمد مع عبدالعزيز اسماعيل على نحو ما . فرأى أن هذه الآيات موجهة إلى أهل النظر والبحث ، لأنهم - وحدهم - القادرون على إدراكها ولعله كان يعلل قول عبدالعزيز الثاني

حين قال إن هذه الآيات لها معان ظاهرة يستطيع الشخص العادى أن يفهمها لوضوحها ، ومعان أخرى دقيقة لا يدركها إلا العلماء .

وسار فى ركبهم محمد اسماعيل إبراهيم الذى أعلن أن السلف لم يفهموها على وجهها العلمى ، لأنها كانت فوق مستوى عقولهم ، بسبب تغشى البداوة والجهل ، وإنما فهموها فهمًا دينيًا رائقًا .

واتجه حسين فؤاد طلبة وشوكت محمد عليان اتجاها آخر . فصرح أولهما أن الناس - وقت نزولها - لم ينتبهوا إلى مدلولها العلمى ، وثانيهما أنهم لم يجدوا حافزًا للبحث فيها .

والتفت محمد محمد أبو شهية إلى ما كان يحدث لو كان المسلمون فهموه واستفادوا منه ، فقال : لو كان هذا وقع لكان المسلمون أسبق الأمم إلى الكشف العلمية والاختراع ، ولصاروا سادة الدنيا .

وعنى جماعة بالرد على خصوم التفسير العلمى . فصرح محمد الغزالي : لا يصدك عن الحق وجود علماء ملحدين ، ولا يغش من العلوم أنها لم تهد بعض الملحدين .

ورد عبدالرزاق نوفل على من يقولون : إن القرآن كتاب دين
وهداية فقط ، بأنه كتاب جمع ، وعلى من قالوا إنه ليس كتاب علم،
بالإشارة إلى ما جاء فيه من حض على العلم وإشادة به ، وعلى
من يخشون من وقوع المفسرين في الخطأ ، بالقول بأن الخطأ
سينسب إلى المفسر لا إلى القرآن .

وأعلن أحمد عبدالسلام الكرداني : إن الغيرة على القرآن لا
تجوز الحيلولة دون إظهار الإعجاز العلمي .

وأحسن محمد اسماعيل إبراهيم الكشف عن طريقة
القرآن في عرض ما يعرض له من قضايا علمية ، منفردا بذلك .
والتفت متصور حسب النبي إلى جانب آخر من جوانب هذه
الطريقة ، وعده من بدائع إعجاز أسلوب القرآن . وقد التفت
قبلهما - إلى تلك الطريقة : الزرقاني من الرافضين للتفسير
العلمي ، وعدها واحدا من وجوه إعجاز القرآن . ووضح أن
ما قاله الزرقاني وحسب النبي يجعل الإعجاز في الوجوه
البيانية .

وذكر الرازي أن الله أمر بالنظر والتأمل والتفكير ، وعبدالعزيز
جاويش أنه لا يوجد كتاب سماوى يضارع القرآن في الحث على
النظر والتفكير ، وطمطأوى جوهرى أن الإسلام مدح العقل ،

ومحمد بخيت المطيعي أن القرآن حرر العقول من قيود التقليد ،
وأوجب الاجتهاد .

وأخيرا نخرج من هذه الجولة بما يؤكد قول من قبلنا بأن أبا
حامد الغزالي أفاض في الحديث عما تضمنته القرآن من علوم .
فقد وجدناه تعرض لها في ثلاثة من كتبه التي وصلت إلينا ، دون
أن نحاول الرجوع إلى بقية كتبه الكثيرة . ثم هذا حذوه في
الإكثار الطيب الإسكندراني وعبدالرزاق نوفل ومحمد جمال الدين
الفندي وآخرون . وتجلى الفخر الرازي أول من اعتمد على الجدال
العقلي في الدفاع عن التفسير العلمي . وتأكدت لنا تخطئة نعيم
الحمصى للرافعي فيما قاله عن ابن رشد . وتبين وجه الصواب
الذي فات الحمصى . كما اتضحت إجادة المطيعي وعبدالعزیز
اسماعيل والفندي والغمراوي واعتدالهم التام ، ومبالغة محمد
وصفي وعبدالرزاق نوفل ومحمود أبو الفيض المنوفى وإسراهم .
وانفرد ابن أبي الفضل فيما سرد ، وبدا يعقوب يوسف حائرا بين
القبول والرفض . وبلغت النظر موقف موريس بوكاي الذي كاد
يضعه في صف المسلمين .

وأود - قبل أن أفرغ - أن أقدم ما يلي :

١ - أرى أن أبا حامد الغزالي لم يوفق في بعض ما اعتمد

عليه ليدل على أن العلوم لا تخرج عن القرآن . فقد كانت النتائج عنده أوسع من المقدمات .

٢ - وأرى أن أبا حامد خلط بين ما لله وما للقرآن . فقد جعل القرآن محيطاً بعلم الله أو كاد . والقرآن واحد من أفعال الله ، يمكن القول بأنه دال على الذات الإلهية ، وعلى ما تتصف به من كمال الصفات ، أما الإحاطة بمدلول الصفات - ومنها العلم - فقول أرى أن فيه شططاً .

ولا أستطيع أن أتفق مع ابن أبي الفضل المرسى في أمرين أيضاً :

١ - الإشادة بما ذكر القرآن من صناعات وآلات وماكولات ومشروبات ... فإن ما أئسى به المرسى أشبه بالقائمة المجردة التي لا تتحلّى بآى جمال أدبى فضلاً عن الإعجاز .

٢ - القول بأن الصحابة والتابعين أحاطوا بما فى القرآن من علوم ، ثم تقاصر عنهم بعدهم ، وتنوع العلوم وتفرقت بها بسبب ذلك التقاصر ، فإن ما حدث هو الأمر الطبيعى فى التطور العلمى ، إذ يبدأ العلم جملة ، ثم تشتق منه فروع ، بل ثم تشتق من الفروع نفسها فروع ، تصير - مع الزمن - علوماً مستقلة . ويتعذر القول بأن القدماء كانوا يعرفونها فضلاً عن الإحاطة بها .

الهوامش

- (١) معترك ٢٢/١ . الإتيان ١٤٩/٢ . نظرات ١٥٦ . قبحاوى ١٢/٣ .
(٢) نفسها .
(٣) معترك ٢٢/١ . الإتيان ١٤٩/٢ . قبحاوى ١٢/٣ .
(٤) معترك ٢٢/١ . الإتيان ١٤٩/٢ . قبحاوى ١٢/٣ .
وانظر عشر ٣٨١ . المصمى ٢٤٣ . حسب ٧ . ٩ . الدباغ ٧٤ .
أمير ١٣٣ . الطواهر ١١ - ٢ .
(٥) الإتيان ١٤٩/٢ . قبحاوى ١٢/٣ . وفى معترك ٢٢/١ : إن
..... بدون وأو .
وانظر الصابونى ١٢٥ أبو زهرة ٥٢٠ . بوكاى ١٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٧ .
الاستانبولى ٦ . الإشارات ٣ - ٤ ، ١٨ . فودة ٢٤٣ . داود ٨٤ وكررها .
(٦) معترك ٢٢/١ . الإتيان ١٤٩/٢ . قبحاوى ١٢/٣ .
(٧) إعلام ١٧ . جواهر الفزائى ٢٦ . مياض ٥٣٦/١ . ابن القيم
٢٤٩ . معترك ١٤/١ . المصمى ١٤٢ . محمد ٩٢ .
(٨) إعلام ١٧ . ولا يخلو كتاب فى الإعجاز العلمى من هذا القول .

إن لم يكتر من ترديده وانظر مثلاً الكواكبي ٤٤ . والمناظر ٢١٢/١ .
الزرقاني ١٨/١ - ٩ ، ٢٥١/٢ . حنفي ٢٧ . الحمصي ٢٣٨ ، ٢٤٣ ،
٢٧٤ ، ٣٩٣ ، ٤٣٧ . الله لنوفل ١٣٨ . نظرات ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ -
٥ . بين للفسراوي . بين لنوفل ١٧٦ ، الذهبى ٤٩٩ . الخطيب ٣٦/٢ .
عبدالحليم ١١-٣ . طيارة ٤٨ ، ٦٤ . القرآن للفندي ١٢ ، ١٦ ، ٥١ .
أبو زهرة ٥٤ ، ٥٢٠ . الصابيوني ١٢٥ . الرازي لحسن ١٣٣ .
الفسراوي ف ٢٢١ . الكرداني ٨ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ . شوقي ٧ .
عبدالقادر ٩٢ . الاستانوي ٦ ، ٨ . الجبري ٣٦ . محمد اسماعيل ٥١ .
٥٥ ، ١٦٥ . الإشارات ٤ ، ١٩ . شوقي ٦ ، ٧ . قمصاي ١٢/٣ .
حسب ٦ ، ٩ . الأميمري ٥٢ . الشاعر ١١٩ . فودة ٢٤٣ . الدباغ ٧٤ .
١١١ - ٢ . أمبير ١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٤٣ . داود ٨٢ . الطواهر ١٢ .
الكومي ٢٢ .
(٩) إعلام ١٧ . عياض ٥٣٦/١ . نظرات ١٥٦ . بوكاي ١٤٥ .
محمد اسماعيل ٥٥ . أمير ١٣٣ . داود ٨٢ . الطواهر ١٢ .
(١٠) إعلام ١٧ .
(١١) إعلام ١٧ . ولا يكاد يخلو كتاب في الإعجاز عامة والعلمى
خاصة من هذا القول . انظر مثلاً : الراجعي ١٣٢ . الزرقاني ١٩/١ .
٢٣٨/٢ . الحمصي ١٩١ ، ٢٤٢ ، ٣ ، ٢٥٣ . فقيهي ١٨٩ . محمد

لنوفل ٩٢ . عرجون ٢٦٠ - ١ ، ٢٧٥ . طيارة ٤٨ ، ٦١ . أبو زهرة
٥٢٠ . الصابوني ١٢٥ . عطا ٢٣٦ . الاستاذيولي ٦ . محمد اسماعيل
٥٥ ، ١٦٥ . الجميلي ١٨ . شيهات ١١٥ - ٦ . الإشارات ١٨ . الأمير
٥٢ . فودة ٢٣٩ . أمير ١٣٣ . داود ٨٢ ، ١٣٣ . الطواهر ١٢ .
(١٢) إعلام ١٧ . ولقى هذا القول بعض التردد . أنظر مثلاً :
الرافعي ١٣٢ . الزرقاني ١٩/١ ، ٢٣٨/٢ . الحمصي ٢٥٠ . طيارة
٤٨ . الصابوني ١٢٥ . محمد إسماعيل ٤ . الأمير ٥٢ . فودة ٢٣٩ -
٤٠ . أمير ١٣٣ . داود ١٣٣ .
(١٣) إعلام ١٧ . محمد لنوفل ٩٢ . عرجون ٢٦١ . الصابوني
١٢٥ . أبو زهرة ٥٢٠ . عطا ٢٣٦ . محمد اسماعيل ١٦٥ . حسب ٩ .
أمير ١٣٣ .
(١٤) إعلام ١٧ . الحمصي ٢٤٢ - ٣ . عرجون ٢٦١ . طيارة ٤٨ .
محمد اسماعيل ٥٥ ، ١٦٥ . قماوي ١٢/٣ . حسب ٩ . أمير ١٣٣ .
داود ٨٢ . الطواهر ١٢ .
(١٥) إعلام ١٧ . وأنظر بشأن دلالة الكونيات على الإعجاز عند
المحدثين مثلاً : الكواكبي ٤٤ . المنار ٢٠٨/١ ، ٢١٢ . الرافعي ١٤٨ .
الزرقاني ٢٧٨/٢ . خشبة ٣ . حنفي ٥ ، ١٧ . الحمصي ٤٢ ، ٩١ ،
٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ - ٥ ، ١٢٦ ، ٨ - ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٢ ،
- ١١٩ -

٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ - ٢ ، ٢٩٤ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٦٦ ،
 ٣٨٦ ، ٣٨٨ - ٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٣٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، نظرات
 ١٣٢ ، فقيهى ١٩٠ ، بين لنوفل ١٥٢ ، ١٧٥ - ٦ ، ١٩٦ ، القرآن لنوفل
 ٢٣ ، ٢٦ ، الذهبى ٤٩٨/٢ ، محمد لنوفل ٨٨ - ٩ ، ٩١ ، الخطيب
 ٢٧/١ ، عبدالحليم ١٢ - ٣ ، عرجون ١٤١ ، ٢٣٦ ، طبارة ٤٨ ، القرآن
 للفندى ١٦ ، ٤٧ ، رواشع ٥ ، يعقوب ٦ ، ٩ ، الصابونى ١٢٥ ، الرازى
 لحسن ٢٢٣ ، القمراوى س ، ص ، ف ، ٢٢١ - ٢ ، ٢٦٧ ، الصباغ
 ٢٠٣ - عتر ٣٧٨ ، ٢٨١ ، عیدالقابر ٩٢ ، ١٠٥ ، عطا ٢٣٥ - ٧ ،
 ٢٥٥ - ٦٣ ، الاستانبولى ٥ - ٦ ، ٨ ، محمد إسماعيل ٤ ، ٦ ، ٥٠ ،
 ١٦٤ ، ١٦٦ ، خلف ٢٥٣ - ٤ ، الجميلى ١١ ، ٢٠ ، منير ٤٣ ، شبها
 ١١١ ، الإشارات ٤ ، ١٢ ، ١٨ ، ٨٠ ، شوقي ٦ ، حمزة ٣ ، على ٥ ،
 دياب ١١ - ٢ ، شحاتة ١٦٥ ، شوكت ٥٣ ، حسب ٥ - ٩ ، الأميرى
 ٥٢ - ٣ ، الشاعر ١٠١ ، ١٠٣ ، فتوة ٢٤٣ - ٤ ، ٢٥١ ، داود ٨٢ ،
 الجندى ٢٩ - ٣٠ ، الكوتيسة ٢٠ ، الطواهر ١٢ ، الصواس ٨ ،
 الرياضيات ٨ ، أرناؤوط ٦٤ - ٥ ، المحجورى ٨ ،
 (١٦) ٨ ، الذهبى ٤٧٥/٢ ،
 (١٧) ٢٦ ، الذهبى ٤٧٥/٢ - ٦ ، الرازى لحسن ٢٧٨ ، وانظر :
 تنبيه المطيعى ٧ ،
 (١٨) ٢٦ ، الذهبى ٤٧٦/٢ ، الرازى ٢٧٨ ، تنبيه ٧ ،
 - ١٢٠ -

- (١٩) سورة الشعراء ٨٠ .
 (٢٠) (٢٦) . الذهبي ٤٧٦/٢ . عرجون ٢٥٦ .
 (٢١) إحياء ١٣٥/٣ . الشرييني ٢/١ . حنفي ٢٨ . الحمصي
 ١٧٢ . الذهبي ٤٧٥/٢ . فاضل ٣٠١ .
 (٢٢) دائرة ٣٥٧/٥ . الذهبي ٤٧٤/٢ . الرياضيات ٩ .
 (٢٣) فكرة ٩٢ ، ٩٩ .
 (٢٤) الشفا ٥٣٦/١ . وانظر بشأن جهل العرب بتلك العلوم : ابن
 القيم ٢٤٩ . المنار ٢١٠/١ ، ٢١٢ - ٣ . الزرقاني ١٩/١ . الحمصي
 ٩٢ . طيسارة ٤٨ . القرآن للفندي ٤٧ . الصابوني ١٢٥ . أبو زهرة
 ٥٢٠ . الاستاذي ٦ . بوكاي ١٤٥ . محمد اسماعيل ٤ . السويدي ٥ .
 (٢٥) الشفا ٥٣٦/١ . معترك ١٤/١ . الإتيقان ١٤٢/٢ . نظرات
 ١٥٦ .
 (٢٦) إعجاز ٢٩٩ . الحمصي ٩٨ .
 (٢٧) فكرة ٩٨ .
 (٢٨) فصل ٢٢ .
 (٢٩) مفاتيح ١٤ / ١٢١ . توفيق ٢٥٠ .
 (٣٠) مفاتيح ١٢١/١٤ . المنار ٢١٢/١ . توفيق ٢٥٠ . حنفي ٥ .
 ٣٤ . الخطيب ٢٦/١ . عرجون ٢٧٤ . محمد اسماعيل ٥١ .

- (٢١) مفاتيح ١٤/ ١٢١ . المنار ١/ ٢١٢ . توفيق ٢٥٠ . الرافعي ١٤٨ - ٩ . ضو ١٣ . حنفي ٥ ، ٢٤ ، ٣٦ - ٩ ، ٤١ . الحمصي ٢١١ . نظرات ١٢٩ . القرآن لنوفل ٦ . الخطيب ١/ ٢٦ . عرجون ٢٣٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٣٦٨ . القرآن للفندي ١٦ ، ٣٠ . يعقوب ٩ . الرازي لحسن ٢٥٧ ، ٢٦٢ . الإسلام للغمراوي ٢٤٥ ، ٣٦٧ . عتر ٣٧٨ . بوكاي ١٤٦ . محمد اسماعيل ٤٩ . خلف ٢٥٢ . الإشارات ١٢ ، ٨٠ . شهبات ١١٢ . فاضل ٣٢٠ . طلبة ١٢٣ . دياب ١٢ . السويدي ٦ . ٧ ، ١٦ ، ٢٥ . شحاتة ١٦٦ . حسب ٥ . الشاعر ١١٤ . فودة ٢٤٤ ، ٢٤٨ - ٩ ، ٢٥١ . منهج ٢٠٣ . الطواهر ١٠ . حواس الإنسان ١٢ ، ٢٤ . الكومي ٢٢ . والحق إنه يتعذر تتبع الإشارة إلى دلالة الكونيات على كل واحدة من صفات الله .
- (٢٢) مفاتيح ١٤ / ١٢١ . المنار ١/ ٢١٢ . توفيق ٢٥٠ . حنفي ٥ ، ٣٤ . الحمصي ٢١٩ . الخطيب ١/ ٢٦ . عرجون ٢٦٥ ، ٢٧٤ . الإسلام للغمراوي ٢٤٥ ، ٣٦٧ . محمد اسماعيل ١٦٤ . الإشارات ٢٣ ، ٢٤ . شهبات ١١٢ .
- (٢٣) مفاتيح ١٤ / ١٢١ . توفيق ٢٥٠ ، ٢٥٥ . الاستانبولي ٩ . منهج ٢٠١ . وأنظر بشأن الدعوة إلى البحث : التاج ١٠٠ . جاويش ٧٢/١ . تنبيه ٢٣ . الرافعي ١٢٧ . العدوي ٩ . شلتوت ٥٨١ . السيد

١٧ . عبيدالطيم ١٣ . الله والكون ٥٥ . الإشارات ٧٦ . دياب ١١ .
السويدى ٣٧ . شحانة ١٥٨ . شوكت ٨٧ . حسب ٥ . التصيرات ٧ .
قودة ٢٤٨ . الكونية ٢١ ، ٢٢ . أرنأوط ٤٥ .
(٣٤) مفاتيح ١٢١/١٤ . توفيق ٢٥٠ ، ٢٥٥ . الاستانبولى ٩ .
منهج ٢٠١ - ٣ . وانتظر يشأن الدعوة إلى التأمل : جابوش ٣٠/١ .
شلتسوت ٥٨١ . دراز ١٧٥ . حنقى ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٦ .
الضمصى ٤٣٥ ، ٤٣٧ . نظرات ١٢٩ . السيد ١٥ . يعقوب ١٥ ، ٩٥ .
محمد اسماعيل ٥٠ ، ١٦٤ . فاضل ٣٢٠ . دياب ١١ . صالحة ٨٤ .
أرنأوط ٤٥ .

(٣٥) سورة ق ٦ .

(٣٦) مفاتيح ١٢١/١٤ . توفيق ٢٥١ . منهج ٢٠٢ .

(٣٧) سورة غافر ٥٧ .

(٣٨) سورة الذاريات ٢١ .

(٣٩) مفاتيح ١٢١/١٤ . توفيق ٢٥١ .

(٤٠) سورة آل عمران ١٩١ .

(٤١) مفاتيح ١٢١/١٤ . توفيق ٢٥٠ .

وقد ردد كل من كتب عن الآيات الكونية - مؤيدا للتفسير العلمى أو

رافضا - فكرة حث القرآن على التفكير . انظر مثلا : الكواكبى ١٣٧ .

التاج ٩٣ ، ١٠٢ ، جاويش ٧٢/١ ، تنبيه ٦ ، ١٠ ، توفيق ٢٢٥ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٨ ، القرآن لمنطأوى ٢٦ ، على فكرى ١٤/١ - ٥ ، كتاب التفكير
 فريضة إسلامية للعقاد ، حنقى ٦ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٤ ، الحمصى ٢٠٩ ،
 نظرات ١٢٩ ، السيد ١٤ ، بين الدين والعلم لتوفل ١٦٤ - ٥ ، عرجون
 ٢٣٠ ، قصة ٤ ، الاستانويلى ٩ ، محمد إسماعيل ٥٠ ، شبهات ١١٢ ،
 الإشارات ٧٦ ، شوقى ٨ ، حمزة ٥ ، ٧٩ ، فاضل ٣٠٤ - ٥ ، البار ٧
 ، دياب ٩ ، السويدي ٧ ، ٣٧ ، زيزير ٢٧ ، شحاتة ١٥٨ ، شوكت ١٠ ،
 حسب ٧ ، الشاعر ١١٤ ، فودة ٢٤٨ ، الجندى ٣١ ، الطواهر ١٣ ،
 حواس ١٢ ، منهج ٢٠٠ ، ٢٠٢ - ٣ ،

(٤٢) مفاتيح ١٢١/١٤ ،

(٤٣) مفاتيح ١٤ / ١٢١ ، أبو زهرة ٥١٩ ،

وطبيعى أن هذه الفكرة تردت في كتابات التفسير العلمى ، انظر
 مثلاً : جاويش ٧٢/١ ، توفيق ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، الزرقانى ٢٥١/٢ ، دراز
 ١٧٥ ، حنقى ١ ، ٥ ، ١١ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، الله لتوفل ٦ ، ٧ ،
 ١٥ - ١٩ ، ٢٠ - ٥٧ ، ١٣٥ ، ١٣٨ - ٩ ، الإسلام لتوفل ١٠ ،
 ١٤ ، بين للقمراوى ٢٧ - ٣٧ ، السيد ٢٥ ، القرآن لتوفل ٦ ، عرجون
 ٢٧١ ، ٢٧٤ ، طيارة ٦٥ ، ٦٧ ، القمراوى ٥٢ ، ٢٤٥ ، ٣٦٧ ، عتر
 ٣٧٨ ، مطا ٢٣٦ ، الله للفتدى ٥٣ ، خلف ٢٥٢ ، شبهات ١١٢ ،

الإشارات ١٢ ، دياب ٩ ، ١٢ ، السويدي ١٦ ، ٣٥ ، شوكت ١٠ ، حسب
 ٥ ، ٧ ، ١٢ ، النصيرات ٧ ، الجندى ٣١ ، منهج ٢٠٢ - ٣ ،
 (٤٤) مفاتيح ١٢١/١٤ - ٢ ، الراجعي ١٤٥ ، العبدى ٢ ، عبدالعزيز
 ٢ ، ضو ٤٢ - ٣ ، حنفي ٣٢ ، الحمصي ٢٠٩ ، ٢١٥ ، الله لنوفل ٥٧ ،
 القرآن لنوفل ٦ ، قصة ٤ ، شوقي ٦ ، فاضل ٣١٥ ، ٣٢٠ ، سليمان
 ١٠ ، علي ٥ ، السويدي ٦ ، ٧ ، ١٦ ، حسب ٧ ، شوكت ٨٧ ، داود
 ٤٨ ،
 (٤٥) مفاتيح ١٢٢/١٤ - بين الغمراوي ٣٤ ، السويدي ٦ ، ٧ ،
 (٤٦) مفاتيح ١٢٢/١٤ ،
 (٤٧) الرازي ٢٢٣ ،
 (٤٨) التاج ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، القرآن لمنطاري ٢٦ ، علي فكري
 ١٤/١ ، حنفي ٥ ، السيد ١٥ ، عرجون ٢٦٧ ، الإشارات ٧٦ ، الجندى
 ٣٠ - ٢ ، حواس ١٢ ، منهج ٢٠٣ ،
 (٤٩) شوكت ١٠ ، ١١ ، منهج ٢٠٢ - ٣ ،
 (٥٠) الراجعي ١٤٧ ، خشية ٣ ، ١١ ، الحمصي ٢١٩ ، الله لنوفل
 ١٢٨ - ٩ ، نظرات ١٢٩ ، السيد ٢٥ ، عرجون ٢٦٥ ، ٢٧٥ - ٦ ،
 الغمراوي ٥٣ ، ٢٤٥ ، عتر ٣٧٨ ، محمد أسماعيل ٤٩ ، خلف ٢٥٢ ،
 الإشارات ١٢ ، ٨٠ ، طلبية ١٢٢ ، دياب ١٢ ، السويدي ٦ ، ٧ ، ٣٥ ،

شوكت ١١ ، ٢٨ - ٩ . سليمان ١٠ . الشاعر ١١٤ . أفاق ٤ .
هندسة ١١ . الطواغر ١٠ . حواس ١٢ . الرياضيات ٤ .
منهج ٢٠٣ .
(٥١) جاويش ٧٢/١ . الله لنوفل ١٧ - ٢٠ . بين للغمراوي ١٤ .
٣٧ - ٤٤ . عرجون ٢٧٤ . طبارة ٩٦ - ٧٠ . الإسلام للغمراوي ٤٩ .
٥٢ ، ٢٤٥ ، ٣٦٧ . أبو شهبة ١١ . عتسر ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٣٧٨ .
عطا ٢٣٦ ، ٢٥٨ . خلف ٢٥٢ . المسيحي ١٧ ، ١٢٦ . شوكت ١٠ .
١١ . حسب ٥ ، ٧ ، ٣٧ . أبو علي ٣٦ . الكومي ٢٢ . وغيرها .
منهج ٢٠٣ .
(٥٢) الممصى ٢١١ . أبو شهبة ١١ . الإشارات ٢٩ . البار ٨ .
منهج ٢٠٣ .
(٥٣) المنار ٢١٢/١ . والسيد ٢٥ . عرجون ٢٦٥ . القرآن للفندي
٣٠ . الاستانبولي ٦ . منهج ٢٠٣ .
(٥٤) نظرات ١٣٠ .
(٥٥) معترك ١٧/١ . الإتنان ١٤٧/٢ . الإكليل ٦ . الألويسي ١٤/
٢١٦ . الذهبي ٤٧٨/٢ . عرجون ٢٥٥ . عطا ٢٥٩ . عبدالقادر ٨٨ .
فاضل ٣٠٢ . قحاي ٦/٣ . الرياضيات ٩ .
(٥٦) معترك ١٧/١ . الإتنان ١٤٧/٢ . الإكليل ٦ . الألويسي

٢١٦/١٤ . الذهبي ٤٧٨/٢ - ٩ . عطا ٢٥٩ . عبيد القادر ٨٨ .
قمحاوي ٦/٣ .

(٥٧) معترك ١٧/١ . الإتيقان ١٤٧/٢ . الإكليل ٧ - ٩ . الرافعي
١٢٩ - ٣٢ . الذهبي ٤٧٩/٢ - ٨١ . عرجون ٢٥٥ . عطا ٢٥٩ .
عبيد القادر ٨٨ - ٩١ . فاضل ٣٠٢ - ٣ . قمحاوي ٦/٣ - ١١ .
الرياضيات ٩ .

(٥٨) سورة الأعراف ٢٢ وله ١٢١ .

(٥٩) سورة سبأ ١٠ .

(٦٠) معترك ٢١/١ - ٢ . الإتيقان ١٤٩/٢ . الإكليل ٩ . الذهبي
٤٨٢/٢ - ٣ . عرجون ٢٥٥ - ٦ . عبيد القادر ٩١ . فاضل ٣٠٣ .
قمحاوي ١١/٣ - ٢ . أبو علي ٣٤ .

(٦١) معترك ٢٢/١ . الإتيقان ١٤٩/٢ . الإكليل ٩ . الذهبي
٤٧٤/٢ - ٤٨٢ . عرجون ٢٥٦ . قمحاوي ١٢/٣ . عطا ٢٥٨ . فاضل
٢٠١ . أرتاقوط ٧ . ٥٩ .

(٦٢) نفسها .

(٦٣) السراج ٢/١ . الممصني ١٧٢ - ٣ .

(٦٤) السراج ٢/١ . الكواكبي ٤٤ . الممصني ١٧٢ . بين لنوفل
١٧٥ . يعقوب ١٠ .

- (٦٥) الحمصي ١٩١ .
 (٦٦) الحمصي ١٩٢ .
 (٦٧) نفسه .
 (٦٨) نفسه .
 (٦٩) الحمصي ٢١٠ . وانظر السعدى ٢٨ . أبو زهرة ٥٢٣ -
 محمد إسماعيل ٥٥ .
 (٧٠) الحمصي ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٣١١ . وانظر الكواكبي ٤٤ . التاج
 ٨٨ . المنار ٢٠٧/١ ، ٢١٠ . تنبيه ٤ ، ٧ ، ٨ . الله لنوفل ٦ . القرآن
 ٢٣ ، ٢٦ . بين لنوفل ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٩٦ . محمد
 لنوفل ٩١ . الخطيب ٢٨/١ . عطا ٢٥٨ . خلف ٢٥٤ . سلطان ٤٣ -
 ٤ . شيهات ٢٨ . الإشارات ٤ . حمزة ٣ . زيزود ٢٦ . الأميرى ٥٢ .
 أمير ١٣٣ .
 (٧١) الحمصي ٢٣١ - ٣ ، ٣١٧ . وانظر : الرافعي ١٤٢ ، ١٤٥ .
 عبدالعزيز ١١٥ . الإسلام لنوفل ١٤ . المقدم ٥ . حنفي ٦ ، ٧ . بين
 للفرأوى ٢٥ ، ٥١ - ٢ . القرآن ٢٣ ، ٢٦ . بين لنوفل ٢٣ ، ١٤٣ ،
 ١٩٦ . محمد لنوفل ٩١ . الذهبي ٤٩٩/٢ ، ٥٠١ - ٢ . طيارة ١٠٤٨ .
 الصياغ ٢٠٣ . عتر ٣٧٨ . عبدالقادر ٩٣ . الاستانبولى ٦ . محمد
 اسماعيل ٦ . خلف ٢٥٤ . سلطان ٤٣ - ٤ . الإشارات ٤ . غاضل ٣١٥ .
 -١٢٨ -

دياب ٩ - ١٠ . زينود ٢٦ . شحاتة ١٦١ . شوكت ٥٦ . حسب ٦ .
الديباغ ١١١ .

(٧٢) الحمصي ١٠٤ ، ١٥٥ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٢٧٤ . وانظر
: الكواكبي ٤٤ . تنبيه ٢٤ . الزرقاني ٢٧٨/٢ . ضو ١٣ . القرآن لتوفل
٦ ، ٢٦ . بين لتوفل ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٦٧ ، ١٧٥ . محمد لتوفل ٨٩ ،
٩١ . الذهبي ٥٠٢/٢ . طيارة ٤٨٤ ، ٦١ . القرآن للفندي ٤٧ ، ٥٠ .
الصابوني ١٢٤ - ٥ . أبو زهرة ٥٢٣ . المتوفى ٨ . الفمراوى ٣٦٧ .
الصباغ ٢٠٣ . الكرداني ٩ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ . عبيد القادر ٩٣ .
الاستانبولي ٦ . بوكاي ١٤٦ . محمد إسماعيل ٦ . خلف ٢٥٤ .
سلطان ٤٣ - ٤ . فاضل ٣١٥ . الأمير ٥٣ . التصيرات ٧ . الديباغ
١١١ . أمير ١٣٣ . داود ٨٠ ، ٨٢ . العفيفي ٨ .

(٧٣) الحمصي ٢١٠ ، ٣٩٠ . وانظر الكواكبي ٤٦ . المنار ٢١٠/١ .
الزرقاني ٢٧٨/٢ . القرآن للفندي ٤٧ . الفمراوى س . ص ٣٦٧ .
الكونية ٢٠ .

(٧٤) الحمصي ٢١١ - ٢ .

(٧٥) على فكرى ١٥/١ . وانظر : الراقصي ١٣٢ . هنجي ٥ ، ٦ ،
٣٧ . بوكاي ١٤٦ . الإشارات ٧٩ .

(٧٦) روح ١٤٤/٧ ، ٢١٥/١٤ . عبدالعزيز ١ . على فكرى ٧/١ .

- (٧٧) روح ١٤٤/٧ . فاضل ٣٠٢ .
 (٧٨) روح ١٤٤/٧ . المنار ٣٩٥/٧ .
 (٧٩) روح ١٤٤/٧ - ٥ .
 (٨٠) روح ٢١٦/١٤ .
 (٨١) الألويسي ٣١٠ .
 (٨٢) روح ٢٩ / ٩ .
 (٨٣) طبائع ٥٣ . التاج ٤٥ ، ١٠١ - ٢ ، ١٦٦ - ٧٠ . تنبيه ٢٤ .
 القرآن لمطتاوي ٢٧ ، ٧٤ . الرافعي ١٢٧ . الزرقاني ١٨/١ ، ٢ /
 ٢٥٣ . خشية ١١ . الحمصي ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ . التفكير ٦٠ .
 كتاب الإسلام والعلم لتوفل . القرآن لتوفل ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ . بين لتوفل
 ١٦ . عبدالحكيم ١٣ . عرجون ٢٦٧ . القرآن للفتدي ١٨ ، ٧ . روائع ٤ ،
 ١٠٤ . المنوفي ١٦ . الغمراوي ط ٣١ . الاستانبولي ٩ . الله والكون
 ٦ ، ٥٥ . بوكاي ١٤ ، ١٤٠ . محمد اسماعيل ٥ ، ٢٨ ، ١٦٦ . خلف
 ٢٥٣ . الجميلي ١١ . سلطان ٤٤ . الإشارات ٧٦ . حمزة ٥ . فاضل
 ٣٠٤ - ٥ ، ٢٢٠ . على ٦ . دياب ٩ . السويدي ٨ ، ٧ ، ١٦ ، ٣١ ،
 ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ١٠٠ . زيزور ٢٧ . شحاتة ١٥٧ . شيكت ٢٧ ، ٣٠ ،
 ٣٢ . حسب ٥ . التصيرات ٧ ، ٢٩٧ . العلم لسليمان ١٠ . العلم لسليمان
 ١٠ - ٢ . الشاعر ١١٢ - ٣ ، ١١٥ . الإنسان ٥ . صالحة ١٠٨ .
 - ١٣٠ -

الجندي ٣٠، ٣٢، الكونية ٢٠-١، الظواهر ١٣، الرياضيات
٧-٨، أرتاويط ٣٤.
(٨٤) طبائع ٥٣، القرآن لنوفل ٢٣، القرآن للفندي ١٨، ٥٢، الله
والكون ٦، العلم لسليمان ١٠، فاضل ٣٠٥، زوزور ٢٧، شحاتة
١٥٧، الجندي ٣١، الكونية ٢٠، الرياضيات ٢٠، الفكرى للجميلي ١١.
(٨٥) طبائع ٤٤.
(٨٦) طبائع ٤٤، الذهبي ٩٩/٧.
(٨٧) طبائع ٤٦، الرافعي ١٤٨، عيد العزيز ١١٤-٥، القرآن
لنوفل ٣٠، محمد ٨٩، القرآن للفندي ٩، ٢٠، يعقوب ٦، ٩، عتر
٣٧٨، عطا ٢٣٥، محمد اسماعيل ٤، ٤٩، ١٦٦، سلطان ٤٤.
الإشارات ١٢، ١٨، السويدي ٦، الأميري ٥٤، حواس ٨.
(٨٨) إعجاز ١٤٦، التفسير ٧.
(٨٩) الرافعي ١٤٥، المقدم ٥، نظرات ١٣٤، ١٣٩، محمد ٩١.
طيارة ٩٦، المنوفي ٩، أبو شهبه ١٢، الصباغ ٢٠٣، عتر ٣٧٨،
٣٨١، عيد القادر ٩٣، الاستانبولي ٦، حمزة ٣، علي ٥، الدباغ
١١١٠، داود ٨٢، الظواهر ١٢، حواس ٨.
(٩٠) الرافعي ١٤٦، بين لنوفل ١٧٢، ١٩٦، الكرداني ٩، حواس ٨.
(٩١) تفسير أسرار ٧٢/١، محمد اسماعيل ٤٩-٥٠، شوكت
١-١٠.

- (٩٢) التاج ١٠١ ، وانظر : تنبيه ٢٤ . القرآن للفندي ٧ . روائع ٤ .
الغمرائي ط . الله والكون ٦ . سليمان ١٠ .
- (٩٣) التاج ٩٣ .
- (٩٤) التاج ١٠٢ ، ١٦٦ - ٧٠ . قصة ٣ . الطب لسليمان ١٢ .
الأهرام ١٨ - ٣ - ١٩٩١ .
- (٩٥) التاج ٩٣ . ١٠٢ . القرآن ٢٦ . وانظر جابريش ٧٢/١ .
توفيق ٢٥١ ، ٢٥٨ . الرافعي ١٢٧ . شلتوت ٥٨١ . حنفي ٦ ، ٢٠ ،
٢١ ، ٢٣ ، ٤ - ٣٤ ، ٣٦ . المصممي ٢١٩ . نظرات ١٣٠ . السيد ١٤ -
٧ . القرآن لتوفيل ٢٤ . بين لتوفيل ١٦٢ . وجدى ٣٥ . عرجون ٢٧٥ -
٦ . يعقوب ١٠١٥ . أبو شهبة ١٠ - ١ . الكرداني ٣ . الاستاذيولي ٩ .
محمد اسماعيل ٥٠ ، ١٦٤ . سلطان ٤٤ . شبهاث ١١٢ . شوكت ١٠ .
١١ ، ٨٧ . البار ٧ . دياب ١١ . المسويدي ٧ ، ٣٧ . زرزور ٢٧ .
شحاتة ١٥٨ . حسب ٥ . الشاعر ١١٤ . فودة ٢٤٨ . أفاق ٤ . الكونية
٢٢ . الرياضيات ٨ . أرتاؤيط ٣ ، ٤٥ . منهج ٢٠٠ - ١ .
- (٩٦) التاج ١٠٢ . وانظر بين لتوفيل ١٦٢ - ٣ .
- (٩٧) التاج ٩٦ - ٧ . الغمرائي ٢٢٣ - ٥ .
- (٩٨) التاج ٩٦ - ٧ ، ١٠٠ . الغمرائي ٢٢٣ . أفاق ٤ .
أرتاؤيط ٣٤ .

- (٩٩) التاج ٩٢ . وانظر بين الغمراوي ١٩ . زرزور ٢٦ . شوكت ٢٧ . سليمان ١٢ . الشاعر ١١ . السويدي ١٦ .
- (١٠٠) سورة فاطر ٢٨ .
- (١٠١) التاج ٩٢ .
- (١٠٢) فكرة ٢٢٤ . عبدالعزيز ١٥ . الحمصي ٢٢٤ ، ٣١١ ، ٣٩٠ . ٤٣٦ . السيد ٣٢ . عبدالحليم ١٦ . عرجون ٢٣٥ ، ٢٧٤ . محمد اسماعيل ٤٩ . شيهات ١١١ . دياب ١٢ . الحسيني ٢٥ ، ١٢٥ . شعبان ٣٢٣ . فودة ٢٤٤ .
- (١٠٣) تنبيه ٤ ، ٧ ، ٨ .
- (١٠٤) تنبيه ٧ . يعقوب ١٢ . الغمراوي ٢٢٢ . الكرداني ٤ ، ١٤ . وغيرهما . شوقي ٧ ، ٩ . السويدي ٥ . المحجري ١٧ .
- (١٠٥) تنبيه ٧ .
- (١٠٦) تنبيه ٨١ . توفيق ٢٥٠ . وطبيعي أن يسود القول بعدم الاختلاف بين القرآن والعلوم عامة كل الكتابات مؤيدة ومعارضة . أنظر مثلاً : العدوي ٩ . شلتوت ٥٨١ . دراز ١٧٦ . حنفي ١٧ . الحمصي ٢٤٣ - ٥ . ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩٧ ، ٣٢٨ ، ٤٢٧ . نظرات ١٣١ . الإسلام لتوفل ٥ ، ٦٩ . بين لتوفل ١٤٦ . عرجون ٢٢٨ . الصابوني ١٢٤ . يعقوب ١٣ . المتوفي ٤ ، ٣٠ . الرازي لحسن ٢٢٢ . الغمراوي

س . ٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٥٨ . الكرداني ١٤ . عتر ٢٧٥ ، ٢٧٨ . عبدالقادر
 ٩٢ . بوكاي ١٣ . محمد اسماعيل ٥ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٥٥ . السويدي ٣٦ ،
 ٣٨ . زيزور ٣٠ . شوكت ٢٩ ، ٥٣ . شعبان ٢٢٢ . حسب ٧ . الدباغ
 ٧٤ ، ١١١ ، ١١٣ . الكونية ٢٠ . أرنأوط ٦٤ . الكومي ٢٢ - ٣
 الحجري ١٧ .

(١٠٧) توفيق ٣٥ . والقول بالاتفاق بين القرآن والعلوم في
 الشيوع مثل عدم الاختلاف . وانظر مثلاً : عبدالله فكري ٩ .
 الراقعي ١٢٧ . العدوي ٩ . عبدالعزيز ١ . ضمر ٥ . دراز ١٧٦ .
 حنفي ٣٤ ، ٤٠ . الإسلام لنوفل ١٠ ، ١٤ . نظرات ١٣ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
 ١٣١ ، ١٣٥ . عبدالحليم ١٢ - ٣ . طبارة ٤٩ . قصة ٣ . روائع ٣ .
 ٥ . المتوفي ٤ ، ٩ ، ٥٠ . الفمراوي ن . س ، ٣٠ ، ٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٦٧ .
 عبدالقادر ٩٢ . عطا ٢٥٨ . بوكاي ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ . محمد
 اسماعيل ٥٠ ، ٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٦ . سلطان ٤٣ . شوقي ٦ . فاضل
 ٣٠٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ . دياب ٩ . السويدي ٣٥ - ٧ . زيزور ٢٧ ، ٣٠ ،
 ٣٠٤ . شحاتة ١٦١ . شوكت ٥٢ ، ٥٦ . شعبان ٢٢٢ ، ٢٣٥ .
 الطيب لسليمان ١٠ - ٢ . حسب ٧ . أميرت ١٢٣ . هندسة ١١ . داود
 ٨٠ - ٣ . الكونية ١٩ . الظواهر ١٠ ، ١٢ . أرنأوط ٦٤ . الكومي
 ٢٢ - ٣ .

- (١٠٨) تنبيه ٧ ، توفيق ٢٥٧ .
- (١٠٩) تنبيه ٧ ، علي فكري ١٦/١ .
- (١١٠) تنبيه ٤ ، حنفي ٢٤ - ٤ ، السيد ١٥ ، القرآن للفندي ١٧ ،
الغمرائي ٣٥ ، الإشارات ٧٦ ، زرنير ٢٧ ، شوكت ١٠٧ ، صالحه
١٠٨ ، الجندی ٣١ ، ٤٦ - ٩ .
- (١١١) تنبيه ٤ .
- (١١٢) سورة القيامة ١٩ .
- (١١٣) سورة الأنعام ٦٧ .
- (١١٤) سورة ص ٨٨ ، القرآن ٢ - ٣ .
- (١١٥) القرآن ٣ ، الراقعي ١٤٢ ، عبدالعزیز ١ ، محمد ٨٩ ،
محمد إسماعيل ٥٥ ، سلطان ٨٩ ، شوقي ٨ ، شوكت ٥٣ .
- (١١٦) القرآن ٣ .
- (١١٧) القرآن ٣ .
- (١١٨) القرآن ٢ ، نظرات ١٢٢ ، بين لنوفل ١٣٥ - الممصني
٢٥٠ ، ٢٥٣ ، الخطيب ٢٦/١ ، شوقي ٧ ، السويدي ٦ - ٧ ، الأميری
٥٣ .
- (١١٩) إعجاز ١٢٦ ، خشبة ١٢ ، الممصني ٣١١ ، القرآن لنوفل
١١ ، بين لنوفل ١٧٥ - ٦ ، محمد ٨٨ ، الخطيب ٢٧ ، ٢٢ ، ٢١٤ .

روائع ٣، ٥، ١٠٧، القمراوى من ٢٢٢، عثر ٣٨١، الله والكون ٦،
 ١٧، ٥٣، حمزة ٣، حسب ٦، ٩٠٧، الأميرى ٥٤، وغيرها .
 (١٢٠) إعجاز ١٢٦، ١٣٢، ١٤١، الذهبى ٥٠١/٢، القمراوى
 ٢٢٢، عطا ٢٥٨، نذود ٢٩ .
 (١٢١) إعجاز ١٤٢، الحمصى ٢١٨، الذهبى ٥٠١/٢ - ٢، أبو
 زهرة ٥٢٣ .
 (١٢٢) إعجاز ١٤٢ - ٤، وصفى ٤، المقدم ٥، الحمصى ٢١٨،
 ٣١٢، الله لتوفل ٦، الإسلام لتوفل ٦٩، نظرات ١٥٨، بين للقمراوى
 ٢٤، محمد ٨٩، الخطيب ٢٤/١، ٢٦، ٢٧، عبدالحليم ١٢، عرجون
 ٢٧٤، القمراوى ٢٢٢، محمد اسماعيل ٤، خلف ٢٥٤، منير ٤٤،
 الإشارات ٨٠، طلبة ١٢٣، شوكت ٥٣، ٥٦، أبو علي ٢٣، ٣٦،
 (١٢٣) إعجاز ١٤٢، الذهبى ٥٠٢/٢، طلبة ١٢٣ .
 (١٢٤) إعجاز ١٤٣ - ٣، الإشارات ٨٠، شحاتة ١٦٦ .
 (١٢٥) إعجاز ١٤٤، الخطيب ٢٨/٢، عثر ٢٧٨، فاضل، شحاتة
 ١٦٦، شوكت ٥٦ .
 (١٢٦) إعجاز ١٤٤ .
 (١٢٧) إعجاز ١٣٢ .
 (١٢٨) إعجاز ١٣٢ - ٣ .

(١٢٩) إعجاز ١٤٥ . الصابوني ١٢٥ . الاستانبولي ٦ .
الظواهر ١٢ .

(١٣٠) إعجاز ١٤٥ . بين لنوفل ٤٨ . عبدالقادر ٩٣ . دياب ٣٣ .
الظواهر ١٢ .

(١٣١) إعجاز ١٤٥ .

(١٣٢) إعجاز ١٤٥ . وانظر يشان كون الكونيات وسيلة إلى
الإيمان: عبدالعزيز ١٤ . خشية ١١ - ٢ . دراز ١٧٥ . الحمصي ٢٢٣ .
بين للغمراوي ٣٤ . عرجون ٢٧٦ . القرآن للفندي ٧ . الغمراوي ف .
٥٢ . ٢٦٧ . أبو شهية ١١ . الاستانبولي ٨ . الطب لمليمان ١٠ .
الاشارات ١٨ . شوقي ٦ . دياب ٩ . السويدي ٦ . ٢٨ . شوكت ٨٧ .
حسب ٧ . الدباغ ١١٣ . داود ٨٠ . الجندی ٣١ .

(١٣٣) إعجاز ١٤٦ .

(١٣٤) الإسلام ١٣ . الاستانبولي ٥ - ٦ .

(١٣٥) الإسلام ١٣ ، ١١٥ . وقد ردد العلماء - من المؤيدين
والرافضين - القول بأن القرآن ليس كتاب علم عامة أو بعض العلوم
خاصة . انظر مثلاً : شلتوت ٥٨١ . الحمصي ٩٨ ، ٢٥١ ، ٣٠٠ .
٣٣٨ . نظرات ٢٤ . السيد ١٩ . الخطيب ٢٩/١ ، ٣٥ . عبدالحليم ١٢ .
عرجون ٢٥٦ . قصة ٤ . روائع ١٠٧ . يعقوب ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ .

الصابوني ١٢٤ . عبدالقادر ٩٢ ، ١٠٥ . الاستانبولي ٨ . بوكاي ١٤٦ .
الله والكون ٦ . دياب ١١ . السويدي ٥ . شوكت ٥٦ . اسماعيل ٣٣٥ .
التصيرات ٩ . الشاعر ١١٩ . الدباغ ٧٤ . صالحة ١٠٤ .
(١٣٦) الإسلام ١١٥ . حنفي ٦ ، ١٧ . الحمصني ١٠٤ . بين
للمراوى ٢٥ . الذهبي ٥٠٢/٢ . عتر ٣٧٨ . اسماعيل ٤ . على ٥ .
(١٣٧) الإسلام ١١٥ . الأميري ٥٢ . حسب ٩ .
(١٣٨) الإسلام ١٧ . الحمصني ٣٧٨ . محمد لنوفل ٨٩ . بين لنوفل
١٣٩ . عبدالحليم ٧ . القرآن للفندي ٩ . روائع ١٠٧ . عبدالقادر ٩٣ .
حواس ٨ .
(١٣٩) الإسلام ١١٤ - ٥ . القرآن لنوفل ٣٠ . إسماعيل ٤٩ .
الأميري ٥٤ . حواس ٨ .
(١٤٠) الإسلام ١٣ . حنفي ٣٤ . نظرات ٣ ، ١٣٢ . السيد ١٩ .
٣٠ . الذهبي ٥٠٢/٢ . عبدالحليم ١٣ . يعقوب ١٣ . السويدي ٥ .
منهج ٢٠٠ .
(١٤١) الإسلام ١٣ . نظرات ١٣١ ، ١٣٣ . السيد ١٩ ، ٣٠ .
السويدي ٥ . حسب ٧ . الكونية ٢١ . الكومي ٢٢ .
(١٤٢) نفسها .
(١٤٣) الإسلام ١٣ .

- (١٤٤) الإسلام ١١٤ - ٥ . حنفي ٥ ، ٢٤ ، الفمراوى س ، ص .
 ٢٥٤ . الاشارات ٤ ، ١٨ ، حسب ٦ .
 (١٤٥) الإسلام ١١٤ - ٥ .
 (١٤٦) الإسلام ١٤ . حنفي ٣٦ ، ٤١ ، عرجون ٢٧٥ . الذهبي
 ٥٠٢/٢ . عرجون ٢٧٥ . منهج ٢٠١ .
 (١٤٧) الإسلام ١٤ .
 (١٤٨) الإسلام ١٤ .
 (١٤٩) الإسلام ٦٧ .
 (١٥٠) الإسلام ٦٧ .
 (١٥١) الإسلام ١٤ ، ١١٥ . السيد ١٩ .
 (١٥٢) نفسها .
 (١٥٣) الإسلام ١٣ . السيد ١٩ . الذهبي ٥٠٢/٢ .
 (١٥٤) الإسلام ١٤ . شلتوت ٥٨١ . الحمصي ٢٠٩ . قصة ٤ . الله
 والكون ٥ . شوقي ٦ . على ٥ . السويدي ٦ ، ٧ ، ٣٥ . شوكت ١١ .
 حسب ٧ . داود ٨٠ .
 (١٥٥) الإسلام ١١٥ .
 (١٥٦) عبدالعزيز ٥ .
 (١٥٧) عبدالعزيز ٥ .

- (١٥٨) عبدالعزيز ٥ - ٦ . السيد ١٩ .
- (١٥٩) عبدالعزيز ٦ . السيد ١٩ . بين لنوفل ١٦٧ . القرآن للفندي ٥٠ ، ٤٨ .
- (١٦٠) عبدالعزيز ٦ .
- (١٦١) عبدالعزيز ٥ ، ٧ .
- (١٦٢) القرآن ٤ . محمد لنوفل ٨٩ . القرآن للفندي ٣٠ . يعقوب ٩ ، ٩١ - ٢ . عثر ٣٧٨ . محمد اسماعيل ٤ ، ١٦٦ . الإشارات ١٢ ، ١٨ . السويدي ٦ .
- (١٦٣) القرآن ٤ .
- (١٦٤) القرآن ٤ .
- (١٦٥) القرآن ٤ .
- (١٦٦) القرآن ١٠ .
- (١٦٧) القرآن ١٣ . السيد ١٧ ، ٢٥ . أبو شهبة ١١ .
- (١٦٨) القرآن ١٣ . الخطيب ٢٧/١ . الإشارات ٤ ، ١٢ ، ١٨ .
- (١٦٩) القرآن ١٣ .
- (١٧٠) القرآن ١٣ .
- (١٧١) القرآن ١٣ .
- (١٧٢) يثوبع ١٥/١ .

- (١٧٣) ينبوع ١٤/١ . حنفي ٥ . حمزة ٥ . الكونية ٢١ .
- (١٧٤) ينبوع ١٤/١ . القرآن للفندي ٣٠ . شوكت ١١ . حسب ٧ .
- (١٧٥) رسالة ١١ . القرآن لتوفل ٢٤ . الهندي ٣٢ . الكونية ٢٢ .
- حواس ١٢ . أرنأوط ٤٥ .
- (١٧٦) رسالة ١٢ . القرآن لتوفل ١١ . بين لتوفل ١٧٥ - ٦ . محمد ٨٨ . الخطيب ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢ . روائع ٥ ، ١٠٧ . الغمراوي ص ٢٢٢ .
- الله والكون ٦ ، ١٧ ، ٥٣ . حمزة ٣ . حسب ٦ ، ٧ ، ٩ . وغيرها .
- (١٧٧) رسالة ١٢ . الحمصي ٤٤٧ . القرآن لتوفل ٧ ، ٢٥ . بين للغمراوي ٣٦ . الغمراوي ف ، ٢٢١ ، ٢٦٢ . عبد القادر ٩٢ . حسب ٦ .
- (١٧٨) رسالة ١٢ . محمد ٨٩ . القرآن للفندي ٩ . سلطان ٤٤ .
- السويدي ٦ .
- (١٧٩) مدخل ١٧٥ .
- (١٨٠) مدخل ١٨٠ .
- (١٨١) مدخل ١٨٠ . منهج ٢٠١ .
- (١٨٢) مدخل ١٨٠ .
- (١٨٣) مدخل ١٨٠ .
- (١٨٤) شواهد ٥ . شوقي ٧ . فاضل ٣١٥ ، ٣٢٠ .
- (١٨٥) التفسير ٣٤ . الإسلام للغمراوي ٢٤٥ .
- ١٤١-

- (١٨٦) التفسير ٢٢، ٥ . السيد ٢٥ . الاستانبولي ٦ .
 (١٨٧) التفسير ٣٤ . وانظر الفمراوى ٢٤٥ .
 (١٨٨) التفسير ٣٤ . منهج ٢٠٠ .
 (١٨٩) التفسير ٦ ، ٣٨ ، ٤١ . شحاتة ١٥٧ .
 (١٩٠) التفسير ٦ . منهج ٢٠١ .
 (١٩١) التفسير ٦ ، ٨ .
 (١٩٢) التفسير ٦ - ٧ .
 (١٩٣) التفسير ٧ ، ٣٨ .
 (١٩٤) التفسير ٨ . بين لنوفل ١٣١ - ٢ . شوقي ٧ .
 السويدي ٣٥ .
 (١٩٥) التفسير ٨ .
 (١٩٦) التفسير ٨ .
 (١٩٧) التفسير ٥ ، ٨ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤١ . عشر ٣٧٨ . بوكاي ١٤٦ .
 فاضل ٣١٥ . الدياغ ٧٤ . آفاق ٤ . المحجرى ٨ .
 (١٩٨) التفسير ٦ . الخطيب ٢٨/٢ . آفاق ٤ . الطواهر ١٠ .
 (١٩٩) التفسير ٦ ، ١٧ . الله لنوفل ١٣٨ . القرآن لنوفل
 ٢٦ . بين لنوفل ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٩٦ . مسعود ٩ . الذهبي ٤٩٩ .
 الكرداني ٤ .

- (٢٠٠) التفسير ١٧ ، ٤١ .
- (٢٠١) التفسير ٤١ ، الفمراوى ص . الأميرى ٥٣ . الجميلى ٢٠ .
- (٢٠٢) التفسير ١٧ .
- (٢٠٣) التفسير ١٧ . الأميرى ٥٣ . قصة ٤ . الأميرى ٥٣ .
حسب ٦ .
- (٢٠٤) التفسير ١٧ ، ٤١ . عبدالقادر ٩٣ .
- (٢٠٥) التفسير ١٧ . الصباغ ٢٠٣ .
- (٢٠٦) التفسير ١٧ . القرآن لتوفل ٣٦ . محمد ٨٨ . منير ٤٣ .
الاستانبولى ٥ - ٦ . سلطان ٤٣ . الإشارات ٨٠ .
- (٢٠٧) التفسير ١٧ . بين لتوفل ٧ . القرآن لتوفل ٢١ ، ٢٦ . السيد ٤ . محمد ٨٨ - ٩ . الفمراوى ف . سلطان ٤٤ .
- (٢٠٨) التفسير ٩ . القرآن لتوفل ٦ ، ٧ . القرآن للفتدى ٧ .
الفمراوى ٢٦٧ . حسب ٨ منهج ٣٠ .
- (٢٠٩) التفسير ٥ ، ٩ ، ٢٤ ، ٢٤ . المصنى ٢٤٣ .
- (٢١٠) التفسير ٥ .
- (٢١١) التفسير ٥ ، ٣٨ - ٩ . نظرات ١٢٩ . هرجون ٢٧٤ . أبو
سهب ١١ . الاستانبولى ٦ . خلف ٢٥٢ . السويدى ٣٥ . الجندى ٣١ .
- (٢١٢) التفسير ٤١ . المصنى ٢٣٨ ، ٢٧٤ . بوكاى ١٤٥ .

الجميلى ١١ . شوقي ٧ . الأسيوى ٥٢ . الديباغ ١١١ - ٣ .
أرتاؤوط ٦٥ .

- (٢١٣) التفسير ٧ . الصباغ ٢٠٤ ، ٢١٠ - ٢ .
(٢١٤) نظرات ١٣٣ . الإسلام للخمراوى ٣٣ . الرياضيات ٨ .
(٢١٥) نظرات ١٣١ ، ١٣٣ . بين لنوفل ٥ .
(٢١٦) نظرات ١٣٣ - رواشع ٣ . الله والكون ١٧ . شعبان ٣٣٣ .
حسب ٥ . آفاق ٨ . الظواهر ١٢ . أرتاؤوط ٦٥ .
(٢١٧) نظرات ١٣٢ - ٢ .
(٢١٨) نظرات ١٥٦ . عبدالحليم ١٢ .
(٢١٩) نظرات ١٢٩ - ٣٠ . الحواس كله .
(٢٢٠) نظرات ٢٢ . عطا ٢٣٦ . طلبة ١٢٣ . أمير ١٣٣ . آفاق ٤ .
(٢٢١) نظرات ١٥٨ . بين لنوفل ١٤٨ . محمد ٩١ . عتر ٣٧٨ .
عبدالقادر ٩٣ . شوقي ٥٢ . الإشارات ٤ .
(٢٢٢) نظرات ١٢٩ .
(٢٢٣) نظرات ١٣١ .
(٢٢٤) نظرات ١٣١ .
(٢٢٥) نظرات ١٣١ - ٢ .
(٢٢٦) نظرات ١٣٠ .

- (٢٢٧) ١٣٨ . القرآن ٢٦ . محمد ٩٠ . بين لنوفل ١٣٢ ، ١٤٨ ، ١٩٦ .
- (٢٢٨) ١٣٨ . العدوى ٩ . بين لنوفل ٨ . القرآن للفندي ٢١ - ٢ .
- ٥٦ - ٢ .
- (٢٢٩) ١٣٨ . بين لنوفل ٨ . القرآن للفندي ٢١ - ٢ .
- (٢٣٠) ٢٣ .
- (٢٣١) ٢٣ .
- (٢٣٢) ٢٣ . بين لنوفل ١٥٩ . روائع ٥ ، ١٠٥ . الله والكون ٦ .
- محمد اسماعيل ٥٦ . العلم لسليمان ١٠ . زوزور ٢٧ .
- (٢٣٣) شحاتة ١٥٧ . الكونية ٢٠ . روائع ٥ ، ١٠٥ . محمد
- اسماعيل ٥٦ . الجندي ٣٠ . الكونية ٢١ . أرناؤوط ٣٤ .
- (٢٣٤) ٢٤ . شحاتة ١٥٧ .
- (٢٣٥) ٢٤ . بين لنوفل ١٦٠ . العلم لسليمان ١٠ .
- (٢٣٦) ٢٥ . بين لنوفل ١٥٩ . الغمراوي ٣١ .
- (٢٣٧) ٢٦ .
- (٢٣٨) ٦ .
- (٢٣٩) ٦ . الإسلام لنوفل ١٤ . روائع ١٠٧ . الصمصص ٢٣٨ .

٢٤٣ ، ٢٤٩ - ٥٠ . الكرداني ٩ . شوقي ٦ . دياب ١٢ . الاميري ٥٢ .
 التصيرات ٢١ . هندسة ١٠ - ١ . منهج ٥ .
 (٢٤٠) ٢٢ . بين لنوفل ١٤٣ . شوقي ٦ .
 (٢٤١) ٢٢ ، ٢٦ . الفمراوى ٢٢٢ . الكرداني ٤ . عبدالقادر ٩٢ .
 (٢٤٢) ٦ .
 (٢٤٣) ٦ ، ٣٢ .
 (٢٤٤) ١٣٤ .
 (٢٤٥) ٨ - ١٣٤ .
 (٢٤٦) ١٣٨ .
 (٢٤٧) ١٣٩ . بين لنوفل ١٣٩ .
 (٢٤٨) ١٤٠ .
 (٢٤٩) ١٤١ ، الصباغ ٢٠٣ .
 (٢٥٠) ١٤٢ - ٤ .
 (٢٥١) ١٤٤ .
 (٢٥٢) ١٦٠ .
 (٢٥٣) ١٦٠ .
 (٢٥٤) ١٦١ . فاضل ٣٠٥ .
 (٢٥٥) ١٦٢ . روائع ٥ ، ١٠٥ . العلم لسليمان ١٠ . شحاتة ١٥٧ .
 الجندى ٣٠ .

- (٢٥٦) ١٩٦ . قطب ١٨٢ ، ١٨٥٨ . القطان ٢٧٤ . السديس ٣١ .
السويدي ٦ . الأفاق ٨ . صالحة ١٠٥ .
(٢٥٧) ١٩٣ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ .
(٢٥٨) ١٩٦ .
(٢٥٩) ١٩٦ . فاضل ٣٠١ .
(٢٦٠) ١٧٥ . محمد ٨٩ . عطا ٢٣٥ - ٦ ، ٢٦٥ . سلطان ٤٣ .
(٢٦١) ١٤٤ - ٥ ، ١٩٦ . بين للقمرأوى ١٩ - ٢١ . الحمصي
٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٩٩ . بين لنوفل ٨ . بوكاي ١٤٨ . فاضل ٣٠٤ .
شعبان ٣٣٣ . الدياغ ٧٤ . عبادة ١٦ ، ٧٠ . أرتاويط ٦٤ . الكومي
٢٣ . الحجري ١٩ .
(٢٦٢) ١٤٥ . محمد ٨ . بين لنوفل ١٤٥ . بين لنوفل ٨ . القمرأوى
٢٦٧ . الإشارات ٧٩ . شوكت ٥٦ . عبادة ١٧ ، ٨١ .
(٢٦٣) ٨٨ . سلطان ٤٣ .
(٢٦٤) التفسير ٤٧٤/٢ . المصباح ٢٠٣ .
(٢٦٥) القرآن ١١ .
(٢٦٦) القرآن ١٢ . السويدي ٣٥ .
(٢٦٧) القرآن ١٢ .
(٢٦٨) القرآن ١٢ .

- (٢٦٩) القرآن ١٢ . الخطيب ٢٦/١ . عبدالقادر ٩٢ . محمد اسماعيل ٥٥ . شوقي ٧ . السويدي ٦ .
- (٢٧٠) القرآن ١٢ .
- (٢٧١) القرآن ١٢ . الأمير ٥٤ . الفكرى للجميلى ١٠ .
- أرتاقوڤ ٦٥ .
- (٢٧٢) القرآن ١٢ - ٣ .
- (٢٧٣) القرآن ٤٨ .
- (٢٧٤) القرآن ٤٨ .
- (٢٧٥) القرآن ٤٨ . يعقوب ٩ . الصابونى ١٢٤ . الاستانبولى ٦ .
- فاضل ٣٠٤ . داود ٨٠ . ٨٢ .
- (٢٧٦) القرآن ٤٨ ، ٩٦ . الله لتوفل ١٢٨ . القمراوى ٣٦٧ . عتر ٣٧٨ . شوقي ٨٠٧ . أمير ١٢٣ .
- (٢٧٧) ٩٦ .
- (٢٧٨) ٩٦ .
- (٢٧٩) ١٩ . شوقي ٨ . حسب ٧ .
- (٢٨٠) ٧ ، ١٧ ، ١٩ .
- (٢٨١) ١٧ .
- (٢٨٢) ٢٠ - ١ . الله والكون ٥٨ .
- ١٤٨-

- (٢٨٣) ٤٧ ، ٥٠ . الحمصی ٢٥٠ . عتر ٣٧٨ ، ٣٨١ . الله والكون
 ٣ . الاستانبولي ٦ . بوكای ١٤٥ . دیاب ٣٣ . الامیری ٥٢ . التصیرات
 ٧ . الطواهر ١١
 (٢٨٤) ٤٧ ، ٥٠ .
 (٢٨٥) ٤٧ .
 (٢٨٦) ٣٠ .
 (٢٨٧) ١٧ . القمراوی ٣٤ .
 (٢٨٨) ٧ . روائع ٤ .
 (٢٨٩) ٤ ، ٣ .
 (٢٩٠) ٤ .
 (٢٩١) ٤ . روائع ١٠٧ . الله والكون ٦ .
 (٢٩٢) ٤ .
 (٢٩٣) ٤ .
 (٢٩٤) ٣ .
 (٢٩٥) ٣ . وانظر ١٠٧ .
 (٢٩٦) ٦ .
 (٢٩٧) ٥٨ .
 (٢٩٨) لغات ٦ ، ٩ .

- . ٢٩٩) لغات ٦ .
- . ٣٠٠) لغات ١٥ .
- . ٣٠١) لغات ١٥ .
- . ٣٠٢) لغات ٩ . طبارة ٤٨ . الصابوني ١٢٥ .
- . ٣٠٣) لغات ٩ .
- . ٣٠٤) لغات ١٠ .
- . ٣٠٥) لغات ١٠ .
- . ٣٠٦) لغات ٩ ، ٩١ - ٢ . عتر ٣٧٨ . عطا ٢٣٥ . السويدى ٦ .
- . ٣٠٧) القرآن ٥ .
- . ٣٠٨) القرآن ٥ .
- . ٣٠٩) القرآن ٥ .
- . ٣١٠) دراسات ١٨٤ .
- . ٣١١) دراسات ١٨٤ .
- . ٣١٢) دراسات ١٨٤ .
- . ٣١٣) بين ٤٥ .
- . ٣١٤) بين ٢٤ .
- . ٣١٥) بين ٢٦ .
- . ٣١٦) بين ٢٦ .

- (٢١٧) بون ٢٦ .
- (٢١٨) الإسلام ٢٢ .
- (٢١٩) الإسلام ٣٦ .
- (٢٢٠) الإسلام ٣٦ .
- (٢٢١) الإسلام ٣٨ .
- (٢٢٢) الإسلام ٢٦٧ . الكرداني ٩ . عطا ٢٣٦ - ٧ . دياب ١١ .
الحمصى ٢٥٨ ، ٢٦٩ .
- (٢٢٣) الإسلام ٢٦٧ . الكرداني ٩ .
- (٢٢٤) الإسلام ٢٦٧ .
- (٢٢٥) الإسلام ٢٢٢ . حسب ٦ .
- (٢٢٦) الإسلام من ٢٢٢ . هــتر ٣٨١ . حسب ٦ ، ٧ ، ٩ .
- أرتاقوط ٦٤ .
- (٢٢٧) الإسلام ٢٢٢ . الكرداني ٤ ، ١٤ .
- (٢٢٨) الإسلام ٥٢ . ٢٢٢ . الإشارات ٨ .
- (٢٢٩) الإسلام ٢٦٧ . الكرداني ٨ - ٩ . عطا ٢٣٦ . حسب ٨ .
- (٢٣٠) الإسلام ٣٦٥ - ٦ .
- (٢٣١) الإسلام ٢٢٢ .
- (٢٣٢) الإسلام ٢٢٢ .

- (٢٣٣) الإسلام ٢٣٣ - الكرداني ١٣ - الحمصي ٢٩٨ . الإشارات
 ١٨ ، ٤ . زيزور ٢٩ . الأمير ٥٤ . حسب ٩ . أرتاؤوط ٥٣ .
 (٢٣٤) الإسلام ٢٣٣ - زيزور ٢٩ . حسب ٦ . أرتاؤوط ٥٣ .
 (٢٣٥) الإسلام ٢٦٠ - ١ - الكرداني ١١ - ٢ .
 (٢٣٦) المدخل ١١ .
 (٢٣٧) المدخل ١١ - ٢ . الشاعر ١١٢ .
 (٢٣٨) المدخل ١٢ . أرتاؤوط ٤٥ .
 (٢٣٩) المدخل ١٢ .
 (٢٤٠) نماذج ٩ .
 (٢٤١) دراسة ١٤٥ - الحمصي ٢٥٠ .
 (٢٤٢) دراسة ١٤٥ .
 (٢٤٣) دراسة ١٤٦ .
 (٢٤٤) دراسة ١٧٥ .
 (٢٤٥) دراسة ٢٧٧ . الكومي ٢٣ .
 (٢٤٦) دراسة ١٤٩ ، ١٧٢ .
 (٢٤٧) الإعجاز ٢٠ .
 (٢٤٨) الإعجاز ١١ ، ٢٠ .
 (٢٤٩) الإعجاز ١١ ، ٢٠ .

- (٣٥٠) الإيجاز ١٢ . الإشارات ١٢ .
 (٣٥١) الإيجاز ١١ .
 (٣٥٢) القرآن ٢٥٤ . محمد إسماعيل ٦ . الدباغ ٧٤ .
 (٣٥٣) القرآن ٢٥٤ .
 (٣٥٤) القرآن ٢٥٤ . الأمير ٤٩ .
 (٣٥٥) القرآن ١٦٤ .
 (٣٥٦) القرآن ١٦٥ .
 (٣٥٧) القرآن ٦ . حواس ١١ .
 (٣٥٨) القرآن ٢٨ . ٥٥ . المصنعي ٢٨١ .
 (٣٥٩) القرآن ٥٥ . ١٦٤ - ٥ .
 (٣٦٠) القرآن ٥٦ .
 (٣٦١) القرآن ٤٨ - ٩ . المصنعي ٢١١ . الإشارات ٤٩ .
 السويدي ٣٥ . شحاتة ١٦٦ . شوكت ٢٨ - ٩ . حسب ٥ . فودة ٢٤٤ .
 ٢٤٨ - ٩ . ٢٥١ .
 (٣٦٢) القرآن ٤٩ .
 (٣٦٣) القرآن ٤٩ . ٥٥ . ١٦٥ .
 (٣٦٤) القرآن ١٦٥ .
 (٣٦٥) القرآن ٥٥ . حواس ١٢ .
 - ١٥٣ -

- (٣٦٦) القرآن ٥٥ .
 (٣٦٧) القرآن ١٦٥ .
 (٣٦٨) القرآن ٤٩ - ٥٠ . عطا ٢٥٨ .
 (٣٦٩) القرآن ٥٠ .
 (٣٧٠) القرآن ٤٩ . شبهات ١١١ .
 (٣٧١) القرآن ٢٨ ، ١٦٥ .
 (٣٧٢) شبهات ١١١ .
 (٣٧٣) شبهات ١١١ - ٢ .
 (٣٧٤) شبهات ١١١ .
 (٣٧٥) شبهات ١١١ . السويدى ٣٧ .
 (٣٧٦) شبهات ٩٦ ، ١١١ .
 (٣٧٧) الإشارات ١٢ ، ١٨ .
 (٣٧٨) الإشارات ١٢ . أرناؤوط ٥٢ .
 (٣٧٩) الإشارات ١٢ .
 (٣٨٠) الإشارات ٢٢ . شوكت ٢٨ - ٩ . الكومى ٢٣ .
 (٣٨١) الإشارات ٢٢ .
 (٣٨٢) الإشارات ٢٢ .
 (٣٨٣) الإشارات ٨٠ .

- . ٣٨٤) الإشارات ٨٠
- . ٣٨٥) الإشارات ٨٠
- . ٣٨٦) الإشارات ٨٠
- . ٣٨٧) الإشارات ٨٠
- . ٣٨٨) الإشارات ٧٩
- . ٣٨٩) سنريهم ٧
- . ٣٩٠) سنريهم ٧
- . ٣٩١) سنريهم ٨
- . ٣٩٢) سنريهم ٨
- . ٣٩٣) سنريهم ٨
- . ٣٩٤) سنريهم ٦
- . ٣٩٥) القرآن ١٢٣ . السويدى ٥
- . ٣٩٦) القرآن ١٢٣
- . ٣٩٧) موجز ٥
- . ٣٩٨) موجز ٥
- . ٣٩٩) القرآن ٢٦
- . ٤٠٠) القرآن ٢٧
- . ٤٠١) القرآن ٢٧

٦. منهج ٢٠٢ .
- (٤٠٢) القرآن ٢٧ . شوكت ١١ . الحمصى ٢٢٧ . أبو على ٢٥ -
- (٤٠٣) القرآن ٢٧ .
- (٤٠٤) القرآن ٢٧ .
- (٤٠٥) القرآن ٢٩ .
- (٤٠٦) القرآن ٢٩ .
- (٤٠٧) الطب ١٢ . الطواغر ١١ . الجندي ٢٩ - ٣٠ . المدخل ٣٢٢ .
- (٤٠٨) المدخل ٣٢٢ .
- (٤٠٩) المدخل ٣٢٢ ، ٣٢٥ .
- (٤١٠) علوم ١٦١ .
- (٤١١) علوم ١٦١ .
- (٤١٢) علوم ١٦١ .
- (٤١٣) علوم ١٦٦ .
- (٤١٤) علوم ١٦٦ .
- (٤١٥) الإسلام ٥١ .
- (٤١٦) الإسلام ٥١ - ٢ .
- (٤١٧) الإسلام ٥٢ .

- ١٨٨ (١٤١٨) الإسلام ٥٢ - ٣ .
- ١٨٩ (١٤١٩) الإسلام ٥٣ .
- ١٩٠ (١٤٢٠) الإسلام ٥٣ .
- ١٩١ (١٤٢١) الإسلام ٥٣ .
- ١٩٢ (١٤٢٢) الإسلام ٥٥ .
- ١٩٣ (١٤٢٣) الإسلام ٥٣ .
- ١٩٤ (١٤٢٤) الإسلام ٥٣ .
- ١٩٥ (١٤٢٥) الإسلام ٥٣ .
- ١٩٦ (١٤٢٦) الإسلام ٥٣ .
- ١٩٧ (١٤٢٧) الإسلام ٥٤ - ٥ .
- ١٩٨ (١٤٢٨) الإسلام ٥٤ .
- ١٩٩ (١٤٢٩) الإسلام ٥٦ .
- ٢٠٠ (١٤٣٠) الإسلام ٥٦ .
- ٢٠١ (١٤٣١) الإسلام ٥٥ .
- ٢٠٢ (١٤٣٢) الإسلام ٣٥ .
- ٢٠٣ (١٤٣٣) الإسلام ٣٦ .
- ٢٠٤ (١٤٣٤) الإسلام ٣٧ .
- ٢٠٥ (١٤٣٥) الإسلام ٣٧ .

- . (٤٣٦) الإسلام ٣٧ - ٨ .
- . (٤٣٧) الإسلام ٣٨ .
- . (٤٣٨) فكرة ٢٢٦ ، ٢٣١ - ٢ - ٢٣٩ ، ٢٩٧ .
- . (٤٣٩) فكرة ٢١٨ .
- . (٤٤٠) فكرة ٢١٨ .
- . (٤٤١) فكرة ٢١٩ .
- . (٤٤٢) فكرة ١٠٤ ، ١٥٥ ، ٢١٩ .
- . (٤٤٣) فكرة ١٥٥ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ - ٣ .
- . (٤٤٤) فكرة ٢١٩ ، ٢٣٢ .
- . (٤٤٥) فكرة ٢١٩ .
- . (٤٤٦) فكرة ٥٥٥ ، ٢١٩ .
- . (٤٤٧) فكرة ٢١٩ .
- . (٤٤٨) فكرة ٢٢٣ .
- . (٤٤٩) الكون ٥ .
- . (٤٥٠) الكون ٧ .
- . (٤٥١) الكون ٥ - ٦ .
- . (٤٥٢) الكون ٦ .
- . (٤٥٣) الكون ٦ .

- . ٦ (٤٥٤) الكون
- . ٦ (٤٥٥) الكون
- . ٨ (٤٥٦) الكون
- . ٨ (٤٥٧) الكون
- . ٨ (٤٥٨) الكون
- . ٦ (٤٥٩) الكون
- . ٨ (٤٦٠) الكون
- . ٨ (٤٦١) الكون
- . ٧٤ وجوه (٤٦٢)
- . ١١١ وجوه (٤٦٣)
- . ٥ - ٧٤ وجوه (٤٦٤)
- . ٢٠ الكونية (٤٦٥)
- . ١٩ الكونية (٤٦٦)
- . ١٩ الكونية (٤٦٧)
- . ٢٠ الكونية (٤٦٨)
- . ١٢ حواش (٤٦٩)
- . ٦٤ الإعجاز (٤٧٠)
- . ٦٤ الإعجاز (٤٧١)

- ١٠٠٠ (٤٧٢) الإعجاز ٥٣
- ١٠٠١ (٤٧٣) الإعجاز ٥٣
- ١٠٠٢ (٤٧٤) الإعجاز ٦٥
- ١٠٠٣ (٤٧٥) آيات ١٦ - ٧
- ١٠٠٤ (٤٧٦) طواهر ٩
- ١٠٠٥ (٤٧٧) طواهر ٩
- ١٠٠٦ (٤٧٨) طواهر ٩
- ١٠٠٧ (٤٧٩) طواهر ٩
- ١٠٠٨ (٤٨٠) طواهر ٩

الفصل الثالث رفض التفسير العلمى

عرفنا أن من التابعين من رفض القول باحتواء القرآن على كل الأشياء والعلوم ، وقصر احتواءه على المعارف الدينية ، وأن أحد أبناء القرن السادس من الراقضين أعلن إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه من أمور دينية ، فتبعه آخرون ، متأخرين عن الفريق الآخر بأكثر من قرن .

وكان الفخر الرازى أول من تصدى - من مراجعى - لتعليل موقفه والدفاع عن رأيه . فقال : يجب أن يكون قوله : (ما قرطنا فى الكتاب من شيء) مخصوصا ببيان الأشياء التى تجب معرفتها والإحاطة بها . وبيانه من وجهين :

الأول : أن لفظ التفريط لا يستعمل نقيا وإثباتا إلا فيما يجب أن يبين ، لأن أحدا لا ينسب إلى التفريط والتقصير فى أن لا يفعل ما لا حاجة إليه ^(١) .

الثانى : أن جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة - بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام - على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب

بيان الدين ، ومعرفة الله وأحكامه . وإذا كان هذا التقييد معلوما من كل القرآن ، كان المطلق هاهنا محمولا على ذلك المقيد (٢) .
والتزم يحيى بن حمزة العلوي (٦٦٩ - ٧٤٥ / ١٢٧٠ - ١٣٤٤) بثنائي وجهي الرازي وقال : الغرض بهذه العمومات هو ما يحتاجه الخلق في إصلاح أديانهم من العلوم . وما هذا حاله فإنه قد تضمنه القرآن . وقال : ليس في هذا إلا أن العموم مخصوص ، وهذا لا مانع منه ، فإن أكثر العمومات الشرعية مخصوص (٣) .
ووصم القول بأن وجه إعجاز القرآن اشتماله على الحقائق والأسرار والدقائق التي لا تزال غضة طرية على وجه الدهر : بالفساد ، للأمرين التاليين :

١ - الأصل في وجه الإعجاز أن يكون القرآن متميزا به ، لا يشاركه فيه غيره . وما قاله أصحاب هذا الوجه مشترك ، فإننا نرى بعض من صنف كتابا في العلوم الإسلامية ، واغتنى في جمعه واختصاره ، لا يزال من بعده يجتني منه الفوائد في كل وقت . وإذا كان الأمر كما قالوا ، وجب الحكم بإعجاز هذه الكتب ، وهم لا يقولون به (٤) .

٢ - قوله تعالى : (والهكم إله واحد) (٥) وأمثاله صريح في إثبات الوجدانية لله بظاهرها وصريحها .

وما عدا ذلك من المعاني لا يخلو حاله : إما أن يستقل العقل بإدراكه أولا يستقل .

فإن استقل بإدراكه ، فقد أحاط به كغيره من سائر الكلام . فلا تفرقة بينه وبين غيره .

وإن كان العقل لا يستقل بدركه ، فذلك هي الأمور الغيبية ، وهي باطلة ^(٦) .

وأضاف الحمصي إلى ما سبق أن العلوي ذكر أيضا أن العلوم الكونية ليست في جميع الآيات . فإذا عدناها وجه الإعجاز ، كانت الآيات الخالية منها غير معجزة ^(٧) .

وأبان محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ / ١٢٩٢ - ١٣٥٠) أن هناك من اعترض على القول بالإعجاز العلمي ، مستندا إلى أنه قد وجد في السنة وكلام العرب مثل هذا ، ولم يعد معجزة ^(٨) .

ولكن الذي حمل لواء رفض التفسير العلمي من القدماء هو إبراهيم بن موسى اللخمي المعروف بالشاطبي (٧٩٠/١٣٨٨) .

فقد أعلن أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد . وأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين ، من علوم الطبيعيات والتعاليم كالهندسة والمنطق وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ^(٩) .

ورفض تلك الدعوى رفضاً صريحاً قائلاً : هذا لم يصح (١٠) .
ولما الذي صح عنده أن القرآن تضمن علوماً ، هي من جنس
علوم العرب الذين عاصروا نزوله (١١) كالنجوم والأثواء والتاريخ
والطيرة والطب ، أو ما ينبغي على معهودها مما يتعجب منه أولو
الأكباب ، ولا يتبلغه العقول الراجحة بون الاهتداء بأعلامه
والاستنارة بنوره (١٢) أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا (١٣) .

وقد ما استدل به أصحاب هذه الدعوى على النحو التالي :

١ - أما الآيات فالمراد بها - عند المفسرين - بحال التكليف
والتعبد ، أو المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، كما مر (١٤) .

٢ - فواتح السور : تكلم الناس فيها بما يقتضى أن للعرب بها
عهداً ، كحساب الجمل الذي تعرفوه من أهل الكتاب ، أو هي من
المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، وغير ذلك . وأما تفسيرها
بما لا عهد به فلا يكون . فلا دليل فيها على ما ادعوا (١٥) .

٣ - ما ينقل عن علي بن أبي طالب أو غيره في هذا : لا
يثبت (١٦) .

واستدل على رأيه بما يأتي من براهين :

١ - أمية الشريعة (١٧) : لأن أهلها كانوا كذلك ، ليس لهم علم
بعلوم الأقدمين يدل على ذلك النصوص المتواترة اللفظ والمعنى من

الآيات والأحاديث ، كقوله تعالى : (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) (١٨) .

ولو كانت الشريعة غير ما عهدوا لم تكن لتتنزل من أنفسهم منزلة ما عهدوا ، وذلك خلاف ما وقع عليه الأمر فيها (١٩) .

ولو كانت على غير ما يعهدون لم يكن القرآن عندهم معجزة ، ولاحتجوا بأن قالوا : ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام ، فهو ليس بمفهوم ولا معروف لدينا . فلم تقم الحجة عليهم ، ولما قالوا : (إنما يعلمه بشر) (٢٠) .

ألا ترى أنه كان للعرب أحكام عندهم فى الجاهلية أقرها الإسلام . ولم يكتف بذلك حتى خاطبهم بدلائل التوحيد فيما يعرفون من سماء وأرض وكسحاب ونبات ، وبدلائل الآخرة والنبوة ، وأخبرهم بما أنعم الله عليهم مما هو لديهم ، وعن نعيم الجنة وأصنافه بما هو معهود فى تنعماتهم فى الدنيا ، مع تبرئته من الغوائل والآفات التى تلازم التنعيم الدنيوى (٢١) .

٢ - أن السلف الصالح ، من الصحابة والتابعين ومن تلاهم ، كانوا أعرف بالقرآن وعلومه ، ولم يبلغنا أن أحدا منهم تكلم فى شيء من هذا المدعى . ولو كان لهم فى ذلك خوض لبلغنا منه ما يدل على أصل المسألة إلا أن ذلك لم يكن . فدل على أنه غير

موجود عندهم . وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا (٢٢).

ونذهب شهاب الدين أحمد بن محمد الشافعي (٩٧٧ - ١٠٦٩/١٠٦٩ - ١٦٥٩) إلى أن إعجاز القرآن بقصاحته لا باشتماله على المغيبات والعلوم الكثيرة (٢٣).

ورفض صاحب تفسير المنار التفسير العلمي ، اعتماداً على ما قاله الشاطبي عن السلف . كما رفض خبر وقوع ابن عربي ، وقال : إن قبول الناس للخرافة المروية عن ابن عربي هي التي جرأت مثل مسيح الهند أحمد القادياني (١٢٥٥ - ١٢٧٦/ ١٨٣٩ - ١٩٠٨) على ذلك التفسير الذي فسر به الفاتحة ، وزعم أنه معجزته الدالة على كونه هو المسيح المنتظر ، وكله لغو وهذيان . ومن أغريه زعمه أن اسم الرحمن في الفاتحة دليل على بعثة خاتم الرسل محمد ، واسم الرحيم دليل على بعثته هو (٢٤).

ومع ذلك لم يرفض الإعجاز العلمي رفضاً باتاً ، وجعله تحت وجهين من وجوه إعجاز القرآن الكريم . فقد جعل الوجه السادس من وجوه إعجازه عجز الزمان عن إبطال شيء منه ، والوجه السابع تحقيق مسائل كانت مجهولة للبشر .

ويوضح الوجه الأول فنذكر أن القرآن أبان كثيراً من آيات الله في جميع أنواع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والإنسان، ومن أخبار الأمم ، ومن التشريع السوي (٢٥) .

وقد حفظ ذلك كله فيه - بكلمه وحروفه - منذ ثلاثة عشر قرناً ونيف ، ثم عجزت هذه القرون ، التي ارتقت فيها جميع العلوم والفنون ، أن تنتقض بناء آية من آياته ، أو تبطل حكماً من أحكامه، أو تكذب خبراً من أخباره (٢٦) .

إن من يتكلم في بعض مسائل الموجودات لبيان العبرة فيها ، أو الحث على الاستفادة منها ، لا لبيان حقيقتها في نفسها أو صفاتها الفنية عند أهل فنها ، لا يكلف أن يبين تلك الحقيقة أو تلك الصفات التي لا تتعلق بغرضه من الكلام ، بالاصطلاحات العلمية والفنية . وقد ينتقد منه هذا إذا كان مما يصرف السامع عن مراده منه ، أو يوجب نقصاً في استفادته منه (٢٧) .

فإذا كان هذا النوع من الكلام - الذي لا يعاب فيه مخالفته للمسائل الفنية ، وقد يعاب فيه تكلف موافقتها - جاء إما موافقاً وإما غير مخالف لمعارف أهل العصر الذي خولب أهله به ، ثم ظهر أنه موافق لما تجدد من العلم الحق ، فلا شك في أن تعد هذه له مزية خارقة للمعتاد في البشر . وقد ثبت هذا للقرآن وحده (٢٨) .

لهذا صبح أن تجعل سلامته ضرباً من ضروب إعجازه للبشر، وإن لم يكن هذا مما تحدى به الرسول (٣٩)، لأن العجز عنه لم يكن ليظهر إلا من بعد زمن نزوله . فادخر ليكون حجة على أهله (٣٠) .

فإن قيل : إن الطاعين في الإسلام يزعمون أن العلوم والفنون العصرية قد نقضت بعض آيات القرآن في موضوعها . قلت : إن بعض أقوالهم جاء من سوء فهمهم (٣١) ، أو فهم بعض المفسرين (٣٢) ، ومن جمود الفقهاء المقلدين (٣٣) ، وبعضها من التضليل (٣٤) . وإنما العبرة بالنقض الذي لا يمكن لأحد أن يمارى فيه مراء ظاهراً مقبولاً (٣٥) .

ووضح الوجه الثاني بأنه اشتغال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله ، ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون .. وسن الله في الخلق . وجعل هذا الوجه مرتبة فوق الوجه السادس الذي سبق أن ذكره (٣٦) .

فهذا النوع من المعارف - التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمته - كانت مجهولة للعرب أو لجميع البشر في الغالب (٣٧) ، حتى إن المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها ويخرجونها عن

ظواهرها ، لتوافق المعروف عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليده ، أو من نظريات العلوم والفنون الباطلة (٣٨) .

ويدأ أمين الخولي حديثه عن التفسير العلمي بالتصريح بأنه قديم ، وأن العناية به كانت أكثر نوعاً ما في العصر المتأخر ، وأن المخالفة في صحته قديمة أيضاً ، ولعله اليوم أقل رواجاً عند المثقفين (٣٩) .

وبعد أن عرض رأى الشاطبي مفصلاً ، أضاف إلى الدعامات التي استند إليها في رفضه ما يلي :

١ - الناحية اللغوية : فلو ملكتنا بياناً بحياة الألفاظ ، وتدرج دلالاتها ، وتحديد هذا التدرج ، وتأريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، وعهد استعمالها فيها ، لوجدنا من ذلك ما يحول بيننا وهذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن ، وجعلها تدل على معان وإطلاقات لم تعرف لها ، ولم تستعمل فيها : أو إن كانت تلك الألفاظ قد استعملت في شيء منها ، كان ذلك باصطلاح حادث بعد نزول القرآن بأنجيل (٤٠) .

٢ - الناحية الأدبية أو البلاغية : فالإلغاف مطابقة الكلام لمقتضى الحال . فهل كان القرآن - على هذا النحو المتوسع من التفسير العلمي - كلاماً يوجه إلى من خوطب به من الناس في

ذلك العهد ، مراداً به تلك المعاني المذكورة ، مع أنها معان من العلم لم تعرفها الدنيا إلا بعد ما جازت أماداً قسيحة ، وجاهدت جهاداً طويلاً ، ارتقى به عقلها وعلمها (٤١) !!!

وهب هذه المعاني العلمية المدعاة كانت هي المعاني المرادة بالقرآن ، فهل فهمها أهل العربية منه إن ذاك وأدركوها (٤٢) ؟ وإذا كانوا قد فهموها ، فما لتهضمتهم العلمية في علوم الحياة المختلفة لم تبدأ بظهور القرآن ، ولم تقم على هذه الآيات الشارحة لمختلف نظريات العلوم المفهمة لدقاتها (٤٣) ؟

وإن كانت تفهم منها ، ولم يدركها أصحاب اللغة الخلف من عباراتها ، كما هو الواقع ، فكيف تكون معاني القرآن المرادة ؟ وكيف تكون تلك الألفاظ مفهومة لها ، وهل هذه هي المطابقة لمقتضى الحال (٤٤) ؟

٣ - الناحية الدينية أو الاعتقادية : وهي التي تبين مهمة كتاب الدين ، وهل هو كتاب يتحدث إلى عقول الناس وقواهم العالة ، عن مشكلات الكون وحقائق الوجود العلمية ؟ وكيف يساير ذلك حياتهم ، ويكون أصلاً ثابتاً لها ، تختم به الرسالات السماوية ، كما هو الشأن في القرآن ، مع أن هؤلاء المتدينين لا يقفون من معرفة هذه الحقائق عند غاية محدودة ، ولا ينتهون منها عند مدى ما ؟

فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن ، وهي جوامع لا يضبطها اليوم أحد إلا تغير ضبطه لها بعد يسير من الزمن أو كثير . وما ضبطه منها القدماء قد تغير عليهم فيما مضى ، ثم تغير تغيراً عظيماً فيما تلا (٤٥) !!
وأما ما اتجهت إليه النوايا الطيبة من جعل الارتباط بين كتاب الدين والحقائق العلمية المختلفة ، ناحية من نواحي بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء .. إلخ . فربما كان ضرره أكثر من نفعه (٤٦) .

على أنه - إن كان لابد لأصحاب هذه النوايا ومن لف لفهم من أن يتجهوا إليه ، ليدفعوا مناقضة الدين للعلم - فلعله يكفي في هذا وفي ألا يكون في كتاب الدين نص صريح يصادم حقيقة علمية ، يكشف البحث أنها من نوااميس الكون ونظم وجوده - (٤٧) . وحسب كتاب الدين بهذا القدر صلاحية للحياة ، ومسايرة للعلم ، وخلاصاً من النقد .

على أنى حين أسمح بهذا القدر في سجيل إرضاء رغبات هؤلاء الطيبين النية ، لا أنسى أن أذكرهم بأن التناول الغنى لحقائق الكون ومشاهده ، هو التناول الذى يقصد به الدين رياضة وجدانات الناس ، ويوجهه لعامتهم وخاصتهم ، وعلمائهم وأنصاف

علمائهم بل لجهلائهم أيضا . وهذا التناول إنما يقوم على المشهود البادئ من ناحية روعته في النفس ، ووقعه على الحواس ، لا من ناحية دقائق قوانينه ومنضبط نواميسه في معادلات جبرية ، أو أرقام حسابية ، أو بيان جاف لخصائصه وحقائقه (٤٨) .

ولو التزم في شيء من هذا تصحيح المقررات العلمية ، لأخل هذا الالتزام كثيرا بالأهداف الفنية الوجدانية ، التي يريد الدين تحقيقها ونفع الحياة بها ، عن طريق التأمل المتدين ، والاعتبار النفسى العاطفى المريح ، قبل كل شيء آخر (٤٩) .

ومن هنا قد يبدو - في تعبير القرآن - ما يظهر متعارضا مع شيء من المقررات العلمية ، وإن أمكن التوفيق بينهما . ولا أحسب أن عليه بنسا شيء من هذا ولا فيه ضير (٥٠) .

فخير لأصحاب هذه الرغبات - الذين يبينون الصدق أو الإعجاز أو الصلاحية لكتاب الدين بهذا النحو من التفسير العلمى - خير لهم أن يقدروا مثل هذا الاعتبار ، فلا يتكلفون ما يتكلفون من ربط الكتاب بالعلم (٥١) .

التفسير العلمى ليس بذى جدوى على القرآن نفسه (٥٢) . والقرآن غنى عن أن يعتز بمثل هذا التكلف (٥٣) الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنسانى الاجتماعى فى إصلاح الحياة .

ورياضة نفوس الناس جميعا ، على اختلاف حظهم من العلوم الطبيعية والرياضية وما إليها (٥٤) .

واتخذ محمد عبد العظيم الزرقاني موقفا خاصا . فقد آمن بالإعجاز العلمي ، وفي الوقت نفسه رفض التفسير العلمي . وكان للإعجاز العلمي - الذي آمن به - مفهومه الخاص .

فقد جعل الوجه الخامس من وجوه الإعجاز : موقف القرآن من العلوم الكونية (٥٥) وأراد بذلك طريقة عرضه لهذه العلوم (٥٦) التي كان موقفا فيها كل التوفيق بل كان معجزا أبهر الإعجاز (٥٧) .

لقد حاكم الناس إلى عقولهم (٥٨) ، وفتح عيونهم إلى الكون وما فيه (٥٩) . وأنى يعلم لم ينشأ بعضها إلا بعد عهد النبوة بقرون (٦٠) . وذلك هو الذي بهر بعض المشتغلين بالعلوم الكونية ، وأوقع من أوقع منهم في الإسراف (٦١) ، وعد هذه العلوم من علوم القرآن (٦٢) .

ونذكر أن القرآن راعى - بالنسبة إلى العلوم الكونية - اعتبارات خمسة ، لا يصدر مثلها عن مخلوق ، فضلا عن أمي : أولها : أنه لم يجعل تلك العلوم من موضوعه ، لخضوعها لقانون النشوء والارتقاء ، وفي تفاصيلها من الدقة والخفاء ما يعلو

على أفهام العامة ، ولهوان أمرها بإزاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية العائرة (٦٣) .

ثانيها : أن القرآن دعا إلى هذه العلوم في جملة ما دعا إليه من البحث والانتفاع بما في الكون من نعم وغير (٦٤) .

ثالثها : أن القرآن - حين عرض لها - أشعرنا أنها مريوبة له ، مقهورة لمراده ، ونفى عنها ما علق بأنذهان كثير من الضالين الذين توهموها آلة ، وزعموها ذات تأثير وسلطان (٦٥) .

رابعها : أن حديثه عنها حديث المحيط .. (٦٦) .

خامسها : أن الأسلوب الذي اختاره في التعبير عنها أسلوب يارع جمع بين البيان والإجمال في سمط واحد (٦٧) ، بحيث يمر النظم القرآني على سامعيه في كل جيل ، فإذا هو واضح فيما سيق له من دلالة الإنسان وهدايته . ثم إذا هو مجمل التفاصيل (٦٨) يختلف الخلق في معرفة تفاريقه ودقائقه ، باختلاف ما لديهم من مواهب ووسائل وعلوم (٦٩) .

وصرح الزرقاني بأن ما خلف من القرآن على المعاصرين لنزوله دفع أعداء الله إلى أن يصوغوا من هذا الخفاء شبهة ، ويلفقوا تهمة (٧٠) .

وقسر موقفه القائل بالإعجاز العلمي والرافض لهذا النوع من التفسير بأن هناك فرقا كبيرا بين الشيء يحث القرآن على تعلمه ،

وبين العلم يدل القرآن على مسأله ، أو يرشد إلى أحكامه ؛ أو يكون ذلك العلم خادماً للقرآن بمسأله أو أحكامه أو مفرداته . فالأول ظاهر أنه لا يعتبر من علوم القرآن بخلاف الثاني (٧١) .

أما رفض التفسير العلمي فقد أقامه الزرقاني على أن القرآن كتاب هداية وإعجاز . من أجل هذين المصنفين نزل ، وفيهما تحدث ، وعليهما دل (٧٢) . فكل علم يتصل بالقرآن من ناحية هدايته أو إعجازه فهو من علومه . وهذا ظاهر في العلوم الدينية واللغوية (٧٣) .

أما العلوم الكونية والمعارف والصنائع فلا يجمع عددا من علومه (٧٤) . وذلك لأن القرآن لم يقصد - من ذكرها - أن يشرح حقيقة علمية (٧٥) ، ولا أن يحل مسألة (٧٦) ، ولا أن يزيد بابا (٧٧) ، ولا أن يدل على نظرية (٧٨) ، ولا أن يقرر قانونا من قوانينها (٧٩) ، وكذلك لم توضع هذه العلوم لتخدم القرآن في شرح آياته أو بيان أسرارها (٨٠) ، وإنما ذكر منها ما ذكر للهداية (٨١) .

ولا يليق أن نحاكم القرآن إلى هذه العلوم القلقة الحائرة التي سجنها العلماء في سجن ضيق من المادة ، وحدود ما تفهم عقولهم . بل تجاريهم ، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية المستقرة الثابتة (٨٢) .

وعاب الزرقاني من طاب لهم أن يتوسعوا في علوم القرآن ،
 ووصمهم بالخطأ والإسراف (٨٣) ، وإن كانت نيتهم نية حسنة
 وشعورهم نبيلاً (٨٤) . فالنية والشعور - مهما حسناً - لا
 يسوغان أن يحكى الإنسان غير الواقع (٨٥) ، ويحمل كتاب الله
 على ما ليس من وظيفته (٨٦) ، خصوصاً بعد أن أعلن الكتاب
 نفسه هذه الوظيفة ، وحددها مرات كثيرة (٨٧) . ولا تتوقف
 عظمة القرآن على أن نتحمل له وظيفة جديدة ما أنزل الله بها من
 سلطان (٨٨) . فإن وظيفته في هداية العالم أسمى وظيفة في
 الوجود (٨٩) .

ووصف محمود شلتوت (١٣١٠-١٣٨٣/١٨٩٣ - ١٩٦٣)
 أصحاب التفسير العلمى بأنهم طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف
 من العلم الحديث ، أو تلقوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية
 والصحية وغيرها ، ثم نظروا في القرآن فوجدوا الله يقول : (ما
 فرطنا في الكتاب من شيء) فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا
 في القرآن فتحاً جديداً (٩٠) .

فأنسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن (*) . وأفضى بهم إلى
 صور من التفكير لا يريدها القرآن ، ولا تتفق مع الغرض الذي من
 أجله أنزله الله (٩١) .

هذه النظرة إلى القرآن خاطئة من غير شك ، لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ، ودقائق الفنون ، وأنواع المعارف ^(٩٢) .

وهي خاطئة - من غير شك - لأنها تحمل أصحابها على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً ، يتنافى مع الإعجاز ، ولا يسيغه الذوق السليم ^(٩٣) .

وخطأ عباس محمود العقاد الربط بين القرآن والعلوم ، كما خطأ القول بأن الأوربيين أخذوا من القرآن كل ما اخترعوه من السلاح الحديث ، لأن القرآن قال وهو يحث المسلمين : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ^(٩٤) خشية أن يقال لأصحاب هذا القول : إن المسلمين سمعوا هذه الآية مئات السنين ، فلم يخترعوا تلك الأسلحة ، وإن الأوربيين لم يسمعوها فاخترعوها ^(٩٥) .

ورمى أصحاب هذه الدعوى بالجهل ، وقال : خليك بأمثال هؤلاء المعتسفين أن يحسبوا من الصديق الجاهل ، لأنهم يسيئون من حيث يقدرون الإحسان ^(٩٦) .

وفرق بين ما يطلب من كتب العقائد وكتب العلم :

فلا يطلب من كتب العقيدة أن تطابق مسائل العلم ، كلما ظهرت مسألة منها لجبل من أجيال البشر ^(٩٧) .

ولا يطلب من معتقديها أن يستخرجوا من كتبهم تفصيلات تلك العلوم ، كما تعرض عليهم في معامل التجربة والدراسة . لأن هذه التفصيلات تتوقف على محاولات الإنسان وجهوده ، كما تتوقف على حاجاته وأحوال زمانه (٩٨) .

وخير ما يطلب من كتاب العقيدة - الذي يخاطب الضمير - في مجال العلم : أن يحث على التفكير ، ولا يتضمن حكماً من الأحكام يشل حركة العقل في تفكيره ، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ، ما استطاع ، حيثما استطاع (٩٩) .
وانتقل من كتب العقيدة عامة إلى القرآن خاصة . فذكر أنه يجعل التفكير السليم ، والنظر الصحيح إلى آيات خلق الله وسيلة من وسائل الإيمان «إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، آيات لأولي الأبصار ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، سبحانه ، فقلنا عذاب النار» (١٠٠) . وهو يحث المسلم على أن يفكر في عالم النفس كما يفكر في عالم الطبيعة : (أو لم يتفكروا في أنفسهم ، ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، وأجل مسمى) (١٠١) .

وأعلن : كل ما يجب على المسلم أن يؤمن به : أن كتابه الإلهي يأمر بالبحث والتفكير ولا ينهاء عنهما (١٠٢) ، ولا يصدده عن النظر والتأمل في مباحث الوجود ، وأسرار الطبيعة ، وخفايا المجهول كيفما كان (١٠٣) . ولكنه لا يأمره بالتماس التوفيق بين نصوصه ونظريات العلم . بل لا يأمره بالتوفيق بين الكيفيات التي يفهمها العلم والكيفيات التي يقدرها العقل لفهم المسائل الكونية في بدايتها الأولى ونهايتها الأخيرة بين طوايا الغيب المجهول (١٠٤) .

وجعل فضيلة الإسلام الكبرى أن يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، ويحثهم على ولوجها والتقدم فيها . ويقول كل مستحدث من العلوم ، على تقدم الزمن وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم (١٠٥) .

وأقام رفضه للتفسير العلمي على ما أقامه الخولى عليه : أن العلوم تتجدد مع الزمن على سنة التقدم . فلا تزال بين ناقص يتم ، وغامض يتضح ، وموزع يتجمع ، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين يترقى إلى اليقين . ولا يندر في القواعد العلمية أن تنتقض بعد رسوخ ، ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون (١٠٦) .

وأخيرا صرح بأن القرآن يطابق العلم ، أو يوافق العلوم

الطبيعية بهذا المعنى الذى تستقيم به العقيدة ، ولا تتعرض للنقائص والأطانين كلما تبدلت القواعد العلمية ، أو تتأيدت الاكتشاف بجديد ينقض القديم أو يبدل التخمين (١٠٧) .

ونادى بالاستفادة من النظريات العلمية فى تصحيح معانى الكلمات القرآنية دون إقحامها على القرآن أو الذهاب إلى أنه مطالب بموافقتها كلما تغيرت (١٠٨) .

وحدد العلم الذى أمر به القرآن بجملة المعارف التى يدركها الإنسان بالنظر فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق من شيء (١٠٩) .

وصرح د . محمد حسين الذهبي بأن الحق مع الشاطيى ، لأن الأدلة التى ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية ، لا يعثرها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل ، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة ، لا تثبت أمامها حججهم ، ولا يبقى معها مدعاهم (١١٠) .

وأعلن عزرة دروزة أن القرآن نزل بلسان العرب على قوم يفهمونه وأمر الله نبيه بشرحه وتبيان ، والنظريات الحديثة لم تكن حينذاك معلومة ولا مكتشفة. ولا يصح لمسلم - مهما حسنت نيته - أن يدعى أن النبى - ﷺ - لم يكن يعرف جميع ما تضمنته آيات القرآن ، أو أن الله أبقى الأسرار الكونية خافية عن النبى (١١١) .

وعاب التفسير العلمي للأمور التالية التي يؤدي إليها :

١ - تحميل كلمات القرآن غير ما تتحمل (١١٢) .

٢ - إخراج القرآن عن نطاق قدسيته (١١٣) .

٣ - تعريض القرآن للجدل (١١٤) .

٤ - إخراج القرآن عن أهدافه السامية (١١٥) .

وخطأ مناع القطان من يحرضون على تفسيخ القرآن كل نظرية علمية ، وكما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافقها (١١٦) . ومع ذلك أعلن أن القرآن معجز علمياً ، غير أنه جعل إعجازه في حثه على التفكير ، لا في اشتماله على النظريات العلمية (١١٧) .

وذهب عبد الكريم الخطيب إلى أن الآيات التي تنكشف للناس في هذا الوجود - مما يطلعهم العلم عليها - تفتح الطريق إلى قوله الحق في كتاب الله . وعندئذ يرى الناس أن هذا القرآن هو الحق الأبدى (١١٨) ، من عند الله (١١٩) .

ومع ذلك وصف مذهب أصحاب التفسير العلمي بمذهب الذين يتعسفون طريق الفهم لكتاب الله (١٢٠) ، ويشططون في تأويل آياته ليأخذوا منها حجة للقرآن على أنه اشتمل على جميع المعارف والعلوم (١٢١) . فهم لهذا يقتسرون المعاني اقتساراً (١٢٢) ،

ويخرجون بالألفاظ عن مدلولاتها (١٢٣) ، بل ويصرفون الكلام عن مواضعه في أكثر أحوالهم ومحاولاتهم (١٢٤) . وهذه بضاعة رخيصة لا يليق بجلال القرآن أن تستجلب له، وتحسب عليه (١٢٥) . وقد يكون لقائل أن يقول : إذا كان القرآن قد حوى أسرار هذا الوجود ، فكيف غاب ذلك كله عن سلف هذه الأمة، وهم الذين تلقوا القرآن غضا، وكانوا يأخذون كلماته مثلثة من أظهر قم (١٢٦) ؟ وإذا كانت تلك الحقائق قد انكشفت لهم ، فلماذا لم ينتفعوا بها في الحياة ؟ ولماذا لم يقيموا منها ما أقام العلم الحديث من معالم المدنية (١٢٧) ؟

وجوابنا على هذا من وجهين :

فأولا : إن القرآن الكريم لم يكن كتابا علميا ، يكشف أسرار الطبيعة ، ويضع مفاتيحها في أيدي أتباعه (١٢٨) . وإنما هو كتاب عقيدة وشريعة (١٢٩) ، يتجه أول ما يتجه إلى ضمير الإنسان، ليصحح صلتَه بخالقه ، ثم يقيم لهذه الصلة من التشريع ما يمسك بها سلامة قوية في كيانه (١٣٠) . تلك هي المهمة الأولى للقرآن (١٣١) .

ثانيا : إذا كانت مهمة القرآن الأولى هي ما أشرنا إليه ، فإن ذلك لا يمنع أن يكون وراء هذه المهمة غايات أخرى يمكن أن يجدها من يطلبها (١٣٢) .

ويبدو هنا سؤال آخر هو : إذا كانت الأسرار والحقائق – التي يقال إن القرآن قد ضم عليها – لا تنكشف إلا بعد أن يكشف العلم عنها ، فما فائدة اشتغال القرآن عليها ويقاؤها مستورة فيه خلال هذه القرون الطويلة (١٣٣) ؟

والجواب على هذا من وجهين أيضا :

فأولا : إن هذه الأسرار والحقائق لا يقصد بها الأسرار والحقائق العلمية ، وإنما يقصد بها الحقائق النفسية والروحية التي تعلو من قدر الإنسان ، وتدفع بإنسانيته إلى الكمال (١٣٤) .
وثانيا : ماذا يضير القرآن إذا اشتمل في كيانه على دلائل إعجازه بما أودع فيه من أسرار وحقائق ، تحدث الناس عن آياته ، في كل عصر وفي كل جيل ؟ وبذلك يخلد إعجازه ، ويتجدد على الزمن (١٣٥) .

إن هذه الأسرار والحقائق لا تجيء من خارج القرآن ثم تحمل إليه ، فتكون أشبه بالأجسام الغريبة التي تعلق بالماء لتكدر صفوه، وربما أفسدت طبيعته . وإنما تلتهمس هذه الحقائق والأسرار من آيات القرآن الكريم ، من غير تعسف في التأويل ، ولا التواء بالمعنى إلى غير ما أريد له . وبهذا يسلم القرآن من مناقضات النظريات التي يكشفها العلم ، ثم لا تخرج إلى الحياة مرة أخرى (١٣٦) .

ولو كان من تدبير القرآن أن يكون كتاباً علمياً ، لما جاء على هذا الأسلوب ذي الرنين النفاذ ، والإشعاع اللامع ، من النظم . بل لجرى على ذلك الأسلوب العلمي الذي تبرز فيه الحقائق العلمية مضغوطة في قوالب من اللفظ ، أشبه بالأرقام الحسابية ، لا يختلف عليها أحد ، ولا تكتم عن أحد شيئاً وراءها . ولو كان ذلك من شأن القرآن لما كان معجزة الدهر الخالد^(١٣٧) .

إن دعوة القرآن هي إيقاظ متشاعر الإنسان ، وتنبيه ملكاته ، وتوجيه نوازعه وسلوكه إلى العمل في طريق مستنير مستقيم^(١٣٨) .

ومن هنا كانت آياته كلها متجهة إلى القلب أولاً ، وإلى المشاعر والوجدانات المانحة فيه ، المتقلبة بين صفو وكدر ، وبين نور وظلام^(١٣٩) .

وتقد محمد الصادق عرجون جماعة ممن كتبوا عن التفسير العلمي قبله . ففهم أقوال أبي حامد الغزالي على نحو خاص ، ورحب بها قائلاً : هذا المسلك - إذا نظر إليه في ضوء الهداية القرآنية ، التي تستهدف بيان مقاصد القرآن في الكشف عن الحقائق الكونية ، لتبين دلالتها على عظمة خالقها ، ووحدانيته ، وباهر قدرته ، وبإلغ حكمته ، ومحكم تدبيره للكون . كان مسلماً علمياً صحيحاً في تفسير القرآن^(١٤٠) .

فسيبيل هذه العلوم الكونية - في تفسير القرآن - سبيل غيرها من الوسائل التي تساعد على فهم النص القرآني فهما يحقق الغرض منه . وليس سبيلها أن تكون بنظرياتها تفسيراً للقرآن ، ولا أن تكون مما يعتقده أن القرآن قصد إليها في آياته ، لتحمل عليها في تفسيرها (١٤١) .

وعاب على الرازي مبالغته قائلًا : وقد جاء بعد الرازي فخر الدين الرازي ، فحاول أن يطبق هذا المنهج العلمي في تفسيره ، غير أنه بالغ في الإيمان بنظريات العلم الكوني الذي عرفه العقل البشري في عصره ، مبالغة طمست معالم الهداية القرآنية ، وصرفت الآيات عن مقاصدها في الهداية إلى التوغل في بحوث علمية جافة ، ونظريات فلسفية معقدة . وهكذا أتم كتابه بنظريات العلم الذي ملأ عصره ، والتي نقضها العلم نفسه بنظريات أخرى ، قد ينقضها في المستقبل القريب أو البعيد (١٤٢) .

ووصم أقوال ابن أبي الفضل المرسى بأنها منهج في التفسير غريب جدا عن مقصد القرآن وهدايته ، لأن هذه العلوم والفنون والصنائع والآلات التي عرض لذكرها هذا المفسر ، لم يكن المقصود من ورودها في القرآن وروداً عابراً اقتضاه المقام في ذكر

قصة أو عظة وعبرة ، أو الإشارة إليها في آيات القرآن - إنها علوم ومعارف وفنون ، أنزل القرآن بمسائلها وقضاياها وموضوعاتها للبحث في تفسيره كما تبحث في مصانعها ومعاملها بآلاتها ووسائلها التجريبية الخاصة ، لأن ذلك مما لا ينبغي أن يكون مما يعرض له القرآن ^(١٤٣) .

وفي الوقت نفسه عاب الشاطبي ، لأنه - في رأيه - ذهب مذهباً عجيباً ، لا يلائم منصبه في العلم وحرية التفكير ونهاية الذكر . ورمى قوله بأمية الشريعة الإسلامية بأنه موقف متهافت ، لا يقوم على دعائم من الأصول القوية التي تستند ، إذ لا دخل لأمية النبي - ﷺ - في الأمر ^(١٤٤) .

وأفاض في مناقشة قوله بأن القرآن نزل على ما عهده العرب من علوم، فقال : إن الشريعة التي بعث بها النبي - ﷺ - إلى الناس كافة ، إما أن تكون على نسبة ما كان وتكون عليه عامة الإنسانية كلها في أممها وشعوبها من المعرفة الحاصلة والمتجددة إلى يوم القيامة ، أو لا تكون كذلك .

فإن كانت على نسبة ما عليه الإنسانية من حصائل الفكر الإنساني ، وما يكون لها في مستقبل حياتها من التفكير العلمي المستكشف لحقائق الكون وأسرار الطبيعة ، فذلك هو معنى كونها شريعة علمية ^(١٤٥) .

وإن لم تكن ، لزم أن تكون على غير ما تعهد الإنسانية وما
تعرف من تاريخها العلمي وأطوارها الفكرية في المعرفة ، فلم تكن
لتنزل من أنفس الأمم والشعوب العالة التي تعنى بالمعرفة منزلة
مأهولا ، وذلك خلاف ما جاءت به الشريعة (١٤٦) .

ورد على قوله بأن القرآن لو لم يكن على ما يعهدون لم يكن
عندهم معجزا .. قائلا : هذا الدليل أيضا يمكن أن يعكس على
الشاطبي ، فلنأخذ أن يقول : لو لم يكن القرآن - في هدايته العامة
الشاملة لجميع ما يقوم بحاجة الإنسانية الفكرية والاجتماعية قياما
عاما ، باقيا ببقاء رسالته على الأرض - على ما تعهد الإنسانية
كلها ، باعتبارها مدعوة للإيمان برسالة القرآن ، من العلم والمعرفة
الشاملين لجميع فنونهما ، لم يكن عندهم معجزا ، ولكان كثير من
الأمم والشعوب يخرجون من مقتضى التحجيز بقولهم : هذا القرآن
على غير ما عهدنا ونعهد ، فأسلوبه وألفاظه وعباراته ليست من
أسلوبنا وألفاظنا وعبارتنا . ومعانيه وأفكاره قاصرة على ما يعهد
الأميون ، وليس فيه مما تعهد من المعاني الفكرية والأفكار العلمية
شيء . فلا تلزمنا الحجة به (١٤٧) .

ولم يقصر عرجون نقده على القدماء بل نقده المحدثين
أيضا ، فقال : منهم من تعجل واندفع إلى أحضان النظريات

الجديدة ، وأمن بها دون قيد أو شرط ، على أنها حقائق ثابتة لا تقبل الجدل . فراح يعتسف الطريق اعتسافاً ، ليطبق هذه النظريات على تفسير القرآن ، ويخضع لها (١٤٨) ، ويحملة عليها حملاً لا ترتضيه لغة العرب التي نزل بها القرآن المبين . ولا يحتمله أسلوب القرآن ، ولا يتفق مع جوه وروحه (١٤٩) .

ولا نعرف تفسيراً كاملاً جرى على هذا النهج المتعجل ، الجماع لكل ما وصل إليه صاحبه من نظريات مستحدثة لم تستحكم طاقات فتلها ، سوى تفسير الجواهر لطنطاوى جوهرى (١٥٠) .

وعلى الرغم من إعجاب عرجون الشديد بتفسيرى محمد عبده ومحمد مصطفى المراغى وبالنهج الأدبى الذى اتبعاه فيهما ، وداقعا عنه ، أخذ عليهما التعرض لبعض المسائل العلمية ، وعد ذلك من الضعف البشرى فى جميع أفراد البشرية ، الذى جعله الله برهاناً على تفريده بالكمال المطلق (١٥١) .

ونادى بحاجة الآيات العلمية إلى نظر جديد ، يقيم منار الهداية القرآنية على دعائم فهم هذه الآيات فهماً علمياً ، يقتنع العقول بصانق البرهان (١٥٢) .

واحترس أن يسيء فهمه أحد فوضح موقفه بأنه لا يقصد بالفهم العلمي للآيات تفسيرها بنظرياته المستحدثة في الأمور الكونية ، كما يصنع بعض المتحمسين (١٥٣) .

وأجمل مرة أخرى رأيه في وضوح تام إذ قال : لا يجعل بنا أن نتطلب من القرآن شرح نظريات العلم ، والتحدث في تركيب الأشياء ، وبيان جزئياتها وأشكالها وما يطرأ عليها من تغير كيميائي أو طبيعي ، كما نتحدث كتب الطبيعة والكيمياء والفلك وطبقات الأرض ، لأن القرآن كتاب عقيدة وهداية وعبر ، وتهذيب للنفوس ، وتوجيه للعقول ، وتطهير للأرواح والقلوب .

فإذا عرض لشيء من الآيات الكونية - وكثير ما عرض لها - فإنما يعرض لها باعتبارها مصدر هداية إلى عظمة الكون ، لتصل - على ضوئها - إلى تعظيم الله ، خالق الكون وما فيه من آيات وأسرار (١٥٤) .

ولذلك فسر العلماء الذين أثنى الله عليهم بقوله : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (١٥٥) بأنهم العلماء بالله ، الذين عرفوه بمعرفة آياته في خلقه ، معرفة تقوم على إدراك أسرار ظواهر ما خلق من أشياء (١٥٦) .

وأعلن سيد قطب أن القرآن لم يجيء ليكون كتاب علم فلكي أو
كيماوي أو طبي ، كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلمسوا فيه
هذه العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلمسوا
مخالفاته لهذه العلوم (١٥٧) .

وقال : إنني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن ، الذين
يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه ، وأن يحملوا عليه ما لم
يقصد إليه ، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء
والفلك وما إليها ، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه (١٥٨) .

وميز سيد قطب بين ما يذكره كل من القرآن والعلوم فقال : إن
الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة : أما ما يصل إليه
البحث الإنساني - أي كانت الأدوات المتاحة - فهي حقائق غير
نهائية ولا قاطعة ، وهي مقيدة بحدود تجارب الإنسان وظروف هذه
التجارب وأدواتها (١٥٩) .

هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية ، والأمر أوضح بالقياس إلى
النظريات والفروض التي تسمى علمية . فهذه كلها ليست حقائق
علمية حتى بالقياس الإنساني ، وإنما هي نظريات وفروض ، كل
قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو
الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية ، إلى أن يظهر فرض آخر

يفسر قدرأ أكبر من الظواهر ، أو يفسر تلك الظواهر تفسيراً أدق! ومن ثم فهي قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص والإضافة ، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب ، بظهور أداة كشف جديدة ، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة (١٦٠) .

ورمى كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات وحقائق بالخطأ المنهجي الأساسي (١٦١) ، والانتطواء على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن :

١ - الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن ، والقرآن تابع ، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم (١٦٢) .

٢ - سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته ومجاليه (١٦٣) .

٣ - التأويل المستمر - مع التمسك والتكلف - لنصوص القرآن، كي تحملها وتلث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر (١٦٤) .

ورد محمد الصباغ الاهتمام بالتفسير العلمي إلى انبهار نفر منا بضياء الحضارة الأوروبية التي فتحت أعيننا على مخترعاتها وثمرات علومها (١٦٥) .

وعارض د . عبد القادر حسين التفسير العلمي للأسباب الآتية:

١ - إقحام العلم في تفسير آيات القرآن لبيان كونه معجزاً -
لا يتفق وما نعرفه عن عقلية العرب وثقافتهم ، وقت نزول
الوحي (١٦٦) .

٢ - تطبيق النظريات العلمية على النصوص القرآنية لا
يتمشى مع سنة التطور ، فالنص القرآني ثابت ومتيقن لا مجال
للشك فيه ، أما العلم فإنه متغير (١٦٧) .

٣ - إذا كنا لا نجد تناقضاً بين الآيات الكونية وبين ما يكتشفه
العلم ، فليس هذا دليلاً على إعجازه ، وإنما هو دليل فقط على أنه
منزل من قبل الله (١٦٨) .

٤ - لا تشمل الآيات الكونية سور القرآن كلها (١٦٩) .

ووصف د . عدنان زرزور من اعتقدوا بأن كل ما وصل إليه
القوم في الحضارة الأوربية من منجزات علمية متقدمة موجود في
القرآن أو أشار إليه على أقل تفسير بأنهم حملهم على هذا الرأي
ظنهم أن القرآن - إذا خلا من مثل هذه الإشارات - لا يكون
كتاباً علمياً (١٧٠) ، أو لا يكون كتاباً عسرياً يصلح لهذا القرن أو
القرن التالية ، كما صلح في القرون السالفة (١٧١) .

وقال : إننا ننظر إلى محاولات بعضهم تحميل نصوص القرآن
ما لا تحمل ، والزعم بأن كل اكتشاف أو قانون له شاهد أو أصل

فى كتاب الله ، ننظر إلى هذه المحاولات على أنها تبرير لواقع الكسل والجمود^(١٧٣) ، وعجز عن الامتثال لأوامر القرآن بالنظر والعلم والعمل^(١٧٤) ، وجهل بدور القرآن بوصفه كتاب هداية وإرشاد وتشريع فى المقام الأول^(١٧٥) ، وتحمل أصحابها على سوء التفسير والتأويل^(١٧٦) .

ونذكر د . شوكت محمد عليان : حوى القرآن كثيرا من العلوم والنظريات التى ساهمت فى دفع عجلة التقدم العلمى الحديث ، غير أن البحث فيه باعتباره مصدرا للعلوم التجريبية ، من شأنه أن يفرغ القرآن من محتواه كمصدر للهداية والتشريع ، ويصرقه عن مهمته الأساسية التى جاء بها^(١٧٧) .

ومع ذلك صرح بأن إحاطة القرآن بالحقائق العلمية هذه كانت ضمن إشارات غير مقصودة لذاتها ، لما علمنا أن المحور الرئيسى لرسالة القرآن هو السعادة الأخرية . فهو بذلك لا يدخل فى دائرة أى من علومنا وفنوننا الحديثة^(١٧٨) .

وتابع د . محمود بسيونى فودة محمد عبد العظيم الزرقانى وسيد قطب فى رفض التفسير العلمى ، واعتمد على أقوالهما . ثم ختم حديثه قائلا : نود ألا نخضع بمثل هذا المتهاج ، فنتوسع لدرجة أن نزيد فى أمور الهدف الاسمى للقرآن أعلى منها وأجل .

ولكن تأخذ المسائل العلمية التي وصلت إلى حقائق ، وربطها بآيات الله ، كتأكيد على دلائل قدرته ، وديدع صنعه . فهذا أمر لا ينكر . ومن هنا قال جماعة من العلماء : إن الآيات الكونية وجه من وجوه إعجاز القرآن (١٧٨) .

وذهب د . عبد الله عيادة إلى أن الربط بين القرآن والنظريات العلمية الحديثة خطأ ، يقع فيه بحس نية أحيانا بعض الشباب الباحثين في العلوم العلمية ، ممن يبهرهم بعض هذه العلوم (١٧٩) . وأعلن محمد بركات حمدي أبو على أنه يعتبر الوجه العلمي من الوسائل الموضحة لما في القرآن من قيم وفضائل وجمال وصياغة ومحتوى (١٨٠) .

ويصم أغلب الذين يتحدثون عن هذا الوجه بأنهم لا اختصاص لهم بالعربية وأصولها وأسرارها ، ولا اطلاع لهم على طرائق المتكلمين فيها وسبل أصحاب أصول الدين (١٨١) ، وقال أيضا : إن الأمور العلمية في القرآن ما كانت إلا عبرة أو وسيلة لتقريب المعنى العام في الآية أو السورة إلى أذهان المخاطبين (١٨٢) . وصرحت د . صالحة عبد الحكيم شرف الدين بأن تطبيق الآيات على النظريات العلمية المستحدثة لا يسوغها ، ولا يزيد من فضل القرآن وإعجازه (١٨٣) .

★

تبين لنا هذه الجولة أن رفض الخوض في التفسير العلمي بدأ منذ القرن السادس ، واستمر إلى هذا العصر .

ودار - أول ما ظهر - حول إغراق الفخر الرازي في القضايا العلمية ، وانتهازه الفرصة للاستطرد في شرح هذه القضايا ، مما أسخط عليه غيره من المفسرين ، ومن ألفوا التفسير بنهجه المعروف .

ولكن حركة الرفض تركت - في القرن الثامن - الأفراد ، واستهدفت التفسير العلمي في ذاته ، كما رأينا عند يحيى بن حمزة العلوي .

وفي أواخر ذاك القرن ، نرى الشاطبي يرفض المبالغة - أو ما سماه هو التجاوز - ويُسره بإضافة كل علوم المتقدمين والمتأخرين إلى القرآن ، وتبعه كثير من المحدثين ، وعلى رأسهم الزرقاني الذي عاب الإسراف حتى لو حسنت النية ، غير أن عرجون كان أهم من عاب الإسراف .

يمكن أن نقول - إذن - إننا لسنا أمام حركة واحدة ، تحت اسم حركة الرفض ، بل أمام عدة حركات :

- حركة ترفض سلوك مفسرين معينين ، مثل تلك الحركة التي رفضت عمل الرازي من المفسرين القدماء ، وبنظاوي جوهري من

المفسرين المحدثين ، وبعض تفسير محمد عبده ومحمد مصطفى المراغى .

- وحركة ترفض مبدأ التفسير العلمى ، تمثلت قديما فى العلوى والشاطبى ، وحديثا فى الخولى والعقاد والخطيب وأمثالهما .

- وحركة ترفض الإسراف ، يمثلها الزرقانى وكثيرون آخرون ، وتبين لنا أن الرافضين فئات :

- فئة رفضت التفسير العلمى ، وتمسكت - فى الوقت نفسه - بما سمته الإعجاز العلمى ، غير أنه كان له مفهومه الخاص عندها ، وتتمثل فى محمد رشيد رضا والزرقانى ومناح القطان .

- وفئة رفضت التفسير والإعجاز العلمى كليهما ، وتضم يحيى ابن حمزة العلوى والشهاب الخفاجى .

- وفئة أعلنت رفض التفسير العلمى . ولم تصرح بشيء عن الإعجاز العلمى ، وإن كانت الدلائل تجعلنى أحس أنها ترفضه أيضا . وتتمثل فى أكثر الباقيين .

وهناك دعائم أساسية وأخرى جزئية استند إليها الرافضون . وأقصد بالدعائم الأساسية ما وجد عند كل الرافضين أو جلهم ، وهى التى أعنى بالوقوف عندها .

وأول هذه الدعائم الخشبية مما يلحق الأفكار العلمية من تغير وتبدل ، قد يؤثر في نظرة الناس إلى القرآن . ذكر الخولي أن خسر الرّبط بين القرآن والقضايا العلمية – بغية بيان صدقه أو إعجازه أو صلاحيته للبقاء – أكثر من نفعه . ووصف من يفعل ذلك بالصدّيق الجاهل ، الذي يسيء من حيث يريد الإحسان . ووصف الزرقاني الأفكار العلمية بالجزر والمد ، والحيرة بين الإثبات والنفي ، وبالتقيد . وفرق سيد قطب بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية .

وثانيها وظيفة القرآن . فمئذ أقدم العصور تردد القول – الذي رددته في أكثر من موضع – بأن القرآن كتاب دعوة وإرشاد . وأقام صاحب تفسير المنار على ذلك أن ما جاء به القرآن لم يكن لبيان حقيقته أو صفاته . بل قد يعاب منه ذلك ، إذا كان مما يصرف السامع أو يوجب نقصا في استفادته . واتفق معه الخولي الذي ذكر أن المقصود بالتناول الفنى رياضة الوجدان . ويقوم على المشهود من ناحية روعته في النفس لا من ناحية دقائق قوانينه . وتابعهما العقاد الذي ذكر أن كتب العقيدة لا يطلب منها مطابقة العلوم ولا ذكر تفاصيلها . وذكر الخطيب أن القرآن يدعو إلى إيقاظ المشاعر وبتجه إلى القلب .

وينى محمود شلتوت على ذلك أن القرآن لم ينزل ليكون كتاب علم يتحدث عن نظريات العلوم . ووافق الزرقانى الذى ذكرت رأيه آنفا . وتبعهما عبد الكريم الخطيب الذى أعلن أنه لم يكن كتابا علميا ، يشرح أسرار الطبيعة ، ولو كان من تدبيره أن يكون كتابا علميا لما جاء على هذا النظم الموسيقى اللامع . وكذلك فعل سيد قطب .

وينى الخولى على ذلك أن دعوى التفسير العلمى توشك أن تخرج بالقرآن عن هدفه . وانتشر هذا القول انتشارا كبيرا . مع بعض التغيير فى صورته . فصرح الزرقانى أن ذلك يجعل كتاب الله على ما ليس من وظيفة التى هى أسمى وظيفة فى الوجود ، وأن عظمة القرآن لا تتوقف على انتحال وظيفة جديدة له ؛ وعزة دعوته أن ذلك إخراج للقرآن عن نطاق قدسيته وأهدافه السامية ؛ وعدنان زريور أنه جهل بدور القرآن ؛ وشوكت عليان أنه تفريغ للقرآن من محتواه وصرف له عن مهمته الأساسية .

وثالثها النص القرآنى . فقد ذهب الفخر الرازى إلى أن أية سورة الانعام لا تفيد العموم الذى توحى به عبارتها . ووافق العلوى ووسع قوله فذكر أن أكثر عمومات القرآن كذلك . وجاهر الشاطبى بأن المراد بالآيات التكليف ، وقد يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ .

وذهب أمين الخولى إلى أن التطور اللغوى والأدبى للغة العربية لا يجيز ذلك ، وعزة درورة بأن فى ذلك تحميلا لكلمات القرآن غير ما تتحمل .

ورمى عبد الكريم الخطيب التفسير العلمى بالتعسف فى فهم القرآن واقتسار المعانى ، والشطح فى التأويل ، وإخراج الألفاظ عن مدلولها ، وتحريف الكلام عن مواضعه ؛ ومحمود شلتوت بالتأويل المتكلف وتحريض القرآن للنوران مع العلوم المتغيرة . ووصف شوكت عليان الإشارات القرآنية بأنها غير مقصودة .

وتسائل الخولى على سبيل الإنكار : إذا كان العرب المعاصرون للتزويل فهموا الإشارات العلمية كما يفهمها أصحاب التفسير العلمى فلم لم تقم نهضتهم عليها ، وتأخرت إلى أن نقلت إليهم حضارات الأمم المجاورة لهم ؟ وعلى الرغم من ذلك أنكر عزة درورة على المسلم أن يدعى أن فى القرآن ما لم يفهمه النبى - ﷺ .

وأول الدعائم الجزئية ما يتصل بالإعجاز . فقد رأى العلوى أن الأصل فى الإعجاز التميز ، وأن العناية بالعلوم مشتركة بين القرآن وغيره . فلا يمتاز بها وحده إذن ، يضاف إلى ذلك أن هذه الإشارات لا تعم القرآن كله . ونقل ابن القيم أن السنة وكلام

العرب يوجد فيهما إشارات علمية ، ولم يعد أحد ذلك معجزة .
وذهب عبد القادر حسين إلى أن عدم التناقض بين القرآن والعلم
ليس دليلا على الإعجاز ، وإنما على أنه تنزيل من الله .
وثانيها أحوال العرب عند التنزيل فقد وصف الشاطبي العرب
بالأمية والجهل إلا من بعض المعارف التي كانت نتيجة تجاربهم
في الحياة . وخلص من ذلك إلى وصف الإسلام بالأمية ،
والاقتصار على ما كان لدى هؤلاء العرب من معارف . ولو كانت
الشرعية غير ما عهدوا لما شغلت عندهم منزلة كبيرة ، بل ولم يكن
القرآن عندهم معجزا . ولكن عرجونا - وهو من الراقضين
للتفسير العلمي - عاب آراءه وفندها . وذهب عبد القادر حسين
إلى أن القول بالعلميات لا يتفق وعقلية العرب حينذاك .
وثالثها المتصدون للتفسير العلمي . فقد اعتمد الشاطبي في
رفضه على عدم تحدث السلف في هذا التفسير ، وتكذيب ما روى
عن علي وغيره وإن كان عبد الكريم الخطيب تصدى لتفسير هذه
الظاهرة .

ووصم محمود شلتوت أصحاب هذا التفسير بقلة الثقافة ، وأن
رغبتهم فيه أفسدت عليهم أمرهم ، وأدت بهم إلى ما لا يتفق مع
أغراض القرآن ، وسيد قطب بالسذاجة والخطأ المنهجي والهزيمة

الداخلية ، وعدنان زرنود بالكسل والجمود والعجز عن الامتثال لأوامر القرآن ، وأبو علي بعدم التخصص .

ورابعها جدوى التفسير العلمي . فقد أعلن الخوئي أن التفسير العلمي ليس بجدوى . ووصفه عبد الكريم الخطيب بالبطالة الرخيصة التي لا تليق بجلال القرآن ، وعلى الرغم من ذلك تعرض لفائدة اشتمال القرآن عليها . وجعلها أبو علي وسيلة للإيضاح .

وأخيراً حاول بعض العلماء البحث عن أسباب الانتفاخ وراء التفسير العلمي وبخاصة في العصر الحديث . فرده الصياغ إلى الانتهاز بالحضارة الأوربية ، وعدنان زرنود إلى الظن بأن القرآن - إذا خلا من العلوم - لا يكون كتاباً علمياً ، ولا عصرياً صالحاً لهذا القرن وما بعده .

الهوامش

- (١) مقاتيح ٢١٥/١٢ . النيسابوري ١٤٢/٧
- (٢) مقاتيح ٢١٥/١٢ - ٦
- (٣) الطراز ٤٦٣/٣ - ٤
- (٤) نفسه ٤٠٠/٣ . الحمصي ١٣٤
- (٥) سورة البقرة ١٦٣ .
- (٦) الطراز ٤٠١/٣ .
- (٧) فكرة ١٢٣٤ .
- (٨) الفوائد ٢٤٩ .
- (٩) الموافقات ٥٥/٢ . الخولي ٣٥٩/٥ . الحمصي ١٥٢ . الذهبي ٤٨٨/٢ . الخطيب ٣٣/١ . عرجون ٢٦٤ . العاني ١٨٤ . الرازي لحسن ٢٨٠ . فاضل ٣٠٤ فودة ٢٤٤ .
- (١٠) الموافقات ٥٥/٢ . الحمصي ١٥٢ . الذهبي ٤٨٨/٢ . الخطيب ٣٣/١ . عرجون ٢٦٤ . الرازي لحسن ٢٨٠ . فاضل ٣٠٤ .
- (١١) الموافقات ٥٥/٢ . الخولي ٣٥٩/٥ . الذهبي ٤٨٨/٢ . فاضل ٣٠٤ .

- (١٢) الموافقات ٥٥/٢ . الخولي ٣٦٠/٥ . الذهبي ٤٨٩/٢ . الخطيب ٣٤/١ .
- (١٣) الموافقات ٥٥/٢ . الخولي ٣٦٠/٥ . الذهبي ٤٨٩/٢ . الخطيب ٣٤/١ .
- (١٤) الموافقات ٥٦/٢ . الخولي ٣٦٠/٥ . الذهبي ٤٨٩/٢ . الخطيب ٣٤/١ .
- (١٥) الموافقات ٥٦/٢ . الخولي ٣٦٠/٥ . المصنعي ١٥٢ .. الذهبي ٤٨٩/٢ . الخطيب ٣٤/١ . فاضل ٣٠٤ .
- (١٦) الموافقات ٥٦/٢ . الخولي ٣٦٠/٥ . الذهبي ٤٨٩/٢ .
- (١٧) الموافقات ٤٨/٢ . الخولي ٣٥٩/٥ . الذهبي ٤٨٥/٢ .
- عرجون ٢٦٠ .
- (١٨) سورة الجمعة ٢ .
- (١٩) الموافقات ٤٩/٢ .
- (٢٠) سورة النحل ١٠٣ . الموافقات ٤٩/٢ . عرجون ٢٦٢-٣ .
- (٢١) الموافقات ٥٤/٢ .
- (٢٢) الموافقات ٥٥/٢ . الخولي ٣٥٩/٥ . الذهبي ٤٨٨ / ٢ .
- ٥٠٢ - ٣ . الخطيب ٤-٢٢/١ . فاضل ٣٠٤ .
- (٢٣) المصنعي ١٨٠ - ٢ .
- ٢٠٣ -

- (٢٤) ٢٩٥/٧ - ٦ . مرجون ٢٤٦ ، فودة ٢٤٥ .
- (٢٥) ٢٠٧/١ . شبيها ١٠٩ . شحاته ١٥٩ .
- (٢٦) نفسه . العدوى ٩ . شحاته ١٥٩ . شبيها ١٠٩ .
- (٢٧) ٢٠٨/١ . شبيها ١١٠ .
- (٢٨) نفسه . وانظر الفولاني ٣٦١/٥ - ٢ . شبيها ١١٠ .
- (٢٩) نفسه . شبيها ١١٠ .
- (٣٠) نفسه . شبيها ١١٠ .
- (٣١) المنار ٢٠٨/١ .
- (٣٢) المنار ٢٠٨/١ . حنفي ٣٦ - ٧ . القمرأوى ٢٦٧ . يوكاي
- ١٤٣ ، ١٤٦ . حسب ٧ .
- (٣٣) المنار ٢٠٨/١ .
- (٣٤) المنار ٢٠٨/١ .
- (٣٥) المنار ٢٠٨/١ .
- (٣٦) المنار ٢١٠/١ . شبيها ١١١ .
- (٣٧) المنار ٢٠٧/١ ، ٢١٢ . حنفي ٤١ ، ٣٨ ، ٦ ، ٥ . الحمصني
- ١٠٤ ، ١٥٥ ، ٢٤٣ . نظرات ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٤ . بين للقمرأوى ٢٥ .
- طيارة ٤٨ ، ٩٦ . قصة ٤ . الصابوني ١٢٥ . الإسلام للقمرأوى س .

عتر ٣٧٨ . بوكاي ١٤٥ . محمد اسماعيل ٤ . ٥٥ . خلف ٢٥٤ .
شبهات ١١١ . ١١٤٥ . الإشارات ١٨ . الأمير ٥٢ . أمير ١٣٣ .
(٣٨) المنار ٢١٢/١ . شبهات ١١٤ .
(٣٩) دائرة ٣٥٩/٥ .
(٤٠) دائرة ٣٦٠/٥ . العاني ١٨٤ . الذهبي ٤٩١/٢ .
(٤١) دائرة ٣٦٠/٥ - ١ . الذهبي ٤٩١/٢ .
(٤٢) دائرة ٣٦١/٥ . الذهبي ٤٩٢/٢ .
(٤٣) دائرة ٣٦١/٥ .
(٤٤) دائرة ٣٦١/٥ . الزرقاني ٢٤٩/٢ . ٢٥٢ . الرسالة ٥٨١ .
الفلسفة ١١ . ١٧٤ . ١٧٦ . التفكير ٦٢ . فقيهي ١٨٩ - ٩٠ . الذهبي
٤٩٢/٢ . القطان ٤٢ . ٢٧٠ . عرجون ٢٥٩ . قطب ١٨٢ . ١٨٥٧ .
يعقوب ١٢ الصباغ ٢٠٤ . عبد القادر ١٠٦ . محمد اسماعيل ٤٩ . قودة
٢٤٤ . ٢٤٦ .
(٤٥) أبو علي ٣٣ . صالحة ١٠٥ .
(٤٦) دائرة ٣٦١/٥ .
(٤٧) دائرة ٣٦١/٥ - ٢ . شلتوت ٥٨١ . الذهبي ٤٩٤/٢ /
يعقوب ١٢ - ٣ . زردور ٣٠ .
(٤٨) دائرة ٣٦١/٥ . الذهبي ٤٩٣/٢ .
- ٢٠٥ -

- (٤٩) دائرة ٣٦١/٥ - ٢ . وانتظر المثار ٢٠٨/١ .
- (٥٠) دائرة ٣٦٢/٥ .
- (٥١) دائرة ٣٦٢/٥ .
- (٥٢) دائرة ٣٦٢/٥ .
- (٥٣) دائرة ٣٦٢/٥ .
- (٥٤) دائرة ٣٦٢/٥ . الزرقاني ٢٥٠/٢ . الذهبي ٤٩٣/٢ .
- (٥٥) مناهل ٢٤٩/٢ . فقيهي ١٨٩ .
- (٥٦) مناهل ١٨/١ . روايت ١٠٧ .
- (٥٧) مناهل ١٩/١ . روايت ١٠٧ . خلف ٢٥٤ . حسيب ٦ .
- هندسة ١٠ .
- (٥٨) مناهل ١٨/١ . حنفي ٢٤ .
- (٥٩) مناهل ١٨/١ .
- (٦٠) مناهل ١٩/١ .
- (٦١) مناهل ٢٥١/١ . وانتظر بشأن عيب الإسراف في الكونيات .
- عرجون ٢٦٤ . العاني ١٨٤ . فودة ٢٤٤ - ٢٥٠ . ٥ .
- (٦٢) مناهل ٢٥١/٢ . نظرات ١٣٠ .
- (٦٣) مناهل ٢٤٩/٢ .
- ٢٠٦ -

- (٦٤) مناهل ١٨/١ - ٢٥١/٢ . السيد ١٧ ، ٢٥ ، عرجون ٢٧٦ .
القرآن للفندي ١٦ . الفمراوي ٣٢ . الاستاذ بنواري ٧٠٦ . فاضل ٣٢٠ .
السويدي ١٦ ، ٣٥ ، شوكت ٢٨ ، النصيرات ٧ .
(٦٥) مناهل ٢٥١/٢ .
(٦٦) مناهل ٢٥١/٢ .
(٦٧) مناهل ٢٥١/٢ .
(٦٨) مناهل ٢٥١/٢ . دراز ١٨٠ ، بين لتوفل ١٦٧ . صيد القادر
١٠٥ - ٦ .
(٦٩) مناهل ٢٥١/٢ . بين لتوفل ١٦٧ . القرآن للفندي ٤٨ ، ٥٢ .
(٧٠) مناهل ٢٧٨/٢ .
(٧١) مناهل ١٧/١ .
(٧٢) مناهل ١٧/١ ، ٢٥٠/٢ .
(٧٣) نفسه . القطان ٢٧٢ - ٣ .
(٧٤) مناهل ١٧/١ ، ٢٥٠/٢ .
(٧٥) مناهل ٢٥٠/٢ . الحمصي ٩٨ . عيد القادر ١٠٥ . فودة ٢٤٤ .
(٧٦) نفسه . فودة ٢٤٤ . يعقوب ٦ .
(٧٧) نفسه . فودة ٢٤٤ .
(٧٨) مناهل ١٧/١ .

- (٧٩) نفسه .
 (٨٠) نفسه .
 (٨١) مناهل ٢/٢٥٠ .
 (٨٢) مناهل ٢/٢٥٣ .
 (٨٣) مناهل ٢/٢٥٠ .
 (٨٤) نفسه .
 (٨٥) نفسه .
 (٨٦) نفسه . عرجون ٢٥٨ .
 (٨٧) مناهل ٢/٢٥٠ .
 (٨٨) نفسه .
 (٨٩) نفسه .
 (٩٠) الرسالة ٥٨٠ .
 (*) نفسه .
 (٩١) نفسه .
 (٩٢) الرسالة ٥٨١ ، الشطيب ١/٢٩ ، ٢٥ ، قطب ١٨١ ، فسوة
 ٢٤٤ . داود ٧٩ .
 (٩٣) نفسه .
 (٩٤) سورة الأنفال ٦٠ .

- (٩٥) الفلسفة ١٢ .
- (٩٦) الفلسفة ١٢ . القطان ٢٧٠ . قودة ٢٤٥ . صالحة ١٠٤ - ٥ .
- (٩٧) الفلسفة ١١ .
- (٩٨) الفلسفة ١١ .
- (٩٩) الفلسفة ١٢ . القطان ٢٧٠ . رزبور ٢٨ .
- (١٠٠) سورة آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ ، القطان ٢٧٠ .
- (١٠١) سورة الروم ٨ . الفلسفة ١٢ . القطان ٢٧١ .
- (١٠٢) الفلسفة ١٧٦ . التفكير ٥٩ ، ١٧٢ .
- (١٠٣) الفلسفة ١٧٦ . التفكير ١٧٢ . الزرقاني ١٧/١ - ٨ .
- (١٠٤) الفلسفة ١٧٦ .
- (١٠٥) الفلسفة ١٣ . التفكير ٥٩ ، ٦١ . القطان ٢٧٢ .
- (١٠٦) الفلسفة ١١ ، ١٧٤ . التفكير ٦٢ . القطان ٢٧٠ . قودة ٢٤٤ ، ٢٤٦ . صالحة ١٠٤ .
- (١٠٧) الفلسفة ١٣ .
- (١٠٨) الفلسفة ١٧٤ ، ١٧٦ .
- (١٠٩) التفكير ٥٩ .
- (١١٠) التفسير ٤٩١/٢ .
- (١١١) التفسير ٧/٢ ، ٦/١ ، ٩١ .

- (١١٢) التفسير ٧/٢ . ٩١ / ٦٠ . الخطيب ٢٨/١ . عرجون ٢٣٥ .
 ٢٤٣ . أبو زهرة ٢٤٣ . المعاني ١٨٤ . الدباغ ١١٢ .
 (١١٣) التفسير ٧/٢ . ٩١ / ٦٠ . السديس ٣٢ .
 (١١٤) التفسير ٧/٢ . السديس ٣٢ .
 (١١٥) التفسير ٩١/٦٠ .
 (١١٦) مباحث ٢٧ . المعاني ١٨٤ . فودة ٢٤٤ .
 (١١٧) مباحث ٢٧٠ ، ٢٧٢ .
 (١١٨) إجاز ٢٦/١ ، ٣٢ . أبو زهرة ٥٢٣ .
 (١١٩) إجاز ٢٦/١ .
 (١٢٠) إجاز ٢٧/١ . عرجون ٢٣١ .
 (١٢١) إجاز ٢٧/١ - ٨ .
 (١٢٢) إجاز ٢٨/١ . صالحة ١٠٦ .
 (١٢٣) إجاز ٢٨/١ .
 (١٢٤) إجاز ٢٨/١ .
 (١٢٥) إجاز ٢٨/١ .
 (١٢٦) إجاز ٢٩/١ .
 (١٢٧) إجاز ٢٩/١ .
 (١٢٨) إجاز ٢٩/١ . قطب ١٨١ . عبد القادر ٩٢ ، ١٠٥ .

- . ٢٩/١ إيجاز (١٢٩)
- . ٢٩/١ إيجاز (١٣٠)
- . ٢٩/١ إيجاز (١٣١)
- . ٣٠/١ إيجاز (١٣٢)
- . ٣٠/١ إيجاز (١٣٣)
- . ٣٠/١ إيجاز (١٣٤)
- . ٣١/١ إيجاز (١٣٥)
- . ٣٢/١ إيجاز (١٣٦)
- . ٣٥/١ إيجاز (١٣٧)
- . ٣٥/١ إيجاز . الحواس ١٢ (١٣٨)
- . ٣٥/١ إيجاز (١٣٩)
- . ٢٥٧ القرآن (١٤٠)
- . ٢٥٨ القرآن (١٤١)
- . ٩ - ٢٥٨ القرآن (١٤٢)
- . ٢٥٦ القرآن (١٤٣)
- . ٢٦٠ القرآن (١٤٤)
- . ١ - ٢٦٠ القرآن (١٤٥)
- . ٢ - ٢٦١ القرآن (١٤٦)

- (١٤٧) القرآن ٢٦٣ .
 (١٤٨) القرآن ٢٣١ .
 (١٤٩) نفسه .
 (١٥٠) نفسه .
 (١٥١) القرآن ٢٢٤ - ٤٤ ، ويخاصة ٢٢٦ .
 (١٥٢) القرآن ٢٥٥ .
 (١٥٣) نفسه .
 (١٥٤) القرآن ٢٧٦ .
 (١٥٥) فاطر ٢٨ .
 (١٥٦) القرآن ٢٦٧ - ٨ ، الفمراوى ٣٢ ، حواس ١٢ .
 (١٥٧) فى ١٨١ ، القطن ٢٧٣ ، يعقوب ١١ ، الصباغ ٢٠٤ .
 شوكت ٥٦ ، شعبان ٣٣٥ ، غودة ٢٤٦ ، صالحة ١٠٤ .
 (١٥٨) فى ١٨١ ، القطن ٢٧٤ ، يعقوب ١٢ ، الصباغ ٢٠٥ ، غودة ٢٤٦ ، صالحة ١٠٥ .
 (١٥٩) فى ١٨٢ ، ١٨٥٨ ، القطن ٢٨٤ ، السديس ٣١ ، الصباغ ٢٠٥ - ٦ ، عبادة ١٦ ، صالحة ١٠٥ .
 (١٦٠) نفسها .
 (١٦١) فى ١٨٢ - ٣ ، القطن ٢٧٤ ، السديس ٣١ ، يعقوب ١٢ .

الصباغ ٢٠٦ . العائى ١٨٤ . فودة ٢٤٧ . صالحة ١٠٥ - ٦ .
 (١٦٢) فى ١٨٢ . ١٨٥٨ . القطن ٢٧٥ . يعقوب ١٢ . الصباغ
 ٢٠٦ . فودة ٢٤٧ . صالحة ١٠٦ .
 (١٦٣) فى ١٨١ - ٢ . القطن ٢٧٤ - ٥ . يعقوب ١١ ، ١٢ .
 الصباغ ٢٠٤ ، ٢٠٧ . شبهات ١١١ . شوكت ٥٥ . فودة ٢٤٥ - ٧ .
 صالحة ١٠٦ .
 (١٦٤) فى ١٨٢ . القطن ٢٧٥ . يعقوب ١٢ . الصباغ ٢٠٧ . فودة
 ٢٤٧ . صالحة ١٠٦ .
 (١٦٥) لمحات ٢٠٣ .
 (١٦٦) القرآن ١٠٥ .
 (١٦٧) القرآن ١٠٥ - ٦ .
 (١٦٨) القرآن ١٠٧ .
 (١٦٩) القرآن ١٠٧ .
 (١٧٠) القرآن ٢٦ .
 (١٧١) القرآن ٣٠ . عبادة ٧٠ .
 (١٧٢) القرآن ٣٠ .
 (١٧٣) القرآن ٣٠ .
 (١٧٤) القرآن ٣٠ .

- . القرآن (١٧٥) ٣٦
- . الإسلام ٥٥ (١٧٦)
- . الإسلام ٥٦ (١٧٧)
- . المرشد ٢٥١ (١٧٨)
- . الطب ١٦ (١٧٩)
- . ٢٣ (١٨٠)
- . ٣٤ (١٨١)
- . ٣٦ (١٨٢)
- . ١٠٨ (١٨٣)

الفصل الرابع أسباب تناول وأهدائه

كان أول من تعرض للآيات العلمية من عرفوا «بالتفسير» من الصحابة والتابعين . وكان ذلك في تضاعيف حديثهم عن بقية الآيات ، لأنهم لم يفرقوا بين هذه وتلك . ومن ثم كانت الأسباب التي دفعتهم إلى تناولها هي الأسباب التي دفعتهم إلى تناول غيرها من الآيات ، أي الرغبة في مجرد الشرح .

وقد ورث ذلك عنهم المؤلفون المعروفون في تفسير القرآن ، غير من اعتنق منهم حيالها ميذاً خاصاً ، جعلهم يعنون بها عناية فائقة، ويمنحونها تعاملاً علمياً واضحاً ، من أمثال الفخر الرازي قديماً ، وطنطاوي جوهرى حديثاً .

وفي القرن الرابع / العاشر ، ظهرت في حياة الآيات الكونية فئة جديدة ، هي تلك التي خصت «إعجاز القرآن» بالتأليف . فقد ذهب بعضهم إلى أن إيراد القرآن لهذه الآيات أحد وجوه الإعجاز، وسموه - فيما بعد - الإعجاز العلمي . وكان أول من فعل ذلك منهم أولئك الذين حكى ابن سراج أقوالهم . ثم تتابعوا حتى ماض بهم الفيض في العصر الحديث .

ويدنا من السيوطي ، نجد عددا من المؤلفين في «علوم القرآن» يعدون التفسير العلمي واحدا من هذه العلوم ، ويجعلونه أحد أبواب كتبهم .

وفي العصر الحديث ، استجدت أسباب متعددة ، دفعت كثيرين إما إلى التعرض للآيات العلمية في بعض أبواب كتبهم ، أو إلى إفراد كتب مستقلة لها .

فكان هم محمد بن أحمد الطيب الإسكندراني تحبيب الناس في العلوم الحديثة ^(١) ، وإثارة تفكيرهم في الخلق ^(٢) . ويمكن القول بأن هذا صار هم أغلب الكتاب عن الإعجاز العلمي ، يقتصر عليه بعضهم ، ويضيف عليه بعض آخر أهدافا أخرى .

فكان ما أضافه طنطاوي جوهري في التفسير الدعوة إلى رقى المسلمين المستضعفين في الأرض ^(٣) ، وفي «القرآن والعلوم العصرية» الدعوة إلى وحدة المسلمين في أقطار العرب ، والأخذ بالصناعة الحديثة لتكون لهم مكانتهم الثلاثة ^(٤) .

واستهدف محمد بخيت المطيعي الرد على ما وجهه الأوروبيون إلى القرآن من مطاعن ، تزعم أنه يجافي العلم حتى كان السبب في التأخر العلمي للمسلمين ^(٥) ، وإزالة اشتباه كثير من العلماء وجود تصادم بين القرآن وعلم الهيئة ^(٦) ، وعدم وجود كتاب واف بالغرض في هذا الصدد ^(٧) .

وذكر د : محمد وصفي أن أول دافع له فقر التفسيرات المختلفة للقرآن في كل ماله علاء بعلوم الطب^(٨) .
وقصد صلاح الدين خشية إلى :
١ - التحذير من غرور الإنسان^(٩) .
٢ - التنبيه إلى نقص عقل الإنسان عن فهم ما حوله^(١٠) .
٣ - التنبيه إلى أن الله هو العارف بالنافع والضار^(١١) .
٤ - التصديق بالإعجاز^(١٢) .
٥ - إثبات أن القرآن دائرة معارف موجزة للعلم في القرن العشرين^(١٣) .
وأصدر على فكرى كتابه «القرآن ينبوع العلوم والعرفان» إذ رأى حقاً لزاماً على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعقل ويتبصر ويتفكر ويتدبر في آيات الله ، لمعرفة جميع العلوم الكونية^(١٤) . فوضعه - خدمة للدين والعلم والإنسانية - كتاباً جامعاً - بقدر الإمكان - لما جاء في كتاب الله من العلوم ، مع تفسير الآيات تفسيراً مختصراً مفيداً^(١٥) .
وفي سنة ١٩٥٠ ، ألف محمد سعدى المقدم كتاب «شواهد العلم في هدى القرآن» للرد على من هاجم القرآن ووصفه بأنه كتاب رجعى، أصبح لا محل له ولا موضوع في عصرنا
- ٢١٧ -

الصدى (١٧) ؛ ومن هاجم كل الكتب السماوية وجهر بأنها ليست إلا مؤلفات مؤلفين أنكباء ، أخرجوها ليسيطروا بها على عقول الناس الضعيفة في عصورهم (١٨) . فأتخذ من معجزات القرآن التي يشهد بها العلم الحديث وسيلة إلى هذا الرد .

ونذكر هنا أحمد أنه وضع كتابه ليبحث في تصوير القرآن للكائنات تصويراً يكشف عن دقيق معانيه ، ويبين ما فيه من آيات الإعجاز ، الدالة على صدق وحيه (١٩) وسمو رسالته (٢٠) ، إذ كانت الحاجة إليه ماسة في هذا الزمان الذي التبس فيه الحق بالباطل (٢١) ، وانصرف فيه جمهور المتعلمين من المسلمين عن مطالعة كتابهم والتدبر فيه ، لأنه ليس فيه من العلم الذي تثقفوا به ما يجذبهم إليه (٢٢) . وكانت الدعوة إلى الإصلاح أكبر خدمة تسدى إلى المجتمع ، وأعظم واجب على كل قادر عليها (٢٣) .

فوضع هذا الكتاب وفاء للعهد والأمانة ، وإسهاماً منه في الإصلاح المنشود ، ليعرف منه من لا يعرف حقيقة رسالة القرآن ؛ وأنها رسالة هدى تقوم على العقل ، والعلم الذي ينفع الناس ويدين به علماءهم ؛ وأنه احتوى على هذا العلم ليكون له آية في نشر دعوته (٢٤) كلما انتشر العلم بين الناس ، وحجة قائمة على أهل العلم بصدق دعوته (٢٥) كلما اخترق العلم أستار الطبيعة (٢٥) .

ونذكر عبد الرزاق نوفل ، في «الله والعلم الحديث» ، أنه يريد الرد على الملحد والمتشكك ، الذي يعتقد أن المدنية في عدم الإيمان بالآديان ولا بالديان (٢٦) . فعزم على جمع بعض الأدلة العلمية ، في العصر الحديث ، على وجود الله ، تمكينا للإيمان في النفوس (٢٧) .

وسعى في «الإسلام والعلم الحديث» إلى جمع الأدلة العلمية التي تثبت أن الإسلام هو دين الله (٢٨) ، وتوضيح أن العقائد والتكاليف الإسلامية هما ما يتأدى به التقدم العلمي في العصر الحديث لمصلحة الفرد وخير المجتمع (٢٩) .

ونذكر الجماعة الذين قدموا للكتاب أنه أثبت نبوة محمد بن عبد الله (٣٠) ، وحاجة البشر إلى الآديان وبخاصة الإسلام (٣١) .

ونذكر هو أيضا أنه أصدر «القرآن والعلم الحديث» ليؤكد الإعجاز العلمي (٣٢) .

ونذكر أحمد الشرباصي أن حامد عبد الرحمن الغوايبي (١٣٢٥ - ١٣٨٠ / ١٩٠٨ - ١٩٦٠) كان في كتابه «بين الطب والإسلام» يريد أن يبين أن الإسلام قد سبق إلى كثير من الأصول والقواعد الطبية والصحية ، مما يعد شاهدا على صدق هذا الدين وأنه من عند الله (٣٣) . ويمكن القول بأن هذا هو هدف كل هذه الكتب ، مع تغيير كلمتي الطبية والصحية إلى العلمية .

وذكر عبد الحليم كامل أنه ألف كتابه ليكون دافعا للقراء على البحث والتدقيق^(٣٤) ، وللعلماء ليظهروا للعالم أجمع ما في القرآن من إعجاز وعلم^(٣٥) .

وذكر د . محمد جمال الدين الفندي أن كتاب «من روائع الإعجاز في القرآن الكريم» إحدى محاولاته لإثبات :

– أن القرآن تبيان لجمال ما صنع الله ، يريد الكون^(٣٦) .
– التذكير بأنه – بالعلم وحده – فضل الله الإنسان على الملائكة^(٣٧) .

وذكر في «الله والكون» أن الذي دفعه إلى تأليفه :

– سد الثغرات التي تهدد فكرتنا المعاصر^(٣٨) .

– حنين إلى الماضي الزاخر بالإيمان والكرامة والعلم^(٣٩) .

– مشاركة في جهود الحاضر المجيد المتوج بالنصر^(٤٠) .

ويمكن أن أضيف إليها : تحديد أسس (فلسفية علمية) تدعم الدين ، وتقويم الأخلاق ، وتعيد الثقة إلى النفوس ، وتوفر لها الطمأنينة^(٤١) .

وذكر محمود أبو الفيش المنوفى أنه ألف كتاب «القرآن والعلوم الحديثة» للمسترشدين بالقرآن من أبناء الأمة الإسلامية ، ليقرر أن لا خلاف بين الدين والعلم أو بين القرآن وسائر المعارف

البشرية في أي زمان أو مكان ، وأن القرآن - زيادة على ذلك - هو المصدر الوحيد للتسامي بالعلم والمعرفة إلى ما يجارى وجه الحقيقة المطلقة (٤٢) .

ولم يذكر د . محمد أحمد الغمراوي سبباً لتأليف كتاب «بين الدين والعلم» . ولكننا نستطيع أن نخمنه من ردوده في تضاعيف الكتاب على الملحدّين ، وفي تمنّيه أن ينشأ علم توحيد جديد ، أساسه طريقة العلم الحديث وبيّناته بدلا من علم الكلام ، الذي أساسه الفلسفة التي لا معيار للحق فيها ولا ضابط يرجع إليه عند اختلاف الآراء . أما العلم فيريح من البلية ويحل النظام محل الغوضى ، لأنه لا يقبل فرضا لا يمكن اختباره وينبذ كل فرض لا يتفق مع الحق الواقع وأو في جزئية واحدة (٤٣) .

ويضئ هذا الحدس قول محمد عبد الله السمان في مستهل الكتاب : موضوع البحث بين الدين والعلم ، وهو موضوع حرى بأن يكون له قراءته في مثل هذه الآونة ، ونحن نرى العلم يكاد يسيطر سيطرة تامة على الحياة في أرجاء المعمورة (٤٤) .

واستهدف أحمد عبد السلام الكرداني اختصار كتاب «الإسلام في عصر العلم» للدكتور محمد أحمد الغمراوي ، وتقديم نماذج منه .

وذكر محمود مهدي الاستانبولي أنه ألف كتابه ليكون نورا
مبيناً مع المؤمنين من الدعاة والمبشرين بالإسلام (١٥) ، وليوقظ
ضعائر الغافلين والمنكرين له من العلماء (١٦) .

وذكر د . السيد الجميلي أنه ألف كتابه استجابة لاقتراح
صديق له (١٧) أن يضع كتاباً طبياً أدبياً يتناول فيه دراسة
مواضيع الطب في القرآن ، وأن مما شجعه على ذلك أن يسد ثغرة
طلما بقيت جوفاء ، لم يقترب أحد منها إلا قلة لم يوفقها حقها ،
بل تناولوا المواضيع السهلة ومن زوايا خاصة ، وتغادوا المواضيع
والمباحث العميقة (١٨) .

وسعى محمد إبراهيم إسماعيل إلى الرد على من بهرهم ما
وصل إليه أهل أوروبا وأمريكا من تفوق ظاهر ، في العلوم والفنون
والآداب وبخاصة علم التكنولوجيا ، وسبق فيها للنول الإسلامية
بتشواط بعيدة : الأمر الذي جعل ضعاف العقول يسيئون الظن
بالإسلام ، ويحسبون أنه سبب قصورهم وتخلّفهم في ذلك
الضممار (١٩) .

واستهدف خلف محمد الحسيني إثبات أن القرآن لم يترك
شيئاً يحتاج إليه العباد في حياتهم الدنيوية والأخروية ، ولم
يلجئهم إلى مصدر آخر يحكمونه فيما يعرض لهم من مشكلات
الحياة (٢٠) .

وحاول د . يوسف السويدي وضع ما توصل إليه العلم التجريبي الحديث في خدمة الإسلام بطريقة مدروسة ومنظمة (٥١) . وتسليط الأضواء على تراثنا العلمي الزاهر ، ليكون عوناً لأبنائنا على استرداد الثقة بأنفسهم وأمتهم في مجال الإبداع العلمي (٥٢) .

ورمى إبراهيم حسن النصيرات إلى تحقيق وتوثيق ما قاله العلماء المسلمون حول الآيات القرآنية التي تؤكد حقائق جغرافية ثابتة (٥٣) .

وسعى د . منصور حسب النبي إلى الكشف عن قدرة ووجود وحدانية الله من جهة ، وإثبات نبوة محمد ، لغير المؤمنين به من جهة أخرى (٥٤) ، رغبة منه في الاقتراب من الله (٥٥) .

وأعلن د . عبد الله عيادة أنه لا يجب كلمة تفسير عصري للقرآن يحاول صاحبه أن يربط بين القرآن والنظريات الحديثة ، لأنه يربط بين ثابت محفوظ ومتغير قد يتضح خطؤه بعد فترة وجيزة (٥٦) .

ووصف كتابه بأنه ليس تفسيراً خاصاً ، ولكنه تطبيق لكلام المولى وأحاديث الرسول على الحقائق التي اكتشفت بعد قرون من البعثة (٥٧) .

وأراد د . عبد العليم عبد الرحمن خضر الرد على سيد قطب ،
فصرح في «المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم»
بأنه يتابع فيه إضراج الناس من الهزيمة الداخلية التي تخيل
للبيض منهم أن العلم هو المهيمن ، والقرآن هو التابع (٥٨) .
وعد أ . د . فؤاد أحمد البدرى كتاب «إعجاز القرآن في
حواس الإنسان» للدكتور محمد كمال عبد العزيز . في أثناء
تقديمه له - عده خطوة من القرن العشرين لشرح بعض إعجاز
القرآن ، ليتضح لنا - في عصر الفضاء والصواريخ - أن هذا
الإعجاز كان يفوق ما يمكن أن يصل إليه التفكير البشري في
الأربعة عشر قرناً الماضية ، ولا زال فيه ما سينكشف لمن بعدنا
على مر القرون القادمة ويعجز عقلنا الآن أن يصل إليه (٥٩) .
ونكرر د . يحيى سعيد المحجورى أن الغرض من كتابه عرض
بعض التطورات العلمية الأخيرة في مختلف المجالات ، وشرح
كيفية الاستفادة منها ، في فهم معان وتفسيرات جديدة للمختار
من الآيات القرآنية (٦٠) .

★

ومجمل القول : إن أقدم البواعث التي حملت المسلمين إلى
الحديث في هذا الحقل هو السعى إلى تفسير القرآن ، سواء ما
تعلق منه بالكونيات وما لم يتعلق . ولم يكن هناك فرق بين تناولهم

هذه الآيات أو تلك إلا عند نفر قليلين ، يمثلهم الفخر الرازى قديماً ،
وطلنطاوى جوهري حديثاً .

ثم جعله أصحاب الإعجاز القرآنى أحد وجوه الإعجاز ،
وتناولوه على هذا الأساس ، لإبانة دلالة هذه الأبيات على وجود
الله ووحدانيته وعظمته وقدرته .. الخ ، ودفعه المسلمين إلى التأمل
والتفكير بغية الاعتبار .

وتلاههم المؤلفون فى علوم القرآن ، وسلوكوا مسلك أصحاب
الإعجاز .

ومنذ مطلع القرن العشرين ، شاعت عند أكثر الكاتبيين الرغبة
فى الرد على من يتهمون القرآن بالجمود ومجافاة العلم والسبب
فى تأخر المسلمين ، تلك التهم التى كالمها الأوربيون ، فتلقفها عنهم
الملحدون والمتشككون والمجهريون بالحضارة الغربية .

ومن الطبيعى أن توجد أسباب فردية عند بعض الكتاب ، ولكن
الذى يستوقفنا منها :

- إشارة د . محمد جمال الدين الفندى إلى رغبته - التى

انفرد بها - فى تجلية جمال الكون.

- ورغبته إلى وضع «أسس فلسفية علمية» تدعم الدين وتعيد

الثقة إلى النفوس ، تلك الرغبة التى يلورها د . محمد أحمد

الغصراوي في دعوة إلى إنشاء «علم كلام جديد» يرتكز على
التطابق ما بين القرآن والعلم .
- تصريح محمود مهدي الاستانبولي بالرغبة في وضع
نتائج بحثه بين أيدي الدعاة إلى الإسلام ليستندوا إليها
في دعوتهم .
- رغبة السويدي والتصيرات في تسليط الأضواء على التراث
العلمي العربي .

الهوامش

- (١) الحمصى ٢٠٩ ، ٢١٥ ، الذهبى ٤٩٧/٢ . بين لتوفل ٧ .
(٢) الحمصى ٢٠٩ ، ٢١٥ ، الذهبى ٤٩٧ / ٢ . عبد الحليم ٧ .
(٣) الحمصى ٢٢٤ ، الذهبى ٥٠٦/٢ .
(٤) الحمصى ٢٢١ .
(٥) تتيه ٢ ، توفيق ٢ ، شوقي ٧ ، الشاعر ١١٢ ، الطب لسليمان ١٠ - ١ .
(٦) توفيق ٢ ، الإسلام لتوفل ٥ ، بين لتوفل ٥ ، ٧ ، المتوفى ٤ .
الخمراوى ط . الله والكورن ٥ ، السويدي ٧ ، حسب ٩ ، الإنسان ٥ .
الطواهر ١٠ .
(٧) توفيق ٢ ، وصفى ٥ ، شوقي ٧ ، ٨ .
(٨) القرآن ٥ .
(٩) رسالة ٤ .
(١٠) رسالة ٤ .
(١١) رسالة ٤ .
(١٢) رسالة ٣ .

- (١٣) رسالة ٣ .
- (١٤) ١٤/١ .
- (١٥) ١٦/١ . السويدي ٧ .
- (١٦) ٤ . عبد المليم ١١ ، ١٦ . القرآن للفندي ١٢ . الحسيني ٧ .
- هندسة ٩ .
- (١٧) ٤ .
- (١٨) التفسير ٥ .
- (١٩) التفسير ٥ .
- (٢٠) التفسير ٥ .
- (٢١) التفسير ٨ .
- (٢٢) التفسير ٩ .
- (٢٣) التفسير ٩ .
- (٢٤) التفسير ٩ .
- (٢٥) التفسير ٩ .
- (٢٦) ٦ . القرآن ٦ . بين ٧ . حسب ٨ ، ٩ . التصيرات ٩ .
- (٢٧) ٦ .
- (٢٨) ١٤ . شوقي ٦ .
- (٢٩) ١٤ .

- (٣٠) ١٠ . حسب ٥ ٩٠ .
- (٣١) ١٠ . القرآن ٦ . محمد ١٢ .
- (٣٢) القرآن ٦ . عبد الحليم ١٦ . روائع ٥ .
- (٣٣) ٧ . حسب ٩
- (٣٤) القرآن ٧ .
- (٣٥) القرآن ١٦ .
- (٣٦) ٥ .
- (٣٧) ٥ .
- (٣٨) ٥ . الجميل ١٠ .
- (٣٩) ٥ .
- (٤٠) ٥ .
- (٤١) ٥٢ .
- (٤٢) القرآن ٤ .
- (٤٣) ٢٢ .
- (٤٤) ٣ .
- (٤٥) إعجاز ٧ .
- (٤٦) إعجاز ٧ .
- (٤٧) الإعجاز ١٠ .

- (٤٨) الإعجاز ١٠ - شوقي ٦ .
 (٤٩) القرآن ٤ - شوقي ٧ - الشاعر ١١٢ .
 (٥٠) القرآن ٨ .
 (٥١) الإسلام ٧ .
 (٥٢) الإسلام ٩ .
 (٥٣) ظواهر جغرافية ٨ - ٩ .
 (٥٤) الكون ٥ .
 (٥٥) الكون ٩ .
 (٥٦) الطب ١٦ .
 (٥٧) الطب ١٧ .
 (٥٨) ١٩ .
 (٥٩) ٨ .
 (٦٠) آيات ١١ .

الفصل الخامس تسمية الآيات الكونية

لما كان العلماء قد اختلفوا في النظر إلى الآيات الكونية ، بين رافض ومؤيد ، ومضيق – في تأييده – وموسع ، فقد اختلفوا أيضا في تسمية ما أورده القرآن ، وفي طريقة الإشارة إليه . وأقدم التعبيرات التي وصلت إليها عما أورده القرآن هي «أصول العلم» ، ذلك التعبير الذي نطق به أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ – ٤٥٨ / ٩٩٤ – ١٠٦٦) تعليقا على قول ابن مسعود بأن القرآن جمع علم الأولين والآخرين ^(١) . وتبعه فيه غيره ^(٢) .

ولما كان أبو حامد الغزالي من المغالين في احتواء القرآن على العلوم ، فقد أعطانا عدة تعبيرات . أعلن في أحدها أن القرآن يحصر لا ساحل له ^(٣) ، وفي ثانيها أن فيه إشارات إلى مجاميع العلوم ^(٤) ، وفي ثالثها : جملة أوائل العلوم ^(٥) ، وفي آخرها : الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها ^(٦) .

وقد تبعه المطيعي والخطيب في التعبير الأول^(٧) ، وحنفي أحمد في التعبير الثاني غير أنه حوره إلى «جوامع من العلم»^(٨) ، وأمين الخواي في التعبير الثالث غير أنه جعله «جمل العلوم»^(٩) .

ولم أعثر على من تابعه في الرابع ، غير أن الحمصي جعله - وهو يصور مذهب الغزالي والرافعي - «مبادئ العلوم»^(١٠) .

كذلك لم أر مصطلح «الموازن» عند غيره . ولكن بعض من تلاه استفاد من وصفه إياها بفتح أبواب الحكمة ، قسمها مفاتيح^(١١) . وفسرها د. محسن عبد الحميد بأن القرآن يحتوى على العلوم بالقوة ، أى أنه يجلب نظرنا إلى القوانين المتنوعة الموجودة في الكون لتدركها ، وأننا لا نقدر على ذلك ما لم نطلع على المعارف ، فعلى ضوئها نفهم كثيرا من أسرار القرآن^(١٢) .

ووصف الطبرسي القرآن بـ «يتابع العلوم بل بحارها»^(١٣) . فإذا كان اعتمد على الغزالي في وصفه بالبحر ، فقد اعتمد عليه المطيعي في وصفه بالينبوع^(١٤) ، وهو الوصف الذي اتخذته على فكرى عنوانا لكتابه .

وقال السيوطي : أما أنواع العلوم ، فليس منها باب ولا مسافة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها^(١٥) .

أما الأبواب فلم أجد من استعملها بعده في هذا الشأن ، وأما المسائل فقد استعملها كثيرون .

وذكر محمد بن محمد المعروف بأبي السعود (٨٩٨ - ٩٨٢ / ١٤٦٣ - ١٥٧٤) أن القرآن متضمن لدقائق العلوم النظرية والعملية ، ومنطوق على دقائق الفنون الخفية والجلية (١٦) .

وذهب حنفي أحمد مذهبه ، حين صرح بأن أهل العلم والخبرة بالكائنات يرون في عبارات القرآن معاني دقيقة ، تنطوي على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق (١٧) .

وسار مصطفى الدباغ في ركابه ، إذ صرح بأنه على الرغم من أن القرآن ليس كتاب علوم إلا أنه جاء بوصف شامل عن العالم المادي ، في صورة أصول وجوامع من العلم الدقيق الصحيح (١٨) .

وسمى محمد بن أحمد الطيب الإسكندراني (١٣٠٦ / ١٨٨٩) أحد كتبه «الأسرار النورانية القرآنية» والآخر «تبيان الأسرار الربانية» . وذكر الحمصي أن قارئه كتبه يستنتج أن القرآن يحوي أسرار العلوم والكون (١٩) . واحتضن كثيرون بعده هذه الكلمة (٢٠) .

ووصف عمر طه العطار (١٢٤٢ - ١٣٠٨ / ١٨٢٦ - ١٨٩٠) القرآن بـ «كنز دقائق العلوم» (٢١) . وعبد الرحمن بن أحمد الكواكبي

(١٢٦٥ - ١٣٢٠ / ١٨٤٩ - ١٩٠٢) بـ «شمس العلوم وكنز الحكم» (٢٢) .

ود. الحاج محمد وصفي بـ : «كنوز العلوم والفنون» (٢٣) ،
ومحمد إسماعيل إبراهيم بـ «كنز العلوم والمعارف» لوجود ثروة
منهما فيه (٢٤) .

واستخدم صاحب تفسير المنار مصطلح الحقائق العلمية (٢٥) .
فصار المصطلح الذي تلوكه الألسنة ، وتدونه الأقلام ، فتتعذر
متابعته .

ويوصف أحمد أمين الديك القرآن بـ «مستودع كثير من علم
وشرع وحكمة» (٢٦) .

وأعلن الراقعي أن بعض العلماء استخرج من القرآن
ما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية (٢٧) ، وأن القرآن
أشار إلى نشأة هذه العلوم ، وإلى تمحيصها وغايتها (٢٨) .
وأرجح أنه أراد بالنشأة ما جعله الحمصى مبادئ هذه
العلوم (٢٩) .

واستخدم حنفي أحمد - إلى جوار الحقائق - مصطلح
القضايا العلمية (٣٠) ، الذي لقي الذبوع ، ولكنه لم يبلغ مبلغ
زميله (٣١) .

ووصف د. محمد حسين الذهبي العلماء الذين ذهبوا إلى احتواء القرآن للعلوم بأنهم حاولوا أن يجعلوا القرآن «منبع العلوم كلها ، ماجد منها وما يجد إلى يوم القيامة» (٣٦) . وأعلن د. عبدالمليم كامل أن القرآن أتى بالقواعد العامة ، على الرغم أنه ليس بكتاب علوم (٣٧) .

وذهب د. محمد جمال الدين الفندي إلى أن القرآن ذكر جانباً من الحقائق العلمية (٣٨) . فتبعه د. عبدالله شحاتة (٣٩) .

ونعت محمود أبو الفيش المنوفى القرآن بالمصدر الوحيد للتسامى بالعلم والمعرفة (٤٠) ، والموسوعة الكبرى بكل معرفة أو معتقد (٤١) ، والمرجع الأعظم للعلوم والمعارف الطبيعية والروحية والإلهية (٤٢) فتابعه غيره ، بالوصف بالمرجع (٤٣) .

وذهب أحمد بعدالسلام الكرداني إلى أن ما أورده القرآن هو أمهات الحقائق (٤٤) .

وسماه محمود مهدي الاستانيولى القوانين الطبيعية للكون (٤٥) ، ومحمد إسماعيل إبراهيم نهاية العلم الذى يصل إليه العلماء كلما جد جديد فى بحثهم (٤٦) ، ود. عيـد الحميد دياب وزميله : أسس العلوم (٤٧) ود. عبدالله شحاتة بذور التقدم العلمى (٤٨) .

★

فتبين من هذه الجولة أن بعض الدارسين احتزروا قوصف الكونيات بأصول العلم ومجامعها وجعلها وأمهاتها وأسسها ، وبالبدور ، وأفرط بعضهم فجعلها بحارا وبتابيع وكنوزا ، وموسوعة كبرى ، ومرجعا أعظم ، ونهاية العلم ، واستخدم بعضهم مصطلحات لاتدل على العدد ولا النوع مثل المسائل ، والحقائق ، والقضايا والقواعد ، بل بالغ بعضهم وتجاوزوا إلى نعتها بالعمومية . وكانت تلك هي المصطلحات التي شاعت مع مصطلح «أصول العلم» . ونجد بين أيدينا مصطلحات ما كانت تولد حتى ماتت ، إما لموضوعها مثل الموازين ونشأة العلوم ، أو لمبالغتها مثل نهاية العلوم .

وإذا انتقلنا إلى طريقة الإشارة إلى العلوم الواردة في القرآن ، انتصب الغزالي ثانية أمامنا ، بصفته أقدم من وجدنا عنده شيئا من هذا القبيل .. فقد رأينا أنه استخدم كلمات الإشارات والرموز والدلالات (٤٥) .

أما كلمة الإشارة ومشتقاتها فقد دارت على الألسنة والأقلام ، بحيث من العبث محاولة تتبعها . وقد بلغ الأمر بمحمد وفا الأميري أن سعى كتابه بها .

وأما الدلالة فقد رأينا السيوطي يستخدم الفعل منها (٤٦) .

وأما الرمز فقد استخدمها مصطفى فائق في قوله : لم يترك فيه أمراً ضاراً أو نافعا إلا أشار إليه بنصه أو رمزه (٤٧) . وكذلك قال الغزالي : فإن جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح (٤٨) .

وتبعه عمر طه العطار ، فقال عن القرآن : ما من شيء إلا ونصه فيه ، إما بالتصريح أو بالإيماء لمن يعيه (٤٩) .

وسار على دربهما عبدالرحمن الكواكبي إذ قال : يجد المدقق في القرآن أكثر الحقائق الحديثة ، ورد به التصريح أو التلميح منذ ثلاثة عشر قرناً (٥٠) .

وعبر المطيع عن الفكرة نفسها في قوله : ما من شيء يخترعه مخترع أو يكتشفه مكتشف إلا تجد - عند التحقيق - أن القرآن أتى عليه بمنطوق عبارته أو إشارته ، أو مفهوم الموافقة أو المخالفة (٥١) . فزاد العنصر الأخير .

وذهب د. عبدالقادر حسين إلى أن القرآن قد يشير إلى بعض الحقائق إشارة مجملة لا تفصيل فيها (٥٢) . ولكن بوكاي ذكر أن القرآن أتى بتفاصيل أنهلته دقتها (٥٣) .

وتبع مصطفى صادق الرافعي عمر العطار في استخدام مصطلح الإيماء (٥٤) ، وعبدالرحمن الكواكبي في استخدام مصطلح التلميح (٥٥) .

ورأينا أننا محمد مصطفى المزاغى يصف الأصول العلمية التي أوردها القرآن بالعمومية ، فتبعه غيره ^(٥٦) ، ومحمد الحسيني الطواهرى بالكلية ، فتبعه غيره ^(٥٧) .

أما محمد الصادق عرجون الرافض للتفسير العلمى فقد وصف الإشارات الكونية فى القرآن بأنها قد وردت فيه ورودا عابرا ، اقتضاه المقام فى ذكر قصة أو عظة ، دون أن يقصد إليها فى ذاتها ^(٥٨) .

وابتدع عفيف عبدالفتاح طيارة عددا من المصطلحات حين قال : لم تخل آيات القرآن من التعبيرات الدقيقة ، والإشارات الخفية ^(٥٩) .

ووصف محمد أبو زهرة هذه الإشارات بالبيان ، والوضوح ، والصدق ^(٦٠) .

وسماها يعقوب يوسف اللغات العلمية ، وسمى كتابه بها ، فتبعه جماعة ^(٦١) .

ووصفها د. محمد أحمد الغمراوى بالكافية ^(٦٢) ، وأحمد عبدالسلام الكردانى بالمهمة أحيانا ^(٦٣) ، ود. حسن ضياء الدين عتر بالناصعة ^(٦٤) .

وجمع محمد إسماعيل إبراهيم أكبر عدد من المصطلحات فى قوله : إن القرآن عندما يعرض أى قضية من قضايا الكون

العلمية، لا يعرضها بأساليب البشر . باستعمال المقدمات والدلائل والمعادلات واستنباط النتائج ، وإنما يقدمها بالإشارة أو الرمز أو المجاز أو الاستعارة أو بالعبارات التي تومض في العقل بنور روحى باهر (٦٥) .

واستخدم محمد وفا الأميرى مصطلح «المفاهيم» استخداما مقاريا لمصطلح الإشارات (٦٦) .

وانفرد مصطفى الدباغ بالقول بأن القرآن جاء بوصف شامل عن العالم المادى . وذكر أبو على أن هذه الكونيات دلائل وأحوال لتقريب معنى الآية إلى الأذهان (٦٧) .

ونستبين من هذا أن الغالبية العظمى استخدموا مصطلحات تشعير بالتحيز غير محمد أبو زهرة . وأن الدباغ وصل إلى أقصى مدى في التجاوز ، فظهر اليون بينه وبين غيره شاسعا .

الهوامش

- (١) معترك ١٤/١، الإتيقان ١٥٠/٢، الإكفيل ٥.
- (٢) التيسابوري ١٤٢/٧، الإتيقان ١٥٠/٢، الخولي ٣٥٨/٥، علي فكري ١٦/١، حنفي ٣٨٠٥، المصمصي ١٠٢، ١٩٢، ٢١٨، القرآن لنوغل ٢٣ - ٤ - ٢٦، السيد ١٩، ٢٠، بين لنوغل ١٥١، الذهبي ٤٨٤/٢، عبدالحليم ١٣، المنوفي ٤٩، الرازي لحسن ٢٧٩، محمد إسماعيل ٦، الدياغ ٧٤، أبو علي ٣٥، منهج ٢٠١.
- (٣) الجواهر ٢٦، ٢٨.
- (٤) إحياء ١٣٥/٣ - ٦ جواهر ٢٧ - ٨، الخولي ٣٥٧/٥، حنفي ٢٨، المصمصي ٩١، الذهبي ٤٧٦/٢، فاضل ٣٠١.
- (٥) الجواهر ٢٨.
- (٦) الرازي لحسن ٢٧٩.
- (٧) تنبيه ٧، إعجاز ١٩/١.
- (٨) تفسير ٣٨٠٥، الدياغ ٧٤.
- (٩) دائرة ٣٥٧/٥، وانظر المصمصي ٢١٨.
- (١٠) فكرة ٩٨، ٢٢٣، وانظر حنفي ٨/١.

- (١١) الرازي لحسن ٢٧٩ . من آيات ٤ . الظواهر ٩ .
(١٢) الرازي لحسن ٢٨٠ .
(١٣) مجمع ٤/١ .
(١٤) تنبيه ٤ ، ٧ ، ٨ .
(١٥) الإقتضائ ١٥٠/٢ . الذهبى ٤٨٤/٢ . الرازي لحسن ٢٧٩ .
أبو علي ٣٥ .
(١٦) إرشاد ٤/١ .
(١٧) تفسير ٦-٥ . محمد إبراهيم ٢٠١ .
(١٨) وجوه ٧٤ .
(١٩) فكرة ٢-٢١٠ .
(٢٠) الكرداني ٣ . شعبان ٣٣١ . من آيات ٤ . كامل ٧ .
(٢١) علي فكري ١٥/١ .
(٢٢) طبائع ٤٣ . الذهبى ٤٩٨/٢ .
(٢٣) القرآن ٤ .
(٢٤) القرآن ١٧٤ ، ٦٤ ، ٦٠ ، ٥ .
(٢٥) ٢١٠/١ .
(٢٦) القرآن ٢ .
(٢٧) إمعان ١٤٢ . الحمصي ٢١٨ . دياب ١٢ . شحاتة ١٦٦ .

- (٢٨) إعجاز ١٤٣ . الذهبي ٥٠٢/٢ . شحانة ١٦١ .
 (٢٩) فكرة ٣٣٣ .
 (٣٠) تفسير ٢٣ ، ٤١ - ٣ .
 (٣١) القرآن للفتدى ٤٨ ، ٥٢ . من رواشع ٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ . الغمراوي
 ٢٦٧ . الكرداني ٩ ، ٧٥ . شحانة ١٥٨ .
 (٣٢) التفسير ٤٨٤/٢ . محسن ٧٨ . الرياضيات ١٠ .
 (٣٣) القرآن ١٣ .
 (٣٤) من رواشع ١٠٥ .
 (٣٥) علوم ١٥٨ .
 (٣٦) القرآن ٤ .
 (٣٧) القرآن ٥ .
 (٣٨) نفسه .
 (٣٩) عطا ٢٥٨ . السويدي ١٣ .
 (٤٠) نماذج ١٠١ .
 (٤١) إعجاز ٦ .
 (٤٢) القرآن ٥٥ - ٦ .
 (٤٣) مع الطب ١٢ .
 (٤٤) علوم ١٦١ .

- (٤٥) إحياء ١٣٥/٣ ، الخولي ٢٥٧/٥ ، حنفي ٢٨ ، الحمصي ٩١ ،
الذهبي ٤٧٥/٢ ، قاضل ٣٠١ ،
(٤٦) وانظر الراقعي ١٤٢ ،
(٤٧) علي فكري ١٥/١ - ٦ ،
(٤٨) الرازي لمحسن ٢٧٩ ،
(٤٩) علي فكري ١٥/١ ،
(٥٠) ضيائع ٤٤ - وانظر علي فكري ١٥/١ ، الذهبي ٤٩٩/٢ ،
(٥١) تنبيه ٢٤ ،
(٥٢) القرآن ١٠٦ ،
(٥٣) دراسة ١٤٥ ، الكومي ٢٣ ،
(٥٤) إعجاز ١٤٢ ،
(٥٥) إعجاز ١٤٢ ، الذهبي ٥٠١/٢ ،
(٥٦) بين للغمراوي ٤٦ ، ٥٢ ، القرآن للفندي ٤٨ ، ٥٢ ، روائع
١٠٥ ، ١٠٧ ، سيد الطليم ١٣ ، يعقوب ١٣ ، المنوفي ٤٩ ، الإسلام
للغمراوي ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، الطواغري ٣٠٣ ،
(٥٧) علي فكري ٨/١ ، المنوفي ٤٩ ، الإسلام للغمراوي ٣٦٧ ،
الكرداني ٧٥ ، ٩ ، محمد إسماعيل ٢٨ ،
(٥٨) القرآن ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، شوكت ٥٦ ، منهج ٢٥٧ - ٨ ،

- (٥٩) روح ٤٨ . الصابوني ١٢٥ . داود ٨٠ .
 (٦٠) المعجزة ٥٢٣ .
 (٦١) أمير ١٣٣ . الظواهر ٢٠ .
 (٦٢) الإسلام ٣٧٠ .
 (٦٣) نماذج ٣ .
 (٦٤) بينات ٣٧٨ .
 (٦٥) القرآن ٥٥ . وتبعه في استخدام الومضات آفاق ٤ . الظواهر
 ٩ . أرتاقوط ٧ .
 (٦٦) الإشارات ٨٠ .
 (٦٧) وجوه ٧٤ .
 (٦٨) في إعجاز ٣٦ .

الفصل السادس

إحصاءات

اكتفى كثيرون ممن كتبوا عن الآيات الكونية في القرآن بوصفها بالكثرة . وتعدى الرازي هذا إلى وصف القرآن بالامتلاء بها ، كما سبق .

وقال الغازي أحمد مختار : لا تكاد تقلب من المصحف يضع صفحات حتى تجد آية في أسرار الكائنات وأحوال السماء منظومة في نسقها بمناسبة من أبدع المناسبات^(١) .

وقال موريس بوكاي إن القرآن يصف حشدا كبيرا من الظواهر الطبيعية^(٢) ، ومحمد إسماعيل إبراهيم : في القرآن ثروة من العلوم والمعارف ، وكنز من القوانين والنواميس ، التي أودعها الله في الكائنات والمخلوقات^(٣) .

ووصف حنفي أحمد حديث القرآن عن الكونيات بتفريق

الأجزاء بين السور والآيات ^(٤)، ومصطفى الدباغ بأنه ميثوث في القرآن ^(٥)، ود. أمير عبدالعزيز بأنه متفرق مبسوط في كثير من السور ^(٦).

وكان الحسن البصري - فيما رأينا - أول من قام بمحاولة إحصائية في مجال ما يتضمن القرآن من علوم، عني فيها بما تضمنه من كتب منزلة قبله، وتبعه في هذا الاتجاه الراغب الأصفهاني.

واختط أبو حامد الغزالي لنفسه اتجاهًا آخر. فقد اكتفى ذات مرة بالقول بأن علوم القرآن لا نهاية لها، ومثل ذلك من الأقوال العامة. ^(٧) وعمد إلى التحديد في مرة أخرى، فجعلها ٧٧٢٠٠ علم ^(٨). وتبعه في هذا الاتجاه أبو بكر بن العربي، غير أنه جعلها ٧٧٤٥٠ علم، على عدد كلم القرآن - فيما قال - مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة ظهر ويطن، وحد ومقطع ^(٩).

وسلك طنطاوي جوهرى طريقًا ثالثًا، عمد فيه إلى إحصاء الآيات التي تتناول موضوعات شتى في القرآن. فأعطانا أولاً - عن الآيات الكونية - رقما واسعا. فذكر أنه ورد في هذا الكتاب

المقدس ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ آية كلها في الكون والإحاطة به (١٠) .
ثم مال إلى تحديد أكثر ، فذكر مرة أنها تروى على ٧٥٠ (١١) ،
وفي أخرى أنها ٧٥٠ (١٢) ، وفي ثالثة أنها نحو ٧٠٠ (١٣) ، وفي
رابعة ٧٠٠ (١٤) .

وأورد محمد الصادق عرجون أدنى عدد . فنقل عن بعض
الباحثين أنها تبلغ أكثر من خمسمئة آية (١٥) .

وإذا كان د. محمد جمال الدين الفندي قد تابع في «من
روائع الإعجاز» أحد أقوال طنطاوى جوهري ، فقد خالفه
في كتابه «القرآن والعلم» - الذي أصدره قبله بسنة واحدة
- ووصل بالإحصاء إلى أعلى أرقامه فصرح أن في القرآن
ما يزيد على تسعمئة آية تدخل جميعها تحت نطاق
العلوم (١٦) .

وجعل د. محمد أحمد الغمراوي الآيات الكونية في القرآن
لانتقل عن ثمانمئة (١٧) . ورفعها د. منصور حسب النبي إلى أكثر
من ثمانمئة (١٨) .

وسلك عبد الرزاق نوفل اتجاهها آخر ، نظر فيه إلى لفظ العلم
ومشتقاته . فذكر أنها تتكرر حوالي ٥٨٠ مرة ، وأن القرآن وصف

الله بالعلم حوالي ١٦٢ (١٩) .
كذلك فعل محمد محمد أبوشهبه ، فذكر أن القرآن زخر
بهذا النوع من الآيات ، وكثرت كثرة زادت على آيات الأحكام ،
ولا سيما في القسم المكي (٢٠) .

الهوامش

- (١) الرفاعي - ١٤٦ - ٧.
- (٢) دراسة ١٤٥ - علي ه - الكومي ٢٣.
- (٣) القرآن ١٦٤.
- (٤) التفسير ٦.
- (٥) وجوه ٧٤.
- (٦) دراسات ١٣٣.
- (٧) إحياء ١٣٥/٣ - حنفي ٢٨ - قاضل ٣٠١.
- (٨) إحياء ١٣٥/٣ - الذهبي ٤٧٤/٢.
- (٩) معترك ٢٣/١ - الإتيقان ١٤٩/٢ - الزرقاني ١٦/١ - الذهبي ١٦/١ - قبحاوي ١٣/٣.
- (١٠) التاج ٩٠.
- (١١) الجواهر ٣/١، ٢٥/٢ - الحمصي ٢٢٣ - السيدس ٢٥.
- الصياغ ٢١٠.
- (١٢) التاج ١٠٤.

- (١٣) التاج ٣٦ ، ٩٦ ... السيد ٢٠ . القرآن لنوفل ٢٥ . محمد ٨٨ .
روائع ١٠٥ . سلطان ٤٣ . شحاتة ١٥٨ .
(١٤) الجواهر ١٩/٣ . السيدس ٢٨ . الاستانبولي : [عجاز ٩ .
(١٥) القرآن ٢٥٥ .
(١٦) ٩ .
(١٧) الإسلام ٢٦٧ . الكرداني ٨ . عبدالقادر ٩٢ ، ١٠٧ .
(١٨) الكون ٥ .
(١٩) بين ١٥٩ - ٦ . القرآن ٢٥ .
(٢٠) المدخل ١١ .

الفصل السابع المنهج السليم للتعامل مع الآيات العلمية

لم يكتف كثيرون - ممن قبلوا التفسير العلمى وممن رفضوه - بمجرد رصد الظاهرة والدفاع عن الرأى، وتجاوزوا ذلك إلى رسم ما تصوره المنهج السليم للتعامل مع الآيات العلمية. فقسم أبو حامد الغزالي فى «التهافت» ما قد يقع فيه الخلاف بين الفلاسفة وعلماء الدين ثلاثة أقسام:

جعل القسم الأول منها ما يرجع الخلاف فيه إلى مجرد الألفاظ كتسمية الفلاسفة الله: صانع العالم، أو الجوهر. وأعلن أن هذا القسم لا يستحق الخوض فيه لإبطاله^(١).

وأوثر أن أجعل القسم الثالث عنده ثانيا عندى، وقد خصه بما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كإنكار حدوث العالم، وأعلن أن هذا القسم ينبغي إظهار فساد مذهبهم فيه^(٢).

وجعل القسم الباقي لما لا يصدم مذهب الفلاسفة فيه أصلا من أصول الدين، ولا يقتضى تصديق الرسل منازعتهم فيه، كقولهم إن

الكسوف القمري عبارة عن انحاء ضوء القمر بتوسط الأرض بينه وبين الشمس، حيث إنه يقتبس نوره من الشمس^(٣).

وأعلن أن هذا القسم لن يخصص في إبطاله ، إذ لا يتعلق به غرض . واستمر يقول:

ومن ظن أن المناظرة في إبطاله من الدين، فقد جنى على الدين وأضعف أمره. فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية ، لا يبقى معها ريب . فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها: إذا قيل له: إن هذا على خلاف الشرع، لم يسترب فيه وإنما يستريب في الشرع^(٤).

والضرر الواقع على الشرع ممن ينصره بطريق غير سليم أكثر من ضرره ممن يطعن فيه وهو كما قيل: عدو عاقل خير من صديق جاهل^(٥).

وأعظم ما يفرح به الملاحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليهم إبطال الشرع^(٦).

وأعطانا الشاطبي الخطي التالية:

١- لا يجوز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه^(٧).

٢- لا يصلح أن ينكر عن القرآن ما يقتضيه^(٨).

٣- يجب الاختصار - في الاستعانة على فهمه - على كل ما

يضاف علمه إلى العرب خاصة. فمن طلبه يغير ما هو أداة له ضل عن فهمه. وتقول على الله ورسوله فيه^(٩).

٤- لا بد - في فهم الشريعة - من اتباع معهود الأميين. وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم. يريد العرف اللغوي العربي المستعمل في المعاني والألفاظ والأساليب^(١٠).

٥- يجب أن يفهم الكتاب بحيث تكون معانيه مشتركة لجميع العرب ، ولذلك أنزل على سبعة أحرف واشتركت فيه اللهجات، حتى كانت قبائل العرب تفهمه^(١١).

ووضع عبيد الله فكري (١٢٥٠ - ١٣٠٦ / ١٨٣٤-١٨٨٩) الخطوات الآتية:

٦- الاعتقاد الجازم بأن جميع ما جاء في كتاب الله، وصح عن رسوله، حق وصدق ، ولا ريب فيه ولا مرية^(١٢). وهو أعلم بحقيقته وأسراره وباطنه وظاهره^(١٣).

٧- إذا تعارضت مسألة فلكية (علمية) ونص شرعي ، فهذه المسألة - بحسب القضية العقلية - لا تخلو من أحد أمرين : إما أن تكون مثبتة بالدلائل القطعية أو لا .

فإن كانت هذه المسألة دعوى لا يقوم عليها برهان صحيح، فلا حاجة بنا حينئذ إلى التثويل إذ لا ضرورة بنا إلى تقليد كل ما

قيل^(١٤) ، لجرد كون قائله أثبت بعض ما قاله بالدلائل، إذ لا يلزم من قيام الدليل على جزء من مسالة ثبوت بقيتها^(١٥) .
أما إذا كانت المسألة قد أثبتت بدلائل قطعية، أو قواعد حسابية، أو أمور بصرية ، لا يبقى معها شبهة، ولا يمكن مقاومتها، فإن عارضها شيء من ظاهر القرآن يقبل التأويل بما تطابقه المسألة، قلنا بذلك التأويل^(١٦) . فقد رأيت علماء السنة وكثيرا من المفسرين تأولوا كثيرا من النصوص لمثل ذلك^(١٧) .
وأما إن عارض تلك المسألة القطعية نص شرعي لا نعلم له تأويلا : فوضنا علمه إلى الله^(١٨) وعلمنا أن عدم وقفنا على تأويله إنما جاء من قصور أذهاننا عن المضاء في فهمه^(١٩) .
وأضاف محمد بخيت المطيعي:
١ - كل لفظ يرد في القرآن - إن كان له معنى شرعي، عرف استعماله فيه من قبل الشارع حتى صار حقيقة عرفية - وجب - حسب القواعد التي قررها العلماء - حمل ذلك اللفظ على هذا المعنى^(٢٠) . ولا يجوز صرفه عنه إلا بقريئة تمنع من إرادته^(٢١) فإن لم يوجد من الشارع ما ذكر ، وجب حمل اللفظ على معناه الحقيقي المعروف في لغة العرب.
٢ - فإن وجدت القرينة المانعة لما ذكر، حمل اللفظ على المعنى المجازي^(٢٢) .

٣ - الرجوع إلى الحكماء - أي العلماء المختصين - (٢٣) فيؤخذ منهم ما لا يخالف ما علم من الدين بالضرورة (٢٤) ألا ترى أن العلماء قاطبة - في بيان أعضاء الإنسان وسائر الحيوانات وبيان وظائفها - رجعوا إلى ما قاله علماء التشريح (٢٥).

٤ - عدم الخروج عما قاله المحققون من المفسرين (٢٦).

٥ - اختيار القول الموافق لما قاله علماء الهيئة، عند اختلاف المحققين من المفسرين في تفسير آية (٢٧).

ونقل د. عبد العزيز إسماعيل أن محمد مصطفى المراغي قال: يجب ألا تجرّ الآية إلى العلوم كي تفسرها (٢٨) ولا العلوم إلى الآية (٢٩) ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها (٣٠).

وأضاف هو ينبغي ألا يطبق على الآيات إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعياً ولم يقبل الشك (٣١). فكثير من النظريات العلمية عرضة للتغيير والتبديل (٣٢). وهذه لا يجوز تطبيقها على الآيات، حتى لو اتفقت مع ظاهرها (٣٣). وإنما يطبق منها ما يكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة ثابتة لا شك فيها (٣٤).

ورأى محمد عبد العظيم الزرقاني ألا نقطع برأى في تفاصيل ما نعرض له من الكونيات إلا إن كان لنا عليه برهان لا شك فيه

ولا شكران (٣٥) . وإلا يجب أن نتوقف عن هذه التفاصيل، ونكل علمها إلى العالم الخبير (٣٦).

وكان صلاح الدين خشية يرى أنه ليس لبشر أن يفسر الآيات العلمية، إذ ليس لمعناها حد إلا حدود العلم والعقل، وهذا بحر في ازدياد (٣٧) . ولذلك التزم أن يذكر أحدث ما وصل إليه العلم عن الكون والحياة، وإلى جواره الآيات، متحاشيا محاولة تفسيرها (٣٨). وتاركا للقارئ أن يفكر فيما يقوله العلم، وأن يعين النظر في الآية (٣٩).

وذهب عباس محمود العقاد إلى أن الأمر الذي لا محل فيه للخلاف أن الإنسان العصري مطالب بفهم كتبه المقدسة وما ترجبه على ضميره من الفرائض.

وتسأل: هل معنى ذلك أن تفهم كما فهمها المخاطبون بها لأول مرة، أو أن تفهم في كل عصر حسب النظريات العلمية التي انتهى إليها أبنائه ؟

وكان جوابه: لا هذا ولا ذاك

ويرر جوابه بما يلي: إن المسلم مأمور في القرآن بالتفكير والتأمل والتدبر، والاستقلال بذلك عن الآباء والأجداد، وأخبار الزمن القديم، وأئمة الدين فيه.

وليس الخطاب القرآني مقصوراً على العرب الأميين، ولا على أبناء القرن العشرين، ولكنه عام مطلق لكل عصر، وكل مكان؛ إذ ليس من المعقول أن يفكر الإنسان على نسق واحد في جميع العصور.

وأخيراً أعلن رأيي: إننا مطالبون بأن نفهم القرآن في عصرنا كما كان يفهمه العرب الذين حضروا الدعوة المحمدية، لو أنهم ولدوا معنا، وعرفوا ما عرفناه، واعتبروا بما نعتبر به من حوادث الحاضر والتاريخ منذ الدعوة المحمدية إلى اليوم^(٤٠).

واعتقد حنفي أحمد أن للكونيات مفتاح طريق بحث، غاب عن أهل العلم والفكر. ووضحه بأنه جمع كل طائفة من الآيات المنزلة في الموضوع الواحد كخلق السماء أو الحيوان، ثم تناولها بالبحث والربط بينها، واستخراج القضايا العامة والخاصة التي تظهر ما انطوت عليه من أصول العلم الكوني، كما فعلوا في استنباط الأحكام الشرعية^(٤١).

وحتم أن يتعاون في تفسير القرآن العاملون بأسرار الشريعة وفقه اللغة وبلاغتها والعلماء الإخصائيون في مختلف العلوم^(٤٢).

ووضع عبد الرزاق نوفل المنهج الآتي لتفسير القرآن عامة: توحيد تفاسير القرآن في تفسير واحد يضعه مجمع إسلامي على مستوى أكاديمي، يضم أساتذة اللغة وقادة الفقه والشريعة

ورجال التشريع والقوانين وعلماء الطب والفلك والأحياء والنبات والاقتصاد والتربية وكل العلوم والمعارف. ويصير تفسيرهم التفسير المعتمد، ويحبس ما عداه عن التداول. ويترجم إلى كل لغات العالم.

وعلى هذا المجمع أن يعيد النظر في التفسير ، على رأس كل قرن من الزمان كحد أقصى أو نصف قرن كحد أدنى ، إضافة ما قد يكون أظهرته الأبحاث أو اكتشفه العلم من حقائق جديدة تضاف إلى معاني الآيات ، وتوضح إعجازها ^(٤٣).

وفي تفسير الكونيات بخاصة، نادى بدراسة آيات الموضوع الواحد معاً، وربط بعضها ببعض ، فيفسر بعضها بعضاً. ويتم التعليق عليها بما أوضحه العلم. فإن ذلك يزيد من جلاء الإعجاز العلمي ^(٤٤) فتابع في ذلك حنفي أحمد .

وأوجب على المجتهد في آيات القرآن ألا يكون ميدان اجتهاده سوى الآيات التي تخصص في دراسة العلوم التي تشير إليها أو توجه النظر لها أو تورد حقائقها ^(٤٥) .

وقال عبيد الكريم الخطيب: إننا لا نعرض القرآن على المخترعات العلمية ولا الآيات الكونية التي تنكشف للناس زمناً بعد زمن، ثم نجهد الجهد كله في استجلابها للقرآن، ونسبها إليه، وجعل مقرراتها وجهاً من وجوه تفسيره فالقرآن في غنى

واسع . فمن السفه والجهل أن يستجدي له هذا الرُّبْد الذي يذهب جفاء^(٤٦).

إن يكون طريقنا إلى الكشف عن إعجاز القرآن هذا الطريق الذي يزعم القرآن بمقررات الكشوف العلمية وبأجهزتها وأدواتها . فإن ذلك يذهب بكثير من جلال القرآن وروعه ، بل وينزل من قدره حين يجرى مع العلم والعلماء في ميدان ، وحين يكون مبلغ فضله وإعجازه أنه من قرسان هذه الطلية ، أو من السابقين فيها^(٤٧).

إن نفترض سلفاً أن في القرآن مفهوماً أو منطوقاً لكذا أو كذا من الحقائق العلمية أو النظريات المذهبية ، وإن نعرض آيات الكتاب الكريم عليها ، وإن نتأول لها ونشتط في التأويل^(٤٨).

وإنما الذي يكون منا أن ننظر في كتاب الله ، بما آتانا العلم من آيات جديدة في هذا الوجود ، وبما كشف لنا من حقائق في هذا الكون الرحيب . فإذا انكشف لنا فهم جديد لآية من آيات الكتاب الكريم ، في أفاق هذه النظرة وعلى ضوئها ، أخذنا بها وجعلناها وجهاً من وجوه الفهم للكتاب المجيد . وإلا أمسكنا عن أن نقول قولاً ، فقد يجرى من هو أحد نظراً ، وأدق فهماً ، فيرى ما لا نرى ، ويفهم ما لا نفهم^(٤٩).

وكرر محمد الصادق عرجون القول بأن الآيات العلمية في

حاجة إلى فهم جديد على ضوء ما جد في مجال العلوم الحديثة (٥٠) . ولكنه اشترط في هذا الفهم أن يستهدف مقاصد القرآن في الهداية (٥١) . وألا يخضع القرآن لنظريات ما تزال في مهبط التجارب: وقد تعصف بها فتصبح من قبيل الأساطير (٥٢) .

ولم يكتف بذلك، فتجاوزه إلى إعطائنا الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لهذه المهمة ، فقال : يجب أن يكون متضلعا من العلوم الشرعية أصولا وفروعا، ومن الفنون العربية بجميع ضروبها المختلفة، وأن يكون متشعبا من العلوم الكونية ، علما بحقائقها، ليستطيع في ظلها وظل العلوم الشرعية والعربية أن يتيقن معالم الهداية القرآنية في إقامة الحجة على مقاصد القرآن (٥٣) .

وأوضح سيد قطب موقفه في أنه لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية التي يذكرها القرآن أحيانا عن الكون، بفروض العقل البشري ونظرياته، ولا حتى بما يسميه «حقائق علمية» مما ينتهي إليه بطريق التجربة القاطعة في نظره (٥٤) . ففصل فصلا بين الآيات والعلم البشري: حقائقه ونظرياته.

ولكن هذا لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم عن الكون والحياة والإنسان . كلا! لقد قال سبحانه (سنريهم آياتنا في الآفاق ...)

ومن مقتضى هذه الإشارة أن نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم من آيات الله، وأن نوسع بما يكشفه مدى المدلولات القرآنية في تصوراتنا، وبأن نعلق التصوُّص القرآنية النهائية المطلقة بمدلولات ليست نهائية ولا مطلقة (٥٥).

وقال يعقوب يوسف: أماننا في عرض اللغات العلمية سييلان: ١ - سبيل غير مأمون، هو أن نبالغ في تأويل الآيات، محاولين بذلك أن نثبت أن القرآن يحوي هذه النظرية أو تلك، مع أن النظريات تقوم على التفاصيل، وما ورد في القرآن كان إشارات بعيدة عن الخوض في تلك التفاصيل (٥٦).

٢ - وسبيل مأمون لا نتأول فيه ولا نتمحل، ولا تلصق آيات القرآن بنظريات قد تتغير وتتبدل، فتخرج القرآن بذلك عن مهمته في بناء النفس والمجتمع (٥٧).

إننا لن نصب الآية في قالب نظرية معينة، لأن الآية بطبيعتها عامة لا تنطبق على التفاصيل التي تعين النظريات بعضها عن بعض، فالقرآن ليس كتاب نظريات علمية، وإن كان حافلاً باللغات إلى تكوين الكون والإنسان (٥٨).

ووسع د. محمد أحمد الغمراوي دائرة العلوم التي يجب أن يحيط بها من يتصدون للتفسير، فقال: إن يستطيعوا - على وجهه

الصحيح - حتى يطلوا العلوم كلها ، ليستعينوا بكل علم على تفهم ما اتصل به من آيات القرآن، ويستعينوا بها جميعا على استظهار أسرار آيات القرآن التي اتصلت بالعلوم جميعا(٥٩).

وصرح بأن النظر في الآيات الكونية في القرآن يحتاج من الاحتياط في البحث، ومن الدقة في المطابقة والاستنباط، ما هو دأب علماء الفطرة ، في البحث عن أسرار الفطرة، بل يحتاج إلى دقة واحتياط أكبر (٦٠).

ولابد من التزام المنطق الصارم في المطابقة بين الآي القرآني وما يتصل بموضوعه من الحقائق الكونية، وفي الاستنباط من أي القرآن. وهذا يقتضي - إذا لزم الأمر - أن تكون المطابقة بين الحقيقة الكونية وجملتها ما يتصل بها أو بموضوعها من الآيات القرآنية ، لا بينها وبين آية واحدة قد يخفى معناها على الناظر، ولا يتبين إلا في ضوء آية أو آيات أخرى في نفس موضوعها(٦١).

كذلك أوصى ألا يقصر التعبير القرآني على وجه واحد، إذا تحمل التعبير أكثر من وجه ، حسب قواعد اللغة التي نزل بها القرآن. فكل معنى يفيد اللفظ أو التعبير من غير خروج على قواعد اللغة هو معنى مراد لله وإن لم يك معلوما للبشرية قبل، وإفادة الآية القرآنية إياه إرهاب بأن الله سيكشف للبشر

عنه ليكون معجزة علمية جديدة للقرآن تثبت من جديد أنه من عند الله (٦٢).

وعنى د. عبد القادر حسين بالكونيات المجملة في القرآن فقال:
الشيء إذا ذكر مجملا في القرآن - أخذنا به كما هو لأنه صادق.
أما ذكر التفصيلات، وحشد الجزئيات والتماس العلل والأسباب ،
فهى غير صحيحة دائما، وغير مسلم بها أبدا وإنما تحتل الخطأ
والصواب (٦٣).

ومن المجازفة أن تأخذ بالصواب فى شيء ، وتسعى إلى تطبيقه
على النص القرآنى. ثم يأتى إلينا العلم نفسه فى المستقبل بما
ينقض ما سبق لنا الأخذ به والتثبت من صدقه، واعتباره صوابا.
ليؤكد لنا - فيما بعد - أنه كان خطأ (٦٤).

وأعلن موريس بوركاى أن المعارف اللغوية المتبحرة لا تكفى
وحدها لفهم الآيات العلمية، بل يجب - بالإضافة إليها - امتلاك
معارف علمية شديدة التنوع ، أى دراسة انسيكلوبيدية تقع على
عائق تخصصات عدة (٦٥).

واتجه محمد إسماعيل إبراهيم اتجاهها عمليا. فأعطانا
الخطوات الآتية التى اتبعها فى عرض الآيات العلمية:
أولا: ذكر الآية ومكانها من القرآن الكريم (٦٦).

ثانياً: التفسير الدينى الوارد فى كثير من التفاسير المعتمدة لرجال الدين (٦٧).

ثالثاً: التفسير بالرأى العلمى المطابق لأحدث ما وصل إليه العلماء من نظريات صحيحة متفقة مع القرآن (٦٨).

رابعاً: عرض مبسط لبعض مبادئ العلوم المتصلة بالآيات بأسهل أسلوب يفهمه القارئ العادى ، إذا لزم الأمر ذلك ، لزيادة التأكيد بين صلة العلم بالقرآن (٦٩).

ووضع د. محمد سعيد رمضان البوطى الأسس الأربعة التالية للتفسير السليم:

١ - أن يخضع لدلالات اللغة العربية وقواعدها التى لا خلاف فيها .

٢ - أن يخضع لقواعد تفسير النصوص المتفق عليها ، كاحكام العموم والخصوص (٧٠).

٣ - ألا يتعارض معارضة حادة مع مضمون أية آية أخرى فى القرآن ، بحيث لا يكون من سبيل للجمع بينهما تحت ظل أى قاعدة من قواعد تفسير النصوص (٧١).

٤ - ألا يتعارض معارضة حادة مع الدلالة الثابتة لنص حديث نبوى صحيح ، بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلاً سائفاً للتوفيق بينهما (٧٢).

وأعلن د. عبد الحميد دياب وزميله أنهما راعيا في بحثهما عدم تحميل الآيات القرآنية أكثر مما تحمل (٧٣) .

ويمكن أن نتبين أن خلف محمد الحسيني يضع ما يلي قواعد للتفسير السليم للآيات العلمية:

- لا بد أن يعتمد التفسير على اللغة العربية قبل اللغة العلمية والنظريات التجريبية. فيجب على من يتصدى لتفسير بعض الآيات أن يبحث - أول كل شيء - عما توحى به اللفاظ العربية (٧٤).

- النظر في أساليب القرآن ومرامييه وأغراضه (٧٥) .

- البحث عن سياق الآية واتساقها مع الآيات السابقة عليها واللاحقة بها ، وعن نظائرها من الآيات (٧٦) .

- الاستعانة بأحاديث الرسول (٧٧) .

- أخيرا النظر في النظريات العلمية (٧٨) .

فإذا وجدنا بعد تطبيق هذه القواعد - النظريات مطاقت المعنى المراد من الآية كان بها ، وإلا فيجب تركها ، وعدم حمل تفسير الآية عليها (٧٩) .

وقبل د. شوكت محمد عليان من البحوث ما لا يؤثر إطلاقا على صواب العقيدة (٨٠) .

ونادى د. عبد العليم عبد الرحمن خضمر جامعات العالم

الإسلامى ومدارسه أن تتبع منهجاً للدراسات الجغرافية، سماه المنهج الإيمانى ، ويعتمد على الخطوات الآتية:

- عرض مفاهيم من القرآن تشير إلى الظاهرة موضوع البحث.

- تحليل المفاهيم القرآنية بتتبع آراء المفسرين للآيات التى أشارت إلى الظاهرة .

- صياغة المفاهيم القرآنية المفسرة فى شكل قواعد وقوانين جزئية تخضع فى الأصل للقانون الإلهى العام الأعظم للكون.

- التطبيق الجغرافى لما ورد فى القوانين المصوغة من المفاهيم القرآنية المفسرة .

- استنباط التوافق بين المنهج العلمى ومنهج القرآن وأسلوبه فى معالجة الظواهر الجغرافية، مع إيضاح سبق القرآن وشمول إشاراته وصدقها المطلق، وصلاحيته الانتفاع بها للإنسان البدائى ولإنسان عصر القضاة ومن بعده على السواء (٨٧) .

ووصف منهجه فى عرض ما وصل إليه بحثه من نتائج:
- لا يحمل النص القرآنى على أن مدلوله هو هذا الذى كشفه العلم.

- لانقارن بين آيات القرآن وما يقابلها من المفاهيم العلمية.

– التزمنا بإبراز القوانين الطبيعية التي توشك أن تستقر قواعدها ، والتي استقرت تماما (٨٢).

ونذكر إبراهيم حسن النصيرات أنه بنى كتابه على النقاش العلمى المبني على أسس منطقية موضوعية ، بعيدة عن التعصب الفكرى أو الطائفى (٨٣) وصرح أنه لا يريد إلباس القرآن ثوب الجغرافيا كما كساه الآخرون ثوب الاشتراكية والرجعية من أجل بلشفة الإسلام (٨٤).

تعقيب

توضح لنا هذه الجولة أن العلماء لم يكتفوا بمجرد الدفاع عن التفسير العلمى أورفضه ، بل حاول كثير منهم أن يضع الضوابط التي تكفل سلامة منهج البحث.

ولم يكن ذلك من المدافعين وحدهم ، بل شاركهم فيه بعض الرافضين من أمثال العقاد والخطيب وعرجون.

وقد بدأت هذه المحاولات مع بدء الحديث عن التفسير العلمى. فأتى أبو حامد الغزالي بعدد من الضوابط الأساسية التي صارت قواعد مبدئية معتمدة لا يستطيع أن يهملها من تصدى لذلك التفسير ، مثل رفض القضايا العلمية التي تخالف أصلا من أصول الدين.

وأعطانا الأصولى الشاطبي الضوابط العامة لمنهج التفسير العلمى، التى صارت - مثل أقوال أبى حامد - أصولاً مرعية عند المشاركين فى هذا الحقل العلمى . لم يشذ عن ذلك إلا أهل واحد، هو الاكتفاء بمعارف العرب الجاهليين الأميين ، فقد اتفق معه فيه قليل من الرافضين، واختلف معه جميع المؤيدين للتفسير العلمى.

وتوضح لنا الجولة أن أوائل كتاب العصور الحديثة مثل عبد الله فكرى ومحمد بخيت المطيعى ومحمد مصطفى المراغى ود. عبد العزيز إسماعيل - أعطونا أكثر قواعد منهج التفسير العلمى، وأن من جاء بعدهم وسعوا ما قالوه أو أضافوا إليه قواعد مفردة، لها أهميتها أيضا .

ويلفت النظر من هذه القواعد:

- تصريح جماعة - مثل صلاح الدين خشبة وعبد العليم خضر - من المدافعين عن احتواء القرآن للمضامين العلمية، بأن ما يكتبونه ليس تفسيراً للقرآن ، أو ليس تفسيراً محتوماً له، أو اكتفائهم بإيراد الآيات والقضايا العلمية متجاررة دون محاولة للربط بينها.

- الإجماع على الالتزام بالقضايا العلمية التى ثبتت ثبوتاً

لا يتطرق إليه شك ، والاختلاف الشديد بين العلماء في موقفهم مما سموه «النظريات العلمية» فرفضها أكثرهم ، ورضى عنها أقلهم . وأعتقد أن مرجع ذلك اختلاف مفهوم النظرية عندهم . فمن ذهب إلى أنها تفسير الظواهر الطبيعية وتعليلها ، خشى على القرآن مما يطرأ عليها من تغيير وتطوير وتبديل على مجرى الزمن، فرفضها . ومن ذهب إلى أنها الظواهر نفسها، رضى عن ربطها بالقرآن.

– الإجماع على عدم إخضاع الآية للرأى العلمى ، حتى عند من اتهموا بالإكثار من المسائل العلمية والمبالغة فيها مثل طنطاوى جوهرى ، مما يدل على التباين بين القول النظرى والتطبيق العملى أو على تظاهر المبالغين بالاعتدال ليكسبوا اقتناع القراء.

– غموض رأى العقاد والخطيب عند محاولة تطبيقه.

– تعذر وجود مفسر يتصف بما طلبه الغمراوى . وأيسر منه أن يشارك فى التفسير جماعة من تخصصات مختلفة كما أوصى المطيعي وحنفى أحمد وعبد الرزاق نوفل.

الاختلاف بين موقفى المراغى وعبد العزيز إسماعيل وعبد القادر حسين عند اتفاق القضية مع ظاهر الآية.

الخلاصة

تبين لنا - في يقين واطمئنان - أن الإجماع واقع بين مؤيدي التفسير العلمي ورافضيه على أن القرآن كتاب دعوة وتشريع . ولكن الرافضين يقفون عند هذه المقولة ، ويتجاوزها المؤيدون إلى أن تلك هي وظيفته الأولى . ولا يمنع ذلك أن تكون له وظائف أخرى ، قد تعادل الدعوة والتشريع في الأهمية ، وربما لا تعادلها بل لاتدانيها . ومن هذه الوظائف عندهم الإعجاز العلمي .

وتؤكد هذه الدراسة لنا تأكيداً صارماً أن الإجماع واقع بينهم أيضاً على أن القرآن ردد الثناء على العلماء وحض كثر على العلم ، ودعا - في إلحاح - إلى السير في أرجاء الأرض، والتدبر في الكون والكائنات ، للاستدلال مستها على وجود الخالق وحكمته وقدرته . بل رأى بعض القائلين أن هذا فيه أضعاف ما في غيره من الكتب السماوية . ويبلغ بعضهم إلى حد القول بأنه الكتاب السماوي الوحيد الذي وجه هذه الدعوة . ووصل الأمر ببعضهم إلى أن يعد ذاك وجهها من وجوه إعجازه .

ولكن كثيرين - وأنا منهم - لا يرون أن هذا الثناء على العلم والحض على التدبر يجعل من القرآن كتاب علم بالمعنى الذي

يثيادر إلى الذهن عندما يلتقى بهذه العبارة . وإنما يجعله مشجعا للعلم والتفكير السليم.

وتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن في القرآن ذكرا لظواهر تنتمي إلى علوم متعددة . ولكن الرافضين وبعض المؤيدين يصرحون - بحق - أن هذه الظواهر أتت بها في إشارات وتلميحات إلى المراتى المعروف منها.

فلاشك أن من الظواهر العلمية حقائق وجدت منذ الأزل ، وعرفها الناس عالمهم وجاهلهم منذ كانوا مثل تعاقب الليل والنهار، وتباين طولهما صيفا وشتاء ، وتعدد أوجه القمر، والخسوف والكسوف ، وغير ذلك . وورود مثل هذه المعلومات في القرآن قد يدل على حكمة الله أو قدرته . ولكن المؤكد أنه لا يدل البتة على إعجاز علمى أو معرفة فريدة ، وإلا كان الناس - منذ كانوا ، وإلى أى فئة انتسبوا - أصحاب إعجاز علمى أو معارف متفردة.

قد يقال إن وراء هذه المعلومات ميادئ وقواعد ونظريات علمية غاية فى الروعة والدقة ، فطن الناس إلى بعضها قديما، وإلى بعضها حديثا ، وتعرف يقينا أنهم يظنون إلى بعضها الآخر فى المستقبل أو البعيد. ولكن الحديث عن وجود هذه الظواهر غير

الحديث عن المبادئ التي وراء هذا الوجود ، والحديث عن الوجود لا يحتم المعرفة بما وراءه ، ولا يستدعي الخوض في الحديث عن هذه المبادئ والنظريات ، مما قد يوحي بأن القرآن تعرض لها ، وإلا نسبنا إلى من تحدثوا عن هذه الظواهر - في الجاهلية أو في عصر كانوا - إعجازا لم يدّعه أحد منهم.

وثبتت - في وضوح باهر - أن هناك إجماعا على عدم إخضاع آيات القرآن للأفكار العلمية ، فنحمل ألفاظها مالا تتحمل أو فوق ما تتحمل ، أو نلوي عباراتها لتتفق مع هذه القضية أو تلك. فإن كان هناك خلاف بينهم ، فسيبه أن أكثر المعارضين للتفسير العلمي التزموا بهذا الموقف قولا وعملا التزاما كاملا وأن كثيرا من المؤيدين نادوا به قولا وتحلوا منه عند التطبيق.

وتبرز - في جلاء كاشف - خطر اعتقاد بعض الناس أن سيق القرآن هو وجه إعجازه العلمي . فهذا الوجه يحيط به ما أحاط بالإعجاز بالإنباء بالغيب من شكوك واعتراضات، يضاف إلى ذلك أنه دفع المؤمنين به إلى مزالق وعرة.

وتقدم الأدلة - واحدا بعد آخر - على ضرر الربط الخاطئ بين القرآن والعلم ، إذ يجلب السخرية ممن قام بالربط وسوء الظن

بالقرآن ، ولا أقول - كما قال بعضهم - إن الخطأ سينسب إلى المفسر لا إلى القرآن .

وتظهر أن التخصيص الدقيق لأقوال بعض من قالوا بالإعجاز العلمي ، كشف أن ما أرادوه ينصب على الطريقة التي عرض بها القرآن ما ذكره من ظواهر علمية ، ولا يحتاج إلى تدليل أن ذلك يرفع أراهم من تحت الإعجاز العلمي ويضعها تحت مظلة الإعجاز البياني.

وقد جعلني هذا التطواف أؤمن بوجوب البدء بحسن تصور طبيعة القرآن ووظيفته ، عند التعرض للإعجاز العلمي. وقد نأكد لنا أن الوظيفة الأساسية له أن يكون كتاب دعوة وتشريع . أريد كتاب دعوة إلى الإيمان بربوبية الله الواحد كامل الصفات ، ونبوة محمد بن عبد الله ، ووضع الشرائع التي تكفل إقامة المجتمع الإسلامي الأمثل ، وقد استخدم القرآن - من أجل هاتين الوظيفتين - التعبير المباشر الذي يقدم الفكر صريحا ، واستخدم - من أجل الوظيفة الأولى التي كان هدفها يختفي وراء أستار وأدران من الوثنية والشرك والتحريف - كل ما تيسر له من الأفكار ، وجميع ما أتبع له من التعبيرات . فالحديث إذن عما هي الوجود الطبيعي والحيوي من ظواهر إنما ورد في القرآن أصلا لإثبات ألوهة الله ونبوة محمد ، كما

يصورهما الإسلام.

ونبيننا هذا التطواف إلى ضرورة معرفة مجال البحث معرفة دقيقة ، وإبعاد ما قد يتسرب إليه مما هو ليس من جوهره فيحدد بالباحث عن الحقيقة.

وأول ما تجب معرفته أننا لسنا بصدد الحديث عن علم الله، الذي وصفه القرآن في قوله : (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي، ولو جئنا بمثله مددا) (الكهف ١٠٩) ولسنا بصدد الحديث عن قدرة الله، التي ردها القرآن في عبارة (إن الله على كل شيء قدير) ولسنا بصدد الحديث عن حكمة الله ، التي ردها القرآن في كثير من فواصله ، جامعا بينها وبين العلم والعزة والخبرة. ولسنا بصدد الحديث عن إعجاز الله في خلقه ، وما تدل عليه الكائنات العلوية والسفلية ، والحية والجمادة، وغيرها من علم وحكمة وقدرة . فتلك صفات مثل بقية صفات الله ، لا تحددها حدود: ولا يحيط بها بشر، ويؤمن بها كل مؤمن بوجود الله الخالق لا المسلمون وحدهم.

وإنما مجال البحث النص القرآني، المدون بين غلاف المصحف، والبادئ بالفاتحة ، والمختتم بسورة الناس، إنه نص محدد

يكشف عن صفات الله في عبارات مجملة ، ولا يمنحناها في رجابتها ، لا هو ولا بقية الكتب السماوية منفردة ولا مجتمعة . وإن عدّ ما في النص القرآني هو هذه الصفات على اتساعها خلط بين أمور غير كاملة التماثل.

وتمنحنا كل الدلائل التي تثبت أن المؤيدين والرافضين انطلقوا في مواقفهم من الرغبة الخالصة في إجلال القرآن والمحافظة على مكانته سامية بين المؤمنين والكافرين . والفرق بينهما أن المؤيدين غلبت عليهم الرغبة في تعظيمه ، والرافضين غلبت عليهم الخشية من اتهامه بالخطأ.

وتكتشف أن القول بالإعجاز العلمي للقرآن ينقصه شرطان أساسيان:

الأول منهما أن يتحدى صاحب المعجزة من يريد أن يؤمنوا به. والثاني : أن تكون المعجزة من جنس برز فيه من وجهة إليهم، وفشا فيهم ليظهر عجزهم مثل السحر عند الفراعنة أيام موسى ، والطب عند الرومان أيام المسيح عليهما السلام ، والاتفاق تام أن العرب كانوا أيام الوحي جاهلين بالعلوم يل كانوا أميين.

ثم ما حاجة القرآن إلى الإعجاز العلمي ، إن كثيرا من

المفكرين جهروا بالقول بغنى القرآن عن هذه البضاعة ، وعن أن يجعلها من وظائفه، ولم يزعم أحد من الكتابيين أن كتابه السماوى معجز علميا ، ولو خلا القرآن خلوا تاما من الإشارات العلمية لما انتقص ذلك من مكانته بل من إعجازه العام ، وإن انتقص من قدرته الراهنة على الاضطلاع بوظيفته فى إثبات الخالق.

الهوامش

- (١) ٧٩. عيد الله فكري ٦. توفيق ٩.
- (٢) ٨١. توفيق ٩.
- (٣) ٨٠. توفيق ٩. ١٠.
- (٤) ٨٠. عيد الله فكري ٩. توفيق ٩. ضو ١٣. بين لنوفل ١٣٣.
- (٥) ٨٠. عيد الله فكري ٦-٧. توفيق ٩.
- (٦) ٨١. عيد الله فكري ٧. توفيق ٩-١٠.
- (٧) الموافقات ٥٦/٢. الضولي ٣٦٠/٥. الحمصي ١٥٢. الذهبي ٤٨٩/٢.
- (٨) المواضع أنفسها.
- (٩) الموافقات ٥٦/٢. الضولي ٣٦٠/٥. الحمصي ١٥٢/١٥٥. الذهبي ٤٨٩/٢.
- (١٠) الموافقات ٥٦/٢. توفيق ٤١. الضولي ٣٦٠/٥. وانظر الذهبي ٥٢٢. عرجون ٢٤٦. الغمراوي ٢٥٩. الكرداني ١٤. عيد القادر ٩٢. الحمصي ٤٢٧. الحسيني ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ١٢٥.
- (١١) الموافقات ٥٩/٢. الأهرام ٤ - ٤ - ١٩٩٠.

- (١٢) في مقارنة ٩- توفيق ١٠- أبو زهرة ٥٢٢ - الله والكون ٥٢ - الحسيني ٢٥، ٢٩.
- (١٣) في مقارنة ٩- .
- (١٤) في مقارنة ٩- الخطيب ٢٨/١ - الغمراوي ٢٢٢ - الكرداني ١٤ - عيد القادر ٩٢ - الحسيني ١٢٥.
- (١٥) في مقارنة ٩- .
- (١٦) في مقارنة ٩- ١٧-٨ - توفيق ١٠ - الحمصي ٢٢٠، ٤٣٥ - أبو زهرة ٥٢٢.
- (١٧) في مقارنة ٩- توفيق ١٠.
- (١٨) في مقارنة ١٧-٨ - عيد العزيز ١٥ - الحمصي ٢٢٦ - الزقاني ٤٥٤/٢ - الخطيب ٢٨/١ - قطب ١٨٢.
- (١٩) في مقارنة ١٧-٨.
- (٢٠) توفيق ٤١.
- (٢١) توفيق ٤١ - عيد القادر ٩٢.
- (٢٢) توفيق ٤١ - الغمراوي ٢٢٢ - الكرداني ١٤ - عيد القادر ٩٢.
- (٢٣) توفيق ٢٥٢، ٢٥٧.
- (٢٤) توفيق ٢٥٧ - حسب ٧ - ٨.
- (٢٥) توفيق ٢٥٢، ٢٥٧.

- (٢٦) توفيق ٢٥٠ .
- (٢٧) توفيق ٢٥٠ . محمد إسماعيل ٥٩ .
- (٢٨) الإسلام ١٥ . السيد ٣٣ . عبد الحليم ١٦ . عرجون ٢٣٥ . محمد إسماعيل ٤٩ . شبهات ١١١٩ . دياب ١٢ . الحسيني ٢٥ . ١٢٥ .
- (٢٩) الإسلام ١٥ . السيد ٣٣ . الخطيب ٢٨/١ . عبد الحليم ١٦ .
- (٣٠) الإسلام ١٥ . السيد ٣٣ . عبد الحليم ١٦ . أبو زهرة ٥٢٣ . عبد القادر ١٠٧ . الإشارات ٧٩ .
- (٣١) الإسلام ١٤ . الفلسفة ١٧٣ . الحمصي ٢٢٠ . ٣٦٦ . محمد ٨٩ . بين لتوفيل ١٤٤ ، ١٩٦ . السيد ٣٣ . القرآن للفندي ١٦ . ٢٠ قطب ١٨٢ . ١٨٥٧ . أبو زهرة ٥٢٣ . القمراني ٦٤ ، ٢٢٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ . عتر ٣٧٨ . الاستانبولي ٦ . ١٠٠ بوكاي ١٤٧ . سلطان ٤٤ . طلبة ١٢٣ . دياب ١٢ . الحسيني ٢٨ ، ١٢٥ حسب ٨ ، ٧ فتوة ٢٥١ . عبادة ١٦ . ٧٠ الدباغ ٧٤ . أبو علي ٣٣ الطواهر ١٩ .
- (٣٢) الإسلام ١٤ . السيد ٣٣ . عبادة ١٦ ، ٧٠ .
- (٣٣) الإسلام ١٤ . السيد ٣٣ .
- (٣٤) الإسلام ١٤ . القمراني ٢٦٥ . عتر ٣٧٨ . شوقي ٨ . فاضل ٣٠٤ .
- (٣٥) مناهل ٤٥٣/٢ - ٤ .
- (٣٦) مناهل ٤٥٤/٢ .

- (٣٧) رسالة ١٢.
- (٣٨) رسالة ١٢ . يعقوب ١٥ . د. شوقي ٨ . الطواهر ١٤ .
- (٣٩) رسالة ١٢ . يعقوب ١٥ . الإشارات ٧٩ .
- (٤٠) الفلسفة ١٧٣ . التفكير ١٧٥ - ٦ .
- (٤١) التفسير ٧ ، ٣٦ ، ٤١ . بين لتوفل ١٤٥ . منهج ٢٠١ .
- (٤٢) التفسير ٣٤ .
- (٤٣) بين ١٥١ - ٢ .
- (٤٤) بين ١٤٥ .
- (٤٥) بين ١٥٢ - ٣ .
- (٤٦) إعجاز ٢٨ / ١ .
- (٤٧) إعجاز ٣٦ / ١ .
- (٤٨) إعجاز ٢٨ / ١ .
- (٤٩) إعجاز ٢٨ / ١ . قطب ١٨٣ . شوقي ٨ .
- (٥٠) القرآن ٢٧٤ ، ٢٥٥ .
- (٥١) القرآن ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ - ٤ .
- (٥٢) القرآن ٢٧٤ . محمد إسماعيل ٤٩ . شبهات ١١١ . دياب ١٢ .
- الخصيني ٢٥ ، ١٢٥ .
- (٥٣) القرآن ٢٧٤ .

- (٥٤) غي ١٨٢ . يعقوب ١٢ . الصياغ ٢٠٥ . صالحه ١٠٥ .
 (٥٥) غي ١٨٣ . الصياغ ٢٠٧ .
 (٥٦) لغتات ١٠ .
 (٥٧) لغتات ١٥ .
 (٥٨) لغتات ١٥ .
 (٥٩) الإسلام ٢٢٢ ، ٣١٦ بوكاي ١٤٦ .
 (٦٠) الإسلام ٢٥٧ .
 (٦١) الإسلام ٢٥٨ .
 (٦٢) الإسلام ٢٥٤ .
 (٦٣) القرآن ١٠٦ .
 (٦٤) القرآن ١٠٦ .
 (٦٥) دراسة ١٤٦ .
 (٦٦) القرآن ٥٠ .
 (٦٧) القرآن ٥٠ .
 (٦٨) القرآن ٥١ .
 (٦٩) القرآن ٥١ .
 (٧٠) الحمصي ٤٢٧ .
 (٧١) الحمصي ٤٢٧ .

- (٧٢) الحمصى ٤٢٧.
- (٧٣) مع ١٢. النصيرات ٩. الكونية ١٩.
- (٧٤) القرآن ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ١٢٥.
- (٧٥) القرآن ٢٨.
- (٧٦) القرآن ٢٥، ١٢٥.
- (٧٧) القرآن ١٢٥.
- (٧٨) القرآن ٢٥.
- (٧٩) القرآن ٢٥.
- (٨٠) الإسلام ٥٢.
- (٨١) الظواهر ١٤.
- (٨٢) الكونية ١٩.
- (٨٣) ظواهر ٩.
- (٨٤) ظواهر ٩.

المصادر والمراجع

- إبراهيم ، أحمد شوقي : سننهم آياتنا - الكويت - نشر وتوزيع مؤسسة الصباح ، مطابع الانباء .
- إبراهيم ، محمد إسماعيل : القرآن وإعجازه العلمي - القاهرة - دار الثقافة العربية للطباعة للطباعة ١٩٧٧.
- إبراهيم ، محمد محمود : إعجاز القرآن في طبقات الأرض - مصر - مطبعة مختار - رمضان ١٣٧٤ / مايو ١٩٥٢.
- ابن رشد ، محمد بن أحمد : فصل المقال - مصر - المطبعة العلمية - شبوال ١٣١٣.
- ابن النقيب ، محمد بن سليمان البلخي : مقدمة تفسيره في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن - القاهرة - مكتبة الخانجي - ١٤١٥ / ١٩٩٥.
- أبو زهرة ، محمد : المعجزة الكبرى القرآن - مصر - دار غريب للطباعة - ١٩٧٧.
- أبو شهبة ، محمد محمد : المدخل لدراسة القرآن الكريم - مصر - دار اللواء.

- أبو علي ، محمد بركات حمدي : في إعجاز القرآن الكريم - ط ١ - المكتبة الدوائية - مؤسسة الخافقين - ١٤٠٣ / ١٩٨٢ .
- أحمد ، حنفي : التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن - مصر - دار المعارف - ط ٣ - ١٩٨٠ .
- أحمد ، فاضل شاكر وفرج توفيق الوليد : المنتقى في علوم القرآن - العراق - مطبعة جامعة بغداد - ١٩٧٩ .
- أرتاؤوط ، محمد السيد : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - عربية للطباعة والنشر - ١٩٨٩ .
- الاستايبولي ، محمود مهدي : إعجاز القرآن العلمي - لبنان - ١٣٩٦ / ١٩٧٦ .
- د. إسماعيل ، شعيبان محمد : المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الاجتماعية - ط ١ - القاهرة - مطبعة التقدم - ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- د. إسماعيل ، عبد العزيز : الإسلام والطب الحديث - ط ٢ - مارس ١٩٥٩ .
- الأميري ، محمد وفا : الإشارات العلمية في القرآن الكريم - ط ١ - حلب - مطبعة أمية - ١٣٩٨ - ٢٠ آب ١٩٧٨ : ألوان من الإعجاز القرآن - ط ١ - حلب العبارة - الاسماعيلية - مصر - رمضان ١٤٠١ / ١٩٨١ .

- د. البار ، محمد على : خلق الإنسان بين الطب والقرآن - ط ١ - الدار السعودية للنشر والتوزيع - ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- بوكاي ، موديس : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - لبنان - دار المعارف .
- الجبيري ، عبد المتعال محمد : شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم - مصر - دار الاعتصام - ١٩٧٦ .
- د. الجميلي ، السيد : الإعجاز الطبي في القرآن - القاهرة - دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .
- : الإعجاز الفكري في القرآن - القاهرة - مكتبة الثقافة الدينية - ١٩٨١ .
- الجندي ، عبد الحليم : القرآن والمنهج العلمي المعاصر - القاهرة - دار المعارف - ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .
- جوهري ، طنطاوي : التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم - ط ٢ - مصر - المطبعة الرحمانية - ١٩٣٣ .
- : الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتغل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات - مصر - مصطفى البايي الحلبي وأولاده - ١٣٤٨ / ١٩٢٩ .
- ٢٨٥ -

- : القرآن والعلوم العصرية - ط١ - مصر - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٤١ / ١٩٢٣ .
- الحسيني ، خلف محمد : القرآن الكريم تبيان لكل شيء - مطابع الأهرام التجارية - ١٥ ربيع الأول ١٤٠٠ / ٢ فبراير ١٩٨٠ .
- حسب النبي ، منصور : الكون والإعجاز العلمي للقرآن - القاهرة - دار الصفا للطباعة - ١٩٨٨ .
- خشبة ، صلاح الدين : رسالة العلم والإيمان - مصر - مطبعة كوستانتسوماس وشركاه - ربيع الأول ١٣٦٦ / فبراير ١٩٤٧ .
- خضر ، عيد العليم عبد الرحمن : الإنسان في الكون بين القرآن والعلم - ط١ - عالم المعرفة للنشر والتوزيع - ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .
- : الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - ط١ - الدار السعودية للنشر والتوزيع - ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .
- : من آيات الله الكونية في الأفاق - ١٤٠٢ / ١٩٨٢ .
- : المنهج الإيمانى للدراسات الكونية في القرآن الكريم - ط١ - الدار السعودية للنشر والتوزيع - ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .

- : هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم - ط١ - السعودية -
جدة - تهامة - ١٤٠٣ / ١٩٨٣ .
- الخطيب ، عبد الكريم : إعجاز القرآن - ط١ - مصر -
مطابع دار الكتاب العربي - رمضان ١٣٨٣ / فبراير ١٩٦٤ .
- خلف الله ، أحمد عن الدين عبدالله : القرآن يتحدى - ط١ -
مصر - مطبعة السعادة - ١٣٩٧ / ١٩٧٧ .
- خليفة ، عبد السميع خليفة : الرياضيات في القرآن الكريم -
القاهرة - مطبعة الفجر الجديد - ١٩٨٧ .
- داود ، أحمد محمد علي : علوم القرآن والحديث - عمان -
دار البشير - شركة الشرق الأوسط للطباعة - ١٩٨٤ .
- الديباغ ، مصطفى : وجوه من الإعجاز القرآني - ط١ -
الأردن ، الزرقا - مكتبة المنار - ١٩٨٢ .
- د . دراز ، محمد عبد الله : مدخل إلى القرآن الكريم -
الكويت - دار القلم - ١٤٠٤ / ١٩٨٤ .
- دروزة ، محمد عزة : التفسير الحديث - مصر - دار إحياء
الكتب العربية - ١٣٨١ / ١٩٦٢ .
- د . دياب ، عبد الحميد ود . أحمد قرقوز : مع الطب في القرآن
الكريم - ط٢ - دمشق - المطابع المركزية - ١٤٠٢ / ١٩٨٢ .

- د. الذهبي ، محمد حسين: التفسير والمفسرون - ط ٢ - مصر - مطبعة السعادة - ١٣٩٦/١٩٧٦ .
- رضا ، محمد رشيد : تفسير القرآن الحكيم - ط ١ - مصر - مطبعة المنار - ١٣١٦ .
- د. زرزور، عدنان : القرآن وتصوره - سورية - مطبعة خالد بن الوليد - ١٣٩٩ - ١٤٠٠/١٩٧٩ - ١٩٨٠ .
- سلطان ، منير : إجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة - ط ١ - ١٩٩٧ .
- سليمان ، أحمد محمد : القرآن والعلم - ط ٢ - بيروت - دار العودة - ١٩٧٨ .
- د. السويدي، يوسف: الإسلام والعلم التجريبي - ط ١ - مكتبة الفلاح - ١٤٠٠ / ١٩٨٠ .
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر : الإكمال في استنباط التنزيل - مصر - دار العهد الجديد للطباعة .
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى : المواقف في أصول الأحكام - مصر- مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - ١٩٦٩ .
- د. الشاعر ، أحمد عبد الحميد: القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين - ط ٢ - الكويت - دار القلم ١٤٠٢/١٩٨٢ .

- د. شحاته ، عبد الله : علوم القرآن والتفسير - القاهرة - دار العلوم للطباعة ١٩٨٠.
- د. شرف الدين صالحه عبد الحكيم : القرآن الحكيم : إيجازه ويلافته وعلومه - الكويت - رجب ١٤٠٤ / أبريل ١٩٨٤.
- شلتوت ، محمود: القرآن والمسلمون - مجلة الرسالة - العدد ٤٠٧ و ٤٠٨ من السنة التاسعة - بتاريخ ٢٦ و ٢٨ أبريل ١٩٤٦.
- الصابوني ، محمد علي : التبيان في علوم القرآن - ط٢ - مكتبة الغزالي بدمشق ومؤسسة مناهل العرفان ببيروت - ١٤٠١ / ١٩٨١.
- الصياغ ، محمد : لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير - بيروت - المكتب الإسلامي - ١٣٩٤/١٩٧٤.
- صيرفي، حمزة سالم: الإعجاز العلمي في القرآن - ط ١ - مكة المكرمة - مطابع زمزم ١٣٩٩.
- ضو ، أحمد كامل: القرآن الكريم والعلوم الحديثة - ط٢ - مصر - دار الفكر الحديث - ١٩٥٥.
- طيارة ، عفيف عبد الفتاح : روح الدين الإسلامي - ط١١ - بيروت - دار العلم للملايين.
- طلبية ، حسين فؤاد : كتاب الله الخالد - مصر - مطابع الأهرام التجارية - ١٥ رمضان ١٣٩٣ - ٨ أغسطس ١٩٧٩.

- العائى ، عبد القهار داود: دراسات فى علوم القرآن - ط١ - بغداد - مطبعة المعارف ١٩٧٢.
- د. عيادة، عبد الله: الطب فى القرآن - مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض- مطبعة المدنى- ١٩٨٢.
- عبد الحميد، محسن: الألويسى مفسراً - بغداد - مطبعة المعارف - ١٣٨٨ / ١٩٦٨.
- د. عبد الرحمن ، محمد إبراهيم : منهج الفخر الرازى فى التفسير بين متاهج معاصريه - ط١- القاهرة - نشر الصدر لخدمات الطباعة - ١٩٨٩.
- عبد العزيز، أمير : دراسات فى علوم القرآن - ط ١ - دار الفرقان بالأردن ومؤسسة الرسالة ببيروت - ١٤٠٣ / ١٩٨٣.
- د. عبد العزيز، محمد كمال : إعجاز القرآن فى حواس الإنسان - القاهرة - مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير- ١٩٨٧.
- د. العجمى، أبو اليزيد : حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم - مكة المكرمة - العدد ٢٢ من السنة الثالثة من دعوة الحق - محرم ١٤٠٤ / أكتوبر ١٩٨٣.
- العدوى ، محمد أحمد: آيات الله فى الأفاق أو طريق القرآن الكريم فى العقائد - ط١- مصر - مطبعة المنار - ١٣٥٢ / ١٩٣٣.

- د. عسكر، إحسان : فنون التبليغ القرآني ونظرياته - ط ١ - مصر - دار الاتحاد العربي للطباعة ١٤٠٦ / ١٩٨٦.
- العفيفي، محمد : القرآن تفسير الكون والحياة - الكويت - منشورات ذات السلاسل - ١٤٠٦ / ١٩٨٦.
- العقاد، عباس محمود: التفكير فريضة إسلامية - لبنان - صيدا - نشر المكتبة العصرية.
- الفلسفة القرآنية - القاهرة - دار الإسلام - ١٩٧٣.
- العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز - مصر - مطبعة المقتطف - ١٣٣٢ - ١٩١٤.
- د. عليان، شوكت محمد : الإسلام والمكتشفات العلمية - ط ١ - الرياض - مطابع الجزيرة - ١٤٠٠ / ١٩٨٠.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد : تهافت الفلاسفة - ط ٤ - مصر - دار المعارف .
- الغزالي، محمد : نظرات في القرآن - ط ٥ - القاهرة - مطبعة حسان .
- د. الفمراوي، محمد أحمد: بين الدين والعلم - سلسلة الثقافة الإسلامية (١٣) - جمادى الأولى - ١٣٧٦ - نوفمبر ١٩٥٩
- د. الغواوي، حامد : بين الطب والإسلام - القاهرة - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - ١٩٦٧.

- فقيهي ، محمد حنيف : نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني - ط ٢ - بيروت - صيدا - المكتبة العصرية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٨٥- فكرى بك ، عبد الله : رسالة في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية - مطبعة المدارس الملكية - أوائل ثاني الربيعين من سنة ١٢٩٢ .
- فكرى ، علي : القرآن يتبوع العلوم والعرفان - ط ٢ - دار إحياء الكتب العربية - ١٣٧٠ - ١٩٥١ م .
- الفندى ، محمد جمال الدين : القرآن والعلم - ط ١ - القاهرة - فبراير ١٩٦٨ .
- : الله والكون - مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٦ .
- : من روائع الإعجاز في القرآن الكريم - مصر - دار التحرير - ١٣٨٦ / ١٩٦٩ .
- ومحمد يوسف حسن : قصة السماوات والأرض - مصر - دار مطابع الشعب .
- قودة ، محمود بسيوني : المرشد الوافي في علوم القرآن - القاهرة - مطبعة الأمانة - ١٤٠٢ / ١٩٨٢ .
- قضاوى ، محمد الصادق : الإيجاز والبيان في علوم القرآن - القاهرة - مكتبة عالم الفكر - ١٩٨٠ .
- ٢٩٢ -

- : شبهات مزعومة حول القرآن الكريم وردتها - ط ١ -
القاهرة - دار الأنوار - ١٣٨٩ / ١٩٧٨.
- د. كامل ، عبيد الحليم: القرآن الكريم والعلم - سلسلة
دراسات في الإسلام - ١٥ محرم ١٩٨٥ - ١٦ مايو ١٩٦٥.
- الكرداني ، أحمد عبد السلام : نماذج من الإعجاز العلمي
للقرآن - مصر - مطابع الشعب - ١٩٧٥.
- الكواكبي ، عبد الرحمن : طبائع الاستبداد ومصارع
الاستعباد - حلب - المطبعة العصرية - ١٩٥٧.
- د. الكوي ، سامي عبد العزيز : الإعجاز القرآني في مجال
الإعلام - ط ١ - مصر - مطبعة السعادة - ١٤١١ / ١٩٩٠.
- الماوردى ، علي بن محمد : أعلام النبوة - لبنان - بيروت -
دار الكتب العلمية.
- د. المحجري ، يحيى : آيات قرآنية في مشكاة العلم - دار
النصر للطباعة - ١٩٩١.
- محمد ، محمود حامد : القرآن وظواهر الجو - مطبعة النيل
- ١٩٤٥.
- محمود : مصطفى : القرآن : محاولة لفهم عصري - مصر
- دار المعارف - ١٩٧٦.
- ٢٩٣ -

- د. المرسى ، على : موجز في إعجاز القرآن الكريم وعلم الحشرات - مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٧٩.
- المطيعي ، محمد بخيت : تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية - مصر - مطبعة السعادة - ١٣٤٦ / ١٩٢٣.
- : توفيق الرحمن للتوفيق بين ما قال علماء الهيئة وبين ما جاء في الأحاديث الصحيحة وآيات القرآن - مصر - مطبعة السعادة - غزة ذي القعدة ١٣٤٦.
- المقدم ، محمد سعدى : شواهد العلم في هدى القرآن - ط ١ - مصر - ١٩٥٠.
- المتوفى ، محمد أبو القيض : القرآن والعلوم الحديثة - مصر - دار إحياء الكتب العربية - ١٩٧٦.
- النصيرات ، إبراهيم حسن: ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم - ط ٢ - عمان - جمعية عمال المطابع التعاونية - ١٩٨١/١٤٠١.
- نوفل ، عبد الرزاق : الإسلام والعلم الحديث - ط ١ - مصر - دار المعارف - رمضان ١٣٧٧ - أبريل ١٩٥٨.
- : بين الدين والعلم - القاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى.

- : القرآن والعلم الحديث - لبنان - بيروت - دار الكتاب
العربي - ١٣٩٣/١٩٧٣.
- : الله والعلم الحديث - القاهرة - دار الشعب - ١٩٧٦.
- : محمد رسول نبيا - مصر - دار الشعب.
- : من الآيات العلمية - ط ١ - مصر - المطبعة الفنية
الحديثة - ١٩٦٦.
- د. هاشم ، محمد محمد: الأنوية والقرآن الكريم - ط ٢ -
الدار السعودية للنشر والتوزيع - ١٤٠٥ / ١٩٨٥.
- د. وصفي ، الحاج محمد : القرآن والطب - ط ١ - مطبعة
السعادة - ١٣٨٠ / ١٩٦٠.
- يوسف، يعقوب : لغات علمية من القرآن - ط ٢ - لبنان -
بيروت - مطابع دار القلم - ١٣٩٠ / ١٩٧٠.

الفهرس

| | |
|-----|--|
| ٥ | الإعجاز العلمى .. كلمة .. |
| | الفصل الأول |
| ٧ | تفسير الآيتين المقصودتين .. |
| | الفصل الثانى |
| ٢٣ | الدفاع عن التفسير العلمى .. |
| | الفصل الثالث |
| ١٦١ | رفض التفسير العلمى .. |
| | الفصل الرابع |
| ٢١٥ | أسباب التناول وأهدافه .. |
| | الفصل الخامس |
| ٢٢١ | تسمية الآيات الكونية .. |
| | الفصل السادس |
| ٢٤٥ | إحصاءات .. |
| | الفصل السابع |
| ٢٥١ | المنهج السليم للتعامل مع الآيات العلمية .. |
| ٢٨٣ | المصادر والمراجع .. |

رقم الإيداع ٥٧٢٨ / ٢٠٠٠

977 - 07 - 0725 - 2

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٦٠
جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا
أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد
العربية ٣٠ دولارا - أمريكا وأوربا وآسيا
وأفريقيا ٤٠ دولارا - باقى دول العالم
٥٠ دولارا .
القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لأمر
مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم إرسال
عملات نقدية بالبريد .

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبدالعالم بسيوتى زعلول - الصفاة - ص. ب رقم ٢١٨٢٢
للحصول على نسخ من كتيب الهلال اتصل بكتيب Hilal V.N 92703

هذا الكتاب

فهم بعض العلماء من الصحابة ومن تبعهم . من قوله تعالى في الآية ٢٨ من سورة الأنعام «ما فرطنا في الكتاب من شيء» والآية ٨٩ من سورة النحل «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء» أنه لا يوجد شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله . وفهم بعضهم الآخر أن المراد كل شيء من أمور الإسلام . وذهب فريق ثالث إلى أن الكتاب المذكور هو اللوح المحفوظ . واتسع فريق رابع بلفظ القرآن فجعله يشمل المصحف والسنة وما إليهما . وأدخل بعض العلماء مختلف العلوم تحت عبارة «كل شيء» فبدأت التفاسير القرآنية التي تعتمد على المبادئ والحقائق والأفكار العلمية، منها ما تخفف ومنها ما أغرق إغراقاً بعيداً . وكان من هؤلاء العلماء من صرح بأن هذا وجه من وجوه إعجاز القرآن . ولكن غيرهم أنكر عليهم ذلك .

بين مضيق وموسع في الإنكار . وهذا الكتاب يؤرخ لهذه القضية . فيرصد أقوال أصحاب التفسير العلمي ومنكريه ، والأدلة التي استند إليها كل فريق في البرهنة على اتجاهه، وتقيد اتجاه خصومه، يرصد ذلك منذ أول قول في الاتجاهين ثم يتتبع الأقوال على مجرى التاريخ إلى يومنا هذا . مبيناً ما أخذه الخالف من السالف برمته، وما أخذه مع تصوير أو تغيير أو إضافة ، وما جاء به جديداً من عنده .

فأرخ لقضية التفسير والإعجاز العلميين للقرآن تاريخاً شاملاً الرجال والعصور، وعازياً كل قول إلى صاحبه، ليعم الضوء جميع الأرجاء، ويهتدى القارئ بنفسه إلى الرأي الذي يرتضيه، وبخاصة أن القضية اتسعت في الأعوام الأخيرة اتساعاً لا حدود له .